العلاقات الخفية بين أمريكا والدول العربية

تنظيم القاعدة.. النشأة والتكوين والصدام مع أمريكا

إنتشار التنظيم وبناء الشبكة

أكبر محاولة إنقلاب فى تاريخ الخليج

أميرة فى خدمة المخابرات

- مؤتمر الجواسيس
- يهود الخليج

جون روبرت



العلاقات الخفية
بين أمريكا والدول العربية

اعداد

ايهاب كمال

الحرية للنشر التوزيع

٣ ميدان عرابي وسط البلد- القاهرة

ت: ٢٦١٥٦٤٦ - ٥٧٤٥٦٧٩ -٠١٢٣٨٧٧٩٢١

العلاقات الخفية
بين أمريكا والدول العربية

أسم الكتاب : العلاقات الخفية بين أمريكا والدول العربية

إعداد : ايهاب كمال

الناشر : الحرية للنشر ةالتوزيع

٣ ميدان عرابي وسط البلد- القاهرة

ت: ٢٦١٥٦٤٦ – ٥٧٤٥٦٧٩ – ٠١٢٢٣٨٧٧٩٢١

رقم الإيداع : ٢٠٠٦/٢٧٦٧

الترقيم الدولي : ٤ – ١٩ – ٣٥ – ٢٤ – ٩١٤

تنظيم القاعدة
النشأة وإرهاصات التكوين

فى مايو ١٩٨٦ أنشأ الدكتور عبد الله عزّام أول معسكر لتدريب المجاهدين العرب داخل الأراضى الأفغانية وأطلق عليه اسم «عرين الأسد» ويعد عزام واحداً من أهم من أنخرطوا فى صفوف جماعة الأخوان المسلمين فى وقت مبكر من عمره «وهو دون الخامسة عشرة» وكان للإمام حسن البنا أثره الكبير فى تكوين شخصيته وقد اعتبر عزام أن فى رسائل البنا ما يمثل منهجاً عاماً لتحديد الأسس التى تقوم عليها الحركة الإسلامية فى كل مكان وزمان.

وقد مارس عزام نشاطاً إخوانياً فعالاً فى الجامعة الأردنية أثناء عمله فى التدريس بها من خلال الخطب الحماسية التى كان يلقيها، ثم بدأ خطوته الثانية بتجنيد الشباب الملتفين حوله فى صفوف الإخوان بالأردن، قبل أن يغادر المملكة الهاشمية متوجهاً إلى السعودية حيث عمل بفضل نفوذ الإخوان آنذاك بالمملكة ـ فى جامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٩٨١.

إلتقى عزام، فى الحرم المكى، بكمال السنانيرى، أحد أهم رجال النظام الخاص فى جماعة الإخوان والذى كان مسئولاً فى ذلك الوقت عن ملف الجهاد فى أفغانستان داخل الجماعة. طلب السنانيرى من عزام الذهاب إلى أفغانستان لتمثيل الإخوان هناك، وتنفيذ أجندتهم الرامية إلى إستقبال الشباب الوافد من فلسطين ومصر والسعودية والأردن وباقى البلدان العربية والإسلامية ممن يرغبون فى الجهاد، وإعدادهم وشحنهم معنوياً وتشجيعهم على المضى فى الجهاد. وافق عزام بلا تردد وطلب من مدير جامعة الملك عبد العزيز ندبه للعمل فى الجامعة الإسلامية الدولية فى إسلام آباد، حيث أنتدب بالفعل فى أواخر عام ١٩٨١.

كانت مهمة عزام ـ المكلف بها من قبل التنظيم الدولى لجماعة الإخوان المسلمين.

هي «إستغلال طلائع الشباب المسلم الذين يفدون إلى أرض الجهاد في بناء كيان كبير ومؤثر، ليس في أفغانستان وحسب، وإنما في كل بقعة من العالم، قوة إنتشار سريعة مهمتها تقديم المساعدة القتالية لأي فئة مسلمة تضطهد من قبل قوى غاشمة على أي شبر من الكرة الأرضية، وبخاصة الدول التي يمثل فيها المسلمون أقلية دينية.

عندما بدأ عزام تنفيذ خطته في أبريل من عام ١٩٨٦ كان عدد الشباب الذين معه لا يتجاوز أصابع اليدين وسرعان ما بلغ العدد في أول معركة يخوضها المتطوعون العرب في السابع عشر من أبريل عام ١٩٨٧ أي بعد تأسيس أول معسكر تدريبي بعام واحد.

مائة وعشرون شاباً. وكان عبد الله عزام يتابع بنفسه المعارك من أجل رصد السلبيات ومعالجتها وبالفعل كثف عزام التدريب في إتجاه أعمال التخطيط العسكري العمليات. واستقدم لأجل هذه المهمة خبراء من كافة أنحاء العالم.

بعد إنسحاب الإتحاد السوفيتي من أفغانستان، إنتهى دور المجاهدين الأفغان العرب، وفكرت الولايات المتحدة في خطة تخلصها من هذا الخطر الذي كانت تحسب حسابه جيداً، واستطاعت بمساعدة من المخابرات الباكستانية الإيعاز للمجاهدين العرب بإعادة الهجوم على جلال آباد الفائقة التحصين كانت إسلام آباد تدرك أنها بهذه الخطة تدفع بالمقاتلين العرب إلى أتون مذبحة مروعة، فقد كانت جلال آباد محاطة بسياج من مواقع المدفعية الثقيلة، بينما كان تسليح المقاتلين لا يتعدى الكلاشينكوف والأسلحة الخفيفة، وبالفعل حدث ما أراده الأمريكيون والباكستانيون، وجاءت الخسائر في صفوف المقاتلين العرب مروعة.

كان أسامة بن لادن واحداً من الذين شاركوا في هذه المعركة وشاهد المذبحة المروعة التي حصدت أرواح رفاقه بتواطؤ مشبوه من المخابرات الباكستانية وعدد من قادة المجاهدين الأفغان المقربين منها. وبدلاً من أن يلوم عزام وبن لادن نفسيهما لإبتلاعهما لهذا الطعم، راح عزام يندد بهذه الفجيعة علناً ويطالب بالإنتقام ولفت عزام إلى وجود مؤامرة على المجاهدين العرب وعلى الجهاد الأفغاني برمته، تخطط لها الولايات المتحدة الأمريكية وتقوم بتنفيذها أيادي باكستانية.

كانت هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها التنديد بالولايات المتحدة علناً من داخل

أفغانستان ومن عبد الله عزام بالذات الذى ظل البعض يحسبه على الولايات المتحدة لفترة طويلة وفى الرابع والعشرين من نوفمبر ١٩٨٩ انفجرت عبوة من المتفجرات تم زرعها على الطريق الذى يتخذه عزام فى طريقه إلى المسجد، وقتل مع عزام فى هذه الحادثة إثنان من أبنائه وصديق كان يرافقه.

وقد تعددت الآراء فى شأن مقتل عزام، ولكن أهمها ما حاول الطرفان أسامة بن لادن والمخابرات الأمريكية ترويجه فى تلك الفترة، فمن ناحية قامت الرؤية الأمريكية الباكستانية على إتهام أسامة بن لادن وأيمن الظواهرى بإغتيال عبد الله عزام. ووفق هذه الرؤية فإن الصراع على السلطة بين أسامة وعزام كان لابد أن ينتهى بإزاحة أحدهما. وكان من مصلحة أسامة والمصريين فى «مكتب خدمات المجاهدين» إزاحة عزام من طريقهما. الغريب أنه بعد عشر سنوات من إغتيال عزام، أبلغ عضو القاعدة محمد صادق عودة - المعتقل فى الولايات المتحدة بسبب ضلوعه فى تفجيرات نيروبى ودار السلام المحققين الباكستانيين. ومن بعدهم الأمريكيين، أن أسامة بن لادن شخصياً هو الذى أمر باغتيال عزام. لأنه كان يشك بأن معلمه السابق تربطه صلات مع وكالة الإستخبارات المركزية الأمريكية.

أما الرؤية المضادة والتى يروج لها تنظيم القاعدة. فتتهم المخابرات الباكستانية بتنفيذ عملية الإغتيال تنفيذا لتعليمات أمريكية، وأن قتل عزام كان بمثابة العقوبة لأنه ندد بالمؤامرة الأمريكية ضد المجاهدين.

* * *

قبل إغتيال عزام، وتحديداً فى سنة ١٩٨٨، ظهر اسم «القاعدة» عنواناً للتنظيم الذى يتزعمه بن لادن، فقد طلب عزام من أسامة تنظيم سجل للمجاهدين العرب يتضمن مسار حركتهم قدوماً وذهاباً والتحاقاً بالجبهات وعلل عزام طلبه هذا بازدياد الوافدين للجهاد وما تبعها من زيادة فى عدد حالات الإصابة والقتل. وما يمثله نقص هذه المعلومات من حرج لمكتب الخدمات الذى كان يدير حركة المجاهدين فى أفغانستان وعندما أصبحت هذه السجلات إدارة مستقلة، كان لابد من إطلاق إسم عليها لتعريفها ضمن إدارات مكتب الخدمات وهنا أطلق عليها عزام إسم «سجل القاعدة» على أساس أن القاعدة تتضمن كل

التركيبة المؤلفة من الأنصار ومعسكرات التدريب والجبهات.

بعد الإنسحاب السوفيتى وإغتيال عزام، عاد أسامة بن لادن إلى مسقط رأسه فى السعودية حيث استقبل إستقبال الأبطال، وتوزع الأفغان العرب على عدة مسارات، فهناك من مكث فى أفغانستان وانخرط فى الحرب الأهلية الدائرة بين الفصائل الأفغانية المتحاربة فى صف فصيل ضد آخر بينما توزع الذين خرجوا من أفغانستان بين ثلاث مجموعات.

الأولى: سعت إلى طلب اللجوء السياسى فى عدد من الدول الأوروبية وهم الكوادر الإعلامية فى التنظيمات الإسلامية المسلحة بالمنطقة العربية، وهو ما حدث مع عدد من قادة تنظيم الجهاد والجماعات الإسلامية المصريتين فى كل من لندن وهولندا والدنمارك.

الثانية: قررت العودة إلى بلادها سراً لإشعال الأرض تحت أقدام حكام تلك البلاد، بوصفهم طواغيت لا يحكمون بشرع الله «وفق تعبيرهم» وقد كان لهذه المجموعة أنشطة فى كل من مصر والجزائر.

الثالثة: كانت مخلصة لمشروع الأب الروحى عبد الله عزّام، فراحت تستكمل ما بدأته فى أفغانستان فى مناطق أخرى من العالم كالبوسنة والفلبين والقرن الأفريقى وهؤلاء هم الذين إعتمد عليهم بن لادن فيما بعد فى بناء تنظيم القاعدة على أسس جديدة. عندما اصطدم بالسلطات السعودية عقب غزو الكويت واستدعاء الحكومة السعودية لقوات أجنبية لتحريرها.

* * *

الصدام مع الولايات المتحدة الأمريكية

بعد عودة أسامة بن لادن إلى السعودية، ابتعد عن العمل السياسى المباشر، لكن الأحداث المتعاقبة المفاجئة دفعت به سريعاً إلى الساحة السياسية، ففى الثانى من أغسطس ١٩٩٠ غزت القوات العراقية الكويت، وساد الرياض شعور هائج من السخط والغضب. ولم تفلح الرسائل العديدة التى وجهها صدام حسين إلى الملك فهد فى التخفيف من حدة هذه المشاعر، فقد تأكد شعور قوى لدى الملك فهد بأن المملكة عرضة لهجوم عراقى. وتوجه أسامة إلى الرياض والتقى مع الأمير سلطان، وزير الدفاع وقدم له خطة للدفاع عن المملكة. شملت تحريك معدات ثقيلة على الحدود الشرقية للمملكة لإقامة تحصينات عسكرية، واقترح دعم القوات المسلحة السعودية بالمئات من المجاهدين السعوديين الذين أحرزوا خبرة قتالية عالية فى أفغانستان بالإضافة إلى إقتراح آخر قدمه للأمير تركى بن عبد العزيز، رئيس جهاز الإستخبارات السعودى آنذاك، يقضى باستعداد بن لادن والأفغان العرب للتسلل إلى الكويت والمشاركة فى خوض حرب شعبية ضد القوات العراقية موضحاً قدرة رجاله على إلحاق الهزيمة بصدام حسين وإرغامه على الإنسحاب من الكويت كما أرغموا السوفييت على الإنسحاب من أفغانستان من قبل. وفى الوقت ذاته حذر بن لادن من مغبة الإستعانة بالأجانب خاصة الأمريكيين الذين وصفهم بالكفار، من أجل الدفاع عن المقدسات الإسلامية؛ موضحاً أن هذا يتنافى مع تعاليم الإسلام، فضلاً عن حساسية هذه المشكلة بالنسبة لمعظم السعوديين، ولمجمل المسلمين بوجه عام، «وحذر بن لادن فى مداولاته مع أفراد الأسرة المالكة فى الرياض من أن الإستعانة بالأجانب ستنال من مصداقية النظام، وعلى الرغم من كل الحجج التى ساقها بن لادن للدفاع عن وجهة نظره، فلم تلق دعوته وتحذيراته أية استجابة من أى نوع، وفتحت المملكة أبوابها لإستقبال قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية فى مطلع عام ١٩٩١».

عندما لم تستجب السلطات السعودية لأفكار بن لادن بدأ فى المطالبة بمقاطعة البضائع الأمريكية ومقاومة الوجود الأمريكى فى الخليج. وقد لعبت شعبية بن لادن دوراً فى تزايد مخاوف الأسرة السعودية الحاكمة. وتزايدت الضغوط عليه إلى درجة دفعته إلى الهجرة بأسرته الصغيرة متوجهاً إلى السودان. وقبل خروجه من السعودية أجرى عدة إتصالات بالبنوك التى يودع فيها أرصدته، حيث أمنها، وحول أجزاء كبيرة منها إلى أماكن سرية.

فى نهاية عام ١١٩١ وصل أسامة بن لادن إلى السودان واستقبله الدكتور حسن الترابى، المرشد الروحى للنظام الحاكم وزعيم الجبهة القومية الإسلامية، وسرعان ما استدعى بن لادن أعداداً كبيرة من الأفغان العرب، والتقى مع أيمن الظواهرى من جديد، وبدأ معاً فى تكوين الجناح العسكرى للتنظيم قاعدة الجهاد الذى سيشعل العالم منذ ذلك الحين وحتى إشعار آخر.

منذ عام ١٩٩٢ وحتى الآن، إتهمت الولايات المتحدة بن لادن بتخطيط وتدبير ٣٠ حادثاً إرهابياً، بالإضافة إلى مسئوليته عن تمويل معسكرات التدريب والأعداد الخاص بالإرهابيين فى عدد كبير من مناطق العالم وإشرافه الشخصى على البعض منها فى أفغانستان ومن الخرطوم إلى لندن مروراً بعدن ومقديشو والرياض ونيويورك وواشنطن وجاكرتا والرباط راح بن لادن يترك بصمات تنظيمه الجديد خلف كل تحرك إرهابى.

وبدأ الظواهرى مشروعه الجديد بإجراء مباحثات مع طارق الفضلى. أحد أهم قادة الأفغان اليمنيين والابن الأكبر لآخر سلاطين اليمن فى محاوله لإقناعه بالسماح للتنظيم بإقامة معسكرات تدريب لعناصره على الأرض اليمنية. وقد تولى مهمة إقناع الفضلى فى هذه المباحثات العقيد محمد مكاوى الساعد الأيمن للظواهرى فى ذلك الوقت والمسئول الأول عن أمن تنظيم القاعدة. وسرعان ما أخذ عدد كبير من كوادر القاعدة فى التدفق على اليمن فى هيئة مجموعات قدمت من أفغانستان ومصر والسودان وإيران وبعض الدول الأفريقية كالصومال وكينيا وأوغندا.

كانت هذه المجموعات معدة للذهاب إلى الصومال لمواجهة القوات الأمريكية هناك. إلا أن الكشف عن قضية إعادة إحياء تنظيم الجهاد فى مصر عام ١٩٩٢ والقبض على أكثر

من أربعمائة عنصر من عناصر جماعة الجهاد المصرية (التى كان يقودها فى ذلك الحين أيمن الظواهرى)، دفع عدداً من كوادر تنظيم الجهاد إلى مطالبة زعيم التنظيم بضرورة الرد على الحكومة المصرية.

وتحت ضغط هذه المطالبات أجرى أيمن الظواهرى تغييراً مهماً فى إستراتيجية تنظيم القاعدة بعد إستشارة زعيم التنظيم أسامة بن لادن. حيث دفع الظواهرى بعدد من تلك المجموعات التى أطلق عليها اسم «طلائع الفتح» للقيام بعدة عمليات إنتقامية محددة داخل العاصمة المصرية القاهرة. بالطبع لم يكن هذا هو السبب الحقيقى أو على الأقل السبب الذى أقنع به الظواهرى أستاذه بن لادن بضرورة الزج بهذه العناصر فى أتون الصراع مع الحكومة المصرية. فقد كان هناك سبب آخر استطاع من خلاله الظواهرى إقناع بن لادن بهذا التوجه، وهو ضرورة «تأديب» كافة الأنظمة التى وافقت على إستجلاب قوات أجنبية للدفاع عن بلاد الحرمين فى مواجهة صدام حسين، وفى مقدمة تلك الأنظمة النظام المصرى.

ونظراً لأن «طلائع الفتح» كانت قد تلقت تدريبها للقتال فى الصومال. وتم الدفع بها إلى القاهرة فى خطوة متسرعة لإحداث التوازن النفسى المطلوب لعناصر التنظيم عقب القبض على أربعمائة من عناصره فقد إتسمت عملياتهم بالتسرع والإرتباك الأمر الذى أدى إلى فشل وإجهاض أغلبها. عاد الظواهرى مرة أخرى إلى الإستراتيجية التى قام من أجلها بتدريب تلك العناصر فى اليمن. فأرسل عدداً كبيراً من هذه المجموعات إلى كينيا ثم إلى مقديشيو حيث خاضوا حرباً شرسة ضد القوات الأمريكية فى الصومال. وقد أثبتت هذه المجموعات فعالية كبيرة فى حربها ضد القوات الأمريكية، إلى حد إجبار تلك القوات على قبول الإنسحاب والشروع فيه فى أواخر عام ١٩٩٣.

أصقلت هذه المعارك مواهب الظواهرى فى العمل العسكرى وقد ظهر ذلك جلياً عندما أشار على بن لادن بضرورة تخفيف الضغط على الصومال عن طريق ضرب القواعد الأمريكية فى اليمن. وضمت المجموعات التى أوكلت لها تلك المهمة حوالى ثلاثمائة عنصر من جميع الجنسيات تحت قيادة طارق الفضلى أولى هذه العمليات كانت ضد فندق جولدن مور بعدن فى ديسمبر ١٩٩٢.

وثانيتهما كانت عملية مهاجمة طائرات النقل المرابضة على مدرجات الهبوط والإقلاع بالقاعدة الجوية الأمريكية فى عدن فى تلك الفترة تم إختيار أيمن الظواهرى فى إجتماع عقد فى السودان فى بدايات عام ١٩٩٣. قائداً ميدانياً لتنظيم القاعدة. حيث أوكلت إليه مهمة إعادة تنظيم الأوضاع فى منطقة شرق أفريقيا خاصة بعد شروع القوات الأمريكية فى الرحيل من الصومال فى أواخر عام ١٩٩٣.

فى بداية عام ١٩٩٤ وصل إلى كينيا كل من محمد صادق عودة أحد المتهمين الذين تم إعتقالهم فيما بعد فى الولايات المتحدة بتهمة الإشتراك فى عملية تفجير سفارتى الولايات المتحدة فى نيروبى ودار السلام، وعلى الرشيدى المشهور بأبى عبيدة البشيرى. أحد أهم الكوادر العسكرية للتنظيم فى ذلك الوقت. جاء الرجلان بهدف تعزيز وجود القاعدة فى منطقة شرق أفريقيا. التى كان التنظيم يعتبرها مركز التواجد الحقيقى والكثف لكوادر الإستخبارات الأمريكية فى القارة الأفريقية بالكامل وقد نجح البشيرى خلال ثلاث سنوات فى إقامة تمركزات جديدة للقاعدة فى منطقة شرق أفريقيا. تضم كوادر من العرب والمصريين والأفارقة والتى إستخدمت فيما بعد للمساعدة فى تنفيذ الهجوم الضخم على سفارتى الولايات المتحدة فى نيروبى ودار السلام.

إختار الظواهرى كينيا مركزاً لإلتقاء عناصر التنظيم القادمة من جميع أنحاء العالم. واستغل المزايا التى تمنحها السلطات الكينية للسائحيين فى الدفع بعدد كبير من الكوادر التى سبق لها القتال فى أفغانستان تحت ستار السياحة. ولكن خطط الظواهرى سرعان ما أصيبت بارتباك شديد عندما تعرض البشيرى لحادث غامض أودى بحياته غرقاً فى بحيرة فيكتوريا عام ١٩٩٦.

لم تستطع الشبكة إستيعاب الآثار السلبية لمصرع البشيرى إلا بعد مرور فترة طويلة حينما إستطاع الظواهرى ملء الفراغ المترتب على رحيله والدفع بعنصر يمتلك نفس المقومات القيادية التى كان يتميز بها القائد السابق. حيث وقع إختيار الظواهرى على صبحى أبو ستة الشهير بـ محمد عاطف أو أبو حفص المصرى. وهو أحد الشبان المصريين الذين وصلوا إلى أفغانستان فى نهاية الثمانينيات. وقد بدا عاطف الشخص المناسب فى ذلك الحين للحلول محل على الرشيدى ولكن سرعان ما احتاجه بن لادن

بجانبه عام ١٩٩٧ خاصة بعد تكليف الظواهرى بمهمات عديدة خارج أفغانستان الأمر الذى دفع بين لادن إلى التدخل شخصياً لإنقاذ الشبكة من الإنهيار نتيجة لغياب القيادة الماهرة والموثوق فيها. فابرم إتفاقاً مع حسين فارح عيديد. يقضى بإنشاء عدد من معسكرات التدريب لتنظيم القاعدة فى المناطق الخاضعة لحزب الإتحاد الصومالى وتقديم التسهيلات الميدانية لعناصر وكوادر الشبكة. مقابل دعم الحزب بمبالغ مالية كبيرة.

شهدت نهاية ١٩٩٤ وبدايات ١٩٩٥ مجهودات كبرى من الظواهرى وبإشراف مباشر من بن لادن لتوحيد جهود كافة الشبكات الإسلامية المسلحة على مستوى العالم فى محاولة لتنسيق الجهود والمواقف من أجل ضرب المصالح الأمريكية وكسر ما أطلق عليه الظواهرى «الهيبة» التى حاولت الولايات المتحدة فرضها على العالم طوال خمسة عقود من هذا القرن.

وطرح الظواهرى خطة شملت ثلاثة توجهات أساسية لمرحلة ما بعد عام ١٩٩٥.

الأول: الإهتمام بزيادة فاعلية عمل الشبكات الإسلامية المسلحة فى البلقان.

الثانى: تقديم دعم أفضل لأعضاء الشبكات الإسلامية المسلحة فى الصومال وأثيوبيا.

الثالث: بذل أقصى مجهود لزيادة فعالية مكاتب الشبكات الإسلامية فى لندن ونيويورك وكانت تلك أول إشارة من الظواهرى للتأكيد على إهتمام التنظيم الجديد بما سمى بالخلايا النائمة فى الولايات المتحدة وأوربا.

تشكلت هيئة قيادة عليا للتنسيق بين كافة الشبكات الإسلامية المسلحة تمثلت فى لجنة ثلاثية من أيمن الظواهرى وعماد مغنية (أحد كوادر حزب الله التى تعمل الآن فى العراق) وأحمد سالم (أحد كوادر الجهاد الفلسطينى) وعقب الإجتماع مباشرة وفى غضون أقل من شهر إجتمعت الهيئة فى قبرص وقررت إرسال المزيد من المتطوعين إلى البوسنة وكلفت الهيئة أيمن الظواهرى بالسفر إلى الولايات المتحدة فى محاولة للوقوف بنفسه على طريقة العمل فى مكاتب الشبكات الإسلامية المسلحة هناك.

كان عام ١٩٩٥ عاماً حافلاً بالنشاط بالنسبة لتنظيم القاعدة فقد أراد قائده الميدانى أيمن الظواهرى تدشين نشاط الجبهة الجديدة بعدة عمليات للتأكيد على قوة الشبكة الإسلامية المسلحة. خاصة بعد إحباط السلطات الأمنية فى مصر لعمليتين إرهابيتين

خطط لهما الظواهرى بعناية فائقة.

الأولى: كانت أولى تلك العمليات أو الرسائل هى محاولة اغتيال الرئيس مبارك فى أديس أبابا. فقد دُهش جميع المراقبين والمتابعين لظاهرة العنف الدينى المسلح فى مصر والعالم بحدوث هذه المحاولة الفاشلة لاغتيال الرئيس مبارك فى هذه المنطقة بالذات. واتجهت الأنظار إلى السودان والبعض وجه سهام الإتهام إلى جهاز الأمن الأثيوبى، ولم ينتبه أحد إلى وجود أكثر من ألف وستمائة إرهابى مسلح ينتمون لشبكة تنظيم القاعدة منذ عام ١٩٩٢ فى منطقة شرق أفريقيا.

وقد امتدت قواعد تنظيم القاعدة من الجنوب عند مدينة «قسمايو» وباتجاه الشمال فى منطقة الأوجادين (إثيوبيا) مروراً بمدن بردهيرا وجاليكيو وبوصاصو بالصومال. وقد استفاد طاقم العمليات الخاصة بالجماعات الإسلامية المصرية من هذه الشبكة كثيراً عندما قاموا بتنفيذ محاولة إغتيال الرئيس مبارك.

الثانية: وبعد خمسة أشهر فقط من فشل الرسالة الأولى (محاولة اغتيال مبارك) استطاع الظواهرى أن يرسل رسالة أخرى شديدة اللهجة تمثلت فى تفجير السفارة المصرية فى باكستان. فقد جاءت تلك العملية لتبعث برسالتين فى وقت واحد، الأولى إدخال الرعب فى قلوب الوفود الأمنية المصرية رفيعة المستوى التى كانت تتخذ من السفارة المصرية فى باكستان مركزاً لمتابعة أخطر عناصر القاعدة من المصريين والعرب فى بيشاور، والثانية توجيه إنذار لحكومة بناظير بوتو التى كانت قد وعدت الأمير تركى بن عبد العزيز مدير المخابرات السعودية آنذاك بأنها ستتعاون مع الحكومتين السعودية والمصرية فيما يخص ملف الأفغان العرب.

وفى رسالة ثالثة وجهها الظواهرى هذه المرة بدوافع شخصية قبل رسالة التنظيم الثانية بأسبوع واحد، وبالتحديد فى ١٣ نوفمبر ١٩٩٥ عندما قامت بعض العناصر التابعة لتنظيم القاعدة فى جنيف باغتيال علاء نظمى، وهو دبلوماسى مصرى عمل كملحق تجارى بالسفارة المصرية بسويسرا. وقد أعلنت جمعية باسم «جماعة العدالة الدولية» مسئوليتها عن الحادث فى محاولة للتمويه. وكشفت التحقيقات التى قامت بها السلطات السويسرية أن الدبلوماسى المصرى كان مكلفا بمتابعه ملف للظواهرى وكشف حقيقة

تواجده بالأراضى السويسريه من عدمه، هذا بينما يؤكد لابيفير أن الدبلوماسى المصرى كان مهتماً بملف أموال الإخوان المسلمين فى الخارج التى تقدر بحوالى (٢٠٠ ـ ٥٠٠) مليون دولار وتدار بواسطة مؤسسات وبنوك دولية فى سويسرا وإيطاليا، وأرجع سبب مقتله أنه كان يتابع حركة هذه الأموال ويسعى إلى استعادتها.

وأخيراً، جاء انفجار الخبر الذى تسبب فى مقتل تسعة عشر جندياً أمريكياً وجرح المئات كان بينهم عدد كبير من المدنيين السعوديين، ليضع حداً فاصلاً فى المحطة السودانية لتنظيم القاعدة. ولتبدأ محطة جديدة فى إدارة أكبر وأخطر صراع شهده القرن الماضى ومازالت فصوله ماثلة حتى الآن على خشبة المسرح السياسى العالمى. فنتيجة لضغوط مكثفة من حكومات كل من مصر والسعودية وبريطانيا والولايات المتحدة غادر بن لادن وقائده الميدانى أيمن الظواهرى ومعهما ١٢٥ كادراً من أخلص أتباعهما إلى أفغانستان فجر يوم ١٩ أغسطس ١٩٩٦، واستقبلتهم حركة طالبان الحاكمة آنذاك فى أفغانستان بترحاب شديد، وخصصت لهم مناطق للإقامة ينطبق عليها مفهوم الحكم الذاتى. ومنذ ذلك التاريخ ظل تنظيم القاعدة يخطط لعملياته من أفغانستان.

العودة إلى أفغانستان مرة أخرى

لكى تتكون لدينا صورة واضحة عن تحالف تنظيم القاعدة ومؤسسه بن لادن مع حركة طالبان وزعيمها الملا عمر، لابد أن نتعرض لقصة ظهور وصعود حركة طالبان فى أفغانستان. وقد رأينا من الإنصاف لهم ولنا أن نتناول تجربتهم من خلال ما قصه أستاذهم مولوى حفيظ حقانى عنهم فى كتابه «طالبان من حلم الملا إلى إمارة المؤمنين»، فعلاقة الرجل بهم علاقة الأستاذ بالتلميذ، وهو يجلهم ويحترمهم، ولكن هذا الإجلال والإحترام لم يمنعه من أداء أمانة التاريخ لهم بكل صراحة موضحاً ما لهم وما عليهم.

دخل المقاتلون الأفغان إلى كابول فى أبريل عام ١٩٩٢، لتبدأ مرحلة جديدة من الصراع بين جميع الأحزاب الجهادية: الجمعية الإسلامية بقيادة ربانى المتحالف مع أحمد شاه مسعود والحكومة المؤقتة من جهة، والحزب الإسلامى المتحالف مع رشيد دوستم من جهة ثانية، والاتحاد الإسلامى بقيادة سياف من جهة ثالثة، وحزب الوحدة الشيعى «مزارى» من جهة رابعة. وعلى الرغم من كل المعاهدات التى وقعها القادة

المتحاربون، إلا أن الحرب الأهلية بين جميع الفصائل التى راح ضحيتها ٤٠ ألف شخص، بالإضافة إلى تشريد مئات الآلاف، ظلت مشتعلة، وفشلت جميع الوساطات التى قام بها عدد من العلماء والجهات الإسلامية والدولية لتقريب وجهات النظر بين الأطراف المتصارعة ونقض قادة الفصائل المتحاربة كل الاتفاقيات التى وقعوها.

يصف مولوى حقانى الوضع الأمنى بأنه «كان منفلقاً تماماً، وأصبح كل شخص يمثل أفغانستان عرضة لمخاطر عديدة، فقد كان فى استطاعة أى مسلح توقيف السيارات وقتل من يريد أو خطفه، كان كل شىء معرضاً للنهب، الناس والسيارات ـ خاصة سيارات مؤسسات الإغاثة ـ ووصل الأمر إلى قيام المجموعات المكلفة بحفظ الأمن والاستقرار فى المدن الكبيرة برعاية أعمال القتل والنهب والسلب والاعتداء على الأعراض، وكثرة الاشتباكات بين المجموعات المسلحة فى الأماكن المزدحمة من المدن الكبيرة وذهب عشرات الأبرياء ضحية هذه المعارك».

كانت الساحة الأفغانية فى حاجة إلى قوة قادرة على إعادة الاستقرار ونشر الأمان، وتمثل الخلاص فى حركة طالبان، التى بدأت نشاطها فى يوليو ١٩٩٤، كرد فعل على الفوضى والفساد، واستطاعت خلال عامين أن تسيطر على معظم الأراضى الأفغانية، وأن تبايع الملا محمد عمر أميراً للمؤمنين.

لم يكن اللقاء بين حركة طالبان والقاعدة إلا تعبيراً موضوعياً عن التقارب الكبير بينهما على الصعيد الفكرى، وإن تفوقت القاعدة على المستوى التنظيمى وفى القدرة على استثمار معطيات العصر وأدواته التكنولوجية المتقدمة. ومن داخل الأراضى الأفغانية، وبدعم كامل من حركة طالبان، بدأت القاعدة مرحلة جديدة حافلة بالتحولات والانجازات العملية.

مؤتمر شرم الشيخ وبداية المواجهة مع الولايات المتحدة

فى إشارة بالغة الوضوح حول بداية دخول الأمريكيين والغرب حزام عمليات القاعدة الإرهابية، وبدايات التنظير للانتقال من العدو القريب (الحكومات الوطنية فى البلدان الإسلامية) إلى مفهوم جديد أطلقنا عليه اسم (حلف الأعداء)، تمييزاً لمفهوم مغلوط شاع

لدى عدد كبير من الباحثين، وهو مفهوم (العدو البعيد)، «يلفت الظواهرى إلى أن البداية كانت مع انعقاد مؤتمر شرم الشيخ بمصر فى مارس من عام ١٩٩٦».

يزعم الظواهرى أن المؤتمر كان هدفه «الاتفاق على تأمين إسرائيل من هجمات الإسلاميين». ويضيف الظواهرى: «وبرعاية أمريكا وتوجيهها انعقدت مؤتمرات وزراء الداخلية العرب، وانتهت إلى توقيع اتفاقية مكافحة الإرهاب التى يضيفون إليها كل عام قيداً جديداً». ويستدرك: «لم تكتف أمريكا بالاتفاقات والمؤتمرات فقط، بل حركت منظمتها (هيئة الأمم المتحدة) لإستصدار قرار بفرض العقوبات الاقتصادية على أفغانستان لامتناعها عن تسليم من تطلبهم أمريكا وعلى رأسهم أسامة بن لادن». ويضيف: «لقد استطاعت أمريكا بتفردها بالتفوق العسكرى بعد سقوط الاتحاد السوفيتى أن تفرض إرادتها على كثير من الحكومات، وكان من نتائج هذه السيطرة فرض الاتفاقات الأمنية على كثير من البلاد، وبذلك اتسع نفوذ الحكومات التابعة لها فى مطاردة المجاهدين فى كثير من البلدان. ولا شك أن هذا قد أثر على مرونة الحركة الجهادية، ولكنه تحد جديد واجهته الحركة بما يكبحه وهو إدخال أمريكا كهدف فى المعركة».

وقد تناولت الحوارات التى دارت داخل مجلس شورى «القاعدة» ـ بعد الاستقرار فى جوار طالبان ـ سؤالاً محورياً: «كيف نحارب أمريكا؟» القوة الأولى فى العالم، ولكن السؤال الذى لم يطرح نفسه أبداً هو لماذا نحارب الولايات المتحدة؟. كانت النقاشات متفرقة الأوقات، متداخلة الموضوعات، وأكثرها تم فى جلسات (مواربة)، أى نصف مغلقة يمكن حضورها حتى لبعض (الضيوف) وهم يشاركون فيها عن خبرة بموضوعاتها المطروحة أحياناً وبدون هذه الدراية فى أغلب الأحيان.

ويقول الظواهرى: «كعادة العرب (المجاهدين على الأقل) لم يسفر كل ذلك عن شىء مكتوب لتحديد السياسات والخطوط العامة للعمل، فهم يكرهون الثوابت ولا يطيقونها، ويغرمون بدلاً عنها بالارتجال والبداهة فى كل الأعمال، وبالتالى ليس هناك ذلك الشىء الذى يدعى فى الغرب (إستراتيجية)». ويمضى الكاتب قائلاً: «تحت أشجار الصنوبر على قمم تورا بورا، وقريباً من مغارات شهدت معارك وسالت قربها دماء»، وكان هناك مجموعة من الأفكار العامة يمكن تبويبها كما يلى:

ـ أن أمريكا لن تسحب قواتها من الخليج، بدون قتال، لذا لابد من إعلان الجهاد لإخراجها.

ـ أن النفط هو الجائزة الكبرى التى حصلت عليها أمريكا بالوجود فى منطقة الخليج، والنفط هو السلعة التى تؤمن لأمريكا سيطرة على الاقتصاد العالمى، وبالتالى على السياسة العالمية وتمدها بالمال الكافى لتطوير أسلحة تمكنها من إرهاب العالم كله.

ـ الوجود الأمريكى مرتبط عضوياً بالاحتلال الإسرائيلى لفلسطين، وللمشاريع الوشيكة لإنشاء (إسرائيل الكبرى)».

توسيع نطاق المواجهة

وبناء على ما سبق، اقترح بعض قادة التنظيم توسيع دعوة القتال وحركته لتشمل الأمة الإسلامية كلها فى مواجهة الولايات المتحدة وإسرائيل.. فى تحرك إسلامى (أممى) يحتاج إلى إدارة لا مركزية، وبرنامج عمل واسع يشمل فئات شتى مختلفة القدرات. على أن تتولى قيادة المشروع طرح أساليب العمل وتبنى إستراتيجية مرنة تسمح بإطلاق العنان للمبادرات الفردية داخل التنظيم. وباختصار، أصبح المشروع المقترح مشروع أمة وليس مشروع تنظيم أو جماعة، كما أنه أوسع بكثير من مجرد مواجهة عسكرية أو سلسلة عمليات، وإن كان للعمل العسكرى مكانة حيوية فيه.

وفى إطار هذا التصور وطالما أن بن لادن صاحب المشروع سيكون بشكل تلقائى هو قائده، لذا أقترح عليه البعض مقترحات منها عدم الارتباط بتنظيم معين، وإلا انحصر العمل بعد فترة إلى مجرد مواجهة بين ذلك التنظيم والولايات المتحدة، كما أن نظرة الأوساط الإسلامية خارج هذا التنظيم ستكون سلبية أو محافظة، وقد لا تعطى التفاعل المطلوب. وعليه، إما أن يقوم بحل تنظيم «القاعدة» أو الاستقالة من قيادته والتعامل معه على قدم المساواة مع أى تنظيم إسلامى آخر، أى بدون الانغماس فى قيادة مباشرة للتنظيم. ولكن بديلاً عن «القاعدة» يستعيض بن لادن بمجلس «الإدارة المواجهة» يؤدى مهام سياسية وثقافية واقتصادية، ولا يشارك مباشرة فى إدارة أى مجهود عسكرى، تاركاً ذلك لجهاز عسكرى له قيادة خاصة.

أفغانستان والمجاهدون العرب مرة أخرى

فتحت أفغانستان مرة أخرى ـ فى عهد طالبان ـ ذراعيها لاستقبال المقاتلين العرب من كافة الجنسيات، وسرعان ما وجدت الفئات المطاردة والمشردة من كوادر وأعضاء التيار الجهادى فى أفغانستان ملاذاً آمناً، وربما إجبارياً مع استعار حملات المطاردة أو ما سمى بـ (الحرب الدولية لمكافحة الإرهاب) بقيادة الولايات المتحدة التى انطلقت منذ أوائل التسعينيات واشتدت بعد عام ١٩٩٥. فبدأ هؤلاء يتسللون فرادى ومجموعات إلى أفغانستان، ليبدأ العرب جولتهم الثانية فى أفغانستان مع النصف الثانى من عام ١٩٩٦. ومع الترحيب وحسن الجوار الذى أبداه الطالبان لتلك الطلائع القادمة، وفى مقدمتهم الشيخ أسامة ومجموعة من عناصر تنظيم القاعدة. وبعض الرموز والجهاديين من قدماء الأفغان العرب.. بدأت الساحة تستهوى عموم الجهاديين وأصحاب الطموح باستئناف المسار إلى هناك.

وخلال عام ٢٠٠٠ كانت المعسكرات والمضافات العربية قد انتشرت فى مدن أفغانستان الرئيسية ولاسيما العاصمة كابل، والعاصمة الروحية لطالبان (قندهار)، والمدن الشرقية مثل خوست وجلال آباد. وبدأ المهاجرون الجدد والمحاربون القدماء من الأفغان العرب حملة إعلام واتصالات لاستقبال المزيد من المهاجرين، ونشطت حركة القدوم رغم الحصار السياسى والاقتصادى والحملة الإعلامية والدولية التى أحاطت بالإمامة الإسلامية الوليدة من كل جانب. ويقدر عدد الذين قدموا وغادروا أفغانستان خلال هذه المرحلة (١٩٩٦ ـ ٢٠٠١)، بلغ عدة آلاف من الرجال، ولكن الذين استقروا منهم فى أفغانستان يقدرون نحو (٣٥٠) أسرة ونحو (١٤٠٠) مجاهد ومهاجر عربى من مختلف الجنسيات، بالإضافة لعدة مئات من أرباب الأسر والمجاهدين والمهاجرين من وسط آسيا، ولاسيما من أوزبكستان وطاجيكستان التى واجهت فيها الحركات الإسلامية ضربات قوية على يد النظم الشيوعية أنذاك. وكذلك من تركستان التى تحتلها الصين.

وخلال هذه الأجواء، تواجدت التنظيمات الجهادية العربية الرئيسية، وانتعشت لدى قياداتها القديمة الآمال باستئناف مسارها فى الإعداد والبناء، ومتابعة أهدافها القديمة فى إحياء الجهاد فى بلادها من أجل إقامة حكومات إسلامية على انقاضها بحسب تصوراتهم.

وفى فبراير من عام ١٩٩٨ فوجئ الرأى العام العالمى بشكل عام والمتابعون لظاهرة الجماعات الإسلامية المسلحة بشكل خاص ببيان وقعه عدد من قادة الشبكات الإسلامية المسلحة فى العالم على رأسهم أسامة بن لادن، وأيمن الظواهرى، ورفاعى طه أحمد رئيس مجلس شورى الجماعات الإسلامية بمصر، ومنير حمزة سكرتير جمعية علماء باكستان، وفضل الرحمن أمير حركة الجهاد فى بنجلاديش. أعلن الموقعون على البيان عن تأسيس ما أطلقوا عليه «الجبهة العالمية لقتال اليهود والأمريكان».

وأكدوا فى بيانهم على أن حكم قتل الأمريكيين وحلفائهم مدنيين كانوا أم عسكريين، فرض عين على كل مسلم أمكنه ذلك فى كل بلد تسير فيه حتى يتحرر المسجد الأقصى والمسجد الحرام من قبضتهم وحتى تخرج جيوشهم من كل أرض الإسلام مشلولة اليد كسيرة الجناح عاجزة عن تهديد أى مسلم. وكان هذا البيان إعلاناً عن بداية مرحلة جديدة من مراحل المواجهة مع التنظيم الأخطر فى العالم.

فى كتابه «فرسان تحت راية النبى»، أوضح الظواهرى إستراتيجية التنظيم الجديدة مؤكداً وجوب نقل المعركة إلى أرض العدو (فى إشارة إلى الولايات المتحدة). وقرر الظواهرى «إن علينا أن ننقل المعركة إلى أرض العدو حتى تحترق أيدى من يشعلون النار فى بلادنا».

عقب الإعلان عن قيام الجبهة بدأت مطاردة محمومة شملت العديد من دول العالم قادها رجال المخابرات المركزية الأمريكية ضد رجال أسامة بن لادن والظواهرى وتحديداً قادة جماعة الجهاد المصرية. وخلال ستة أشهر راحت المخابرات الأمريكية تطارد العناصر التابعة لتنظيمى القاعدة والجهاد فى كل بقعة من بقاع العالم.

وفى هذا الإطار، قامت القاعدة بتنفيذ عدد من العمليات، كان أهمها عمليتى نيروبى ودار السلام، وتدمير المدمرة كول. قبل تنفيذ عمليتى نيروبى ودار السلام، تعهد الظواهرى قبل ثلاثة أيام فقط من الحادث بالانتقام من أمريكا عبر بيان نشرته جريدة الحياة آنذاك رداً على اعتقال ثلاثة من قادة الجماعة أثناء وجودهم فى ألبانيا وتسليمهم إلى مصر. بالطبع لم يكن هذا هو السبب الوحيد الذى كمن وراء تفجيرات نيروبى ودار السلام فقد كانت هذه السفارات تضم أكبر قواعد لوكالة الاستخبارات الأمريكية المركزية فى منطقة

شرق أفريقيا وجنوب غرب آسيا، كما أن انتصار المجموعات الأسلامية المسلحة على القوات الأمريكية وإجبارها على الإنسحاب من الصومال عزز من طموحات هذه الشبكات في إلحاق الهزيمة بالولايات المتحدة، وإرغامها على الخروج بنفوذها وأجهزة استخباراتها من هذه المنطقة بشكل كامل.

في محاولة ناجحة لصرف أنظار أجهزة الاستخبارات الأمريكية عما يخطط له تنظيم القاعدة في قلب نيويورك وواشنطن قام رجلان - وفقاً لتقرير أمريكي - «كانا يملأن أشداقهما بنبات القات المخدر» بركوب قارب مطاطي مستعمل لا يزيد ثمنه على مائتي دولار والاصطدام بالمدمرة (يو. إس كول) ليحولا أروع المفاخر في الترسانة البحرية الأمريكية، إلى «بطة مكسورة الجناح تعرج فوق الموج عاجزة ومهانة».

وبعد أقل من عام من فجر عدد من أعضاء تنظيم القاعدة بأوامر مباشرة من الظواهري القائد الميداني للتنظيم، وبمباركة من بن لادن، عدداً من المباني المهمة في كل من نيويورك وواشنطن ليدخل الصراع بين القاعدة والولايات المتحدة إلى مرحلة جديدة، حيث انتقلت القاعدة إلى طرح برنامج مختلف اتسم بالمزيد من الشمول في مواجهة حلف الأعداء.

مواجهة شاملة وآليات جديدة

يقرر الظواهري «أن تنامي الحركة الإسلامية وزيادة المقاومة للوجود الصهيوني ولسياسات الاستسلام له بلغت من القوة والحدة لدرجة رأت عندها أمريكا أن وكلاءها ليسوا فقط عاجزين رغم كل المساعدات التي تقدم لهم، ولكن خصمهم أيضاً قد بلغ من القوة درجة لابد من التصدي له بالقوة العسكرية المباشرة المستعدة والمتمركزة في ميدان الصراع». ويقول: «إن أمريكا في إطار سعيها لسد الطريق أمام أي مد إسلامي في طريقه للسلطة في المنطقة تقوم بمحاولة لتثبيت أوضاع، يكون من العسير على أي تحرك إسلامي يصل للحكم أن يغيرها إلا بمجهود جبار خاصة في بداية حكمه، ما يوفر ضمانة مستقبلية لأمن إسرائيل».

ويشدد الظواهري على عالمية المواجهة بين أهل الكفر متحدين، وأهل الإيمان محصورين في القاعدة ومن والاها كفكرة محورية تحولت بفعل ظروف عديدة إلى دستور آمن به قادة القاعدة وجعلوه شعارهم الأساسي في المعركة ضد الجميع. يقول الظواهري

إن «أى مراقب محايد لابد أن يلمح عدة ظواهر بدأت فى التشكل فى عالمنا الإسلامى بشكل عام منها:

أ ـ عالمية المعركة: فالقوى الغربية المعادية للإسلام حددت عدوها بوضوح وهو ما نسميه بالأصولية الإسلامية ودخل معها فى هذا الحلف عدوتهم القديمة روسيا، واتخذوا عدة أدوات لمحاربة الإسلام منها: الأمم المتحدة، الحكام الموالون والحاكمون لشعوب المسلمين، الشركات متعددة الجنسيات، أنظمة الاتصال الدولية وتبادل المعلومات، وكالات الأنباء العالمية وقنوات الإعلام الفضائية، منظمات الإغاثة الدولية التى تستخدم ستاراً جاسوسية والتبشير وتدبير الانقلابات ونقل الأسلحة».

وفى معرض تحديده لسبل المواجهة بين الحلفين الجديدين وأليات إدارة المعركة بين الفريقين.

يقول الظواهرى: «ومع ظهور هذه الطائفة الجديدة من الإسلاميين الذين طال غيابهم عن واقع الأمة، يزداد بين كل أبناء الإسلام الحريصين على نصرته وعى جديد خلاصته لا حل إلا بالجهاد». ويضيف «لقد ساعد على انتشار هذا الوعى فشل كل الوسائل الأخرى التى حاولت أن تهرب من تحمل عبء الجهاد، وكانت تجربة الجزائر درساً قاسياً فى هذا الصدد، أثبتت للمسلمين أن الغرب ليس فقط كافراً، ولكنه أيضاً كاذب ومنافق، فمبادئه التى يتشدق بها حكر عليه وحده، وملك خاص به، لا يجب أن تشاركه فيها شعوب الإسلام إلا كما يشارك العبد سيده فى الفتات المتبقى من طعامه».

ويحدد الظواهرى طريق النصر على الأعداء المتحدين بقوله: «يجب على الحركة الجهادية أن تقترب من الجماهير وتدافع عن حرماتها، وتدفع الظلم عنها، وترشدها إلى طريق الهداية، وتقودها إلى النصر، وتتقدم أمامها فى ميدان التضحية، وأن تجتهد فى إيصال قضيتها إليها بأسلوب يجعل الحق ميسوراً لكل طالب وليس مستغلقاً عن كل راغب، وأن تجعل الوصول إلى أصول الدين وحقائقه مبسطاً خالياً من غلو المصطلحات وتقعر التركيبات».

ولا ينسى الظواهرى أن يذكر كوادره باستخدام شعارات مفهومة من قبل الأمة فى محاولة لتجيشها خلفهم، وهو ما يوضح لنا لماذا يكثر قادة القاعدة من استخدام شعارات العداء لإسرائيل والولايات المتحدة.

«أما القيادة فعليها أن تخوض معركة توعية الأمة عن طريق:

- كشف الحكام المحاربين للإسلام.

- وإبراز أهمية الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين فى عقيدة المسلم.

- وبتحميل كل مسلم المسئولية فى الدفاع عن الإسلام ومقدساته وأمته ودياره.

- وبالتحذير من عمائم السلطان، وبتذكير الأمة بحق علماء الجهاد وأئمة التضحية عليها، وواجبها فى نصرتهم وحمايتهم وتوقيرهم والاقتداء بهم والدفاع عنهم.

- وبكشف مدى العدوان على عقيدتنا ومقدساتنا ومدى النهب الذى تتعرض له ثرواتنا».

ويلح الظواهرى على ضرورة إيجاد قاعدة إسلامية فى قلب العالم الإسلامى تنطلق منها الحركة الجهادية نحو حكم العالم وإقامة الخلافة الإسلامية، ويضيف أن «كل ما استعرضناه من وسائل وخطط لحشد الأمة وتجييشها سيظل مكسباً معلقاً فى الهواء دون نتيجة ملموسة وعائد مشاهد ما لم يؤد إلى إنشاء دولة الخلافة فى قلب العالم الإسلام».

ويفسر الظواهرى من خلال رؤيته الجديدة للمتابعين لحركات الإسلام السياسى الكثير مما غمض عليهم من الإستراتيجيات التى تقوم بتبنيها تلك التنظيمات فى عدد من بلدان المواجهة، فى السعودية والعراق واليمن ومصر والجزائر والمغرب، إذ يوضح أن «على الحركة المجاهدة أن تصبر على البناء حتى تستوفى أركان النصر، وتحشد من الإمكانيات والأنصار والخطط ما يمكنها من أن تخوض المعركة فى الزمان والميدان اللذين تختارهما».

ويطرح الظواهرى سؤالاً ذكياً فى محاولة منه لصب كل الجهود فى إطار معركة القاعدة:

«ولكن كيف وضد من نخوض الصدام؟». ويجيب: «هنا علينا أن نستعيد ما أوضحناه من طبيعة تركيب النظام العالمى المعادى للإسلام وعلاقته بالأنظمة الحاكمة فى بلادنا، وما أكدناه من وجوب حشد الأمة فى معركة الإسلام ضد الكفر، وما حذرنا منه من خطورة أن تقتل الطليعة المسلمة فى صمت فى معركة النخبة أو الصفوة ضد السلطة». ويضيف: «لذا فإذا جرتنا القوى الظالمة إلى معركة فى وقت لا نريده، فعلينا أن نرد فى الميدان الذى نريده ألا وهو: ضرب الأمريكان واليهود فى بلادنا، وهنا نكسب ثلاث مرات: الأولى حين نوجه الضربة إلى السيد الكبير الذى يحتمى بعميله من

ضرياتنا. والثانية: حين نضم الأمة إلى صفنا باختيارنا لهدف تؤيد ضربه وتتعاطف مع من يضربه.. ونكسب مرة ثالثة بكشف النظام أمام الشعب المسلم حين ينقض علينا دفاعاً عن سادته الأمريكان واليهود، مظهراً وجهه القبيح؛ وجه الشرطى الأجير المتفانى فى خدمة المحتلين أعداء الأمة المسلمة».

ومرة أخرى يحاول الظواهرى رسم مسار أخر لأساليب المواجهة التى يراها ضرورية فى مواجهة التفوق فى الإمكانات العسكرية والبشرية التى تمتلكها الجيوش النظامية فيقول: «على الحركة الإسلامية المجاهدة أن تصعد من أساليب ضربها ووسائل مقاومتها لأعدائها لكى تقابل الزيادة الهائلة فى حجم أعدائها وفى نوعية أسلحتهم وفى قدراتهم التدميرية. ونركز على الآتى:

- الحرص على إحداث أكبر خسائر فى الخصم وإنزال أضخم إصابات فى أفراده، فهذه هى اللغة التى يفهمها الغرب مهما تكلف إعداد مثل هذه العمليات من جهد ووقت.

- التركيز على أسلوب العمليات الاستشهادية بوصفها أنجح الأساليب فى النكاية فى الخصم، وأقلها خسائر للمجاهدين.

- يجب اختيار الأهداف ونوع ووسيلة السلاح بحيث تؤثر على مفاصل بنيان العدو، وتردعه ردعاً يكفه عن بطشه واستكباره واستهانته بكل المحرمات والأعراف، ويعود بالصراع إلى حجمه الحقيقى».

القاعدة بعد ١١ سبتمبر

«كان من السهل علينا لو أن تنظيماً مركزياً مثل القاعدة ظل داخل أفغانستان، فنحن الآن بدلاً من مواجهة هدف كبير وثابت، أصبح لدينا أهداف صغيرة متحركة فى شتى أنحاء العالم، وكلها مسلحة وخطيرة، وبهذه الطريقة أصبحت حرباً أكثر صعوبة». بهذه الرؤية لخص جورج تينت، مدير جهاز الاستخبارات الأمريكى الأسبق، المأزق الذى تواجهه الولايات المتحدة فى مواجهة تنظيم القاعدة أثناء شهادته أمام الكونجرس. فمع دخول القوات الأمريكية إلى أفغانستان وحصار زعماء القاعدة فى جبال تورا بورا، فر الجزء الأكبر منهم إلى منطقة الحدود بين أفغانستان وباكستان.. وشرع جيل جديد من كوادر التنظيم فى الاضطلاع بمسئوليات القيادة.

خريطة الجماعات الجهادية فى أفغانستان قبل تفجيرات سبتمبر

كانت الحركات الجهادية فى أفغانستان قبيل إعلان الولايات المتحدة الحرب على الإمارة الطالبانية قد وصلت إلى أربع عشرة حركة مستقلة عن بعضها البعض. وكانت المعسكرات الخاصة بتلك الحركات معترفاً بها رسمياً من قبل طالبان وتربطهم بوزارات الدفاع والداخلية والاستخبارات برامج تنسيق وتعاون، سواء فيما يتعلق بجهادهم إلى جانب طالبان، أو فيما يتعلق ببرامجهم الذاتية.

أ ـ المجموعة العربية

ـ تنظيم القاعدة بزعامة الشيخ أسامة بن لادن. وقد بايع بن لادن أمير المؤمنين بيعة إمامة.

ـ الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا، وكان أميرهم أبو عبد الله الصادق المعتقل حالياً. وركز برنامجهم على الإعداد لجهاد نظام القذافى فى ليبيا والمشاركة فى دعم القضايا الجهادية بشكل عام، والمساهمة فى دعم طالبان.

ـ الجماعة الإسلامية المجاهدة فى المغرب (مراكش). وركز برنامجهم على إعداد وتدريب عناصرهم الذين يفدون ويغادر أكثرهم، بهدف الجهاد ضد النظام الحاكم فى المغرب الأقصى. وكان أميرهم يدعى أبو عبد الله الشريف.

ـ جماعة الجهاد المصرية، وكانت قد تقلصت إلى حد كبير، وركزت على إعادة بناء الجماعة ولم شتاتها بهدف جهاد النظام الحاكم فى مصر. وكان أميرهم الدكتور أيمن الظواهرى.

ـ الجماعة الإسلامية المصرية، وهى مجموعة صغيرة جداً، انحصر وجودها بصفة الهجرة، ولم يكن لها نشاط مهم بعد تبنى مبادرة وقف جهاد النظام المصرى والتى عرفت باسم «مبادرة وقف العنف». وأقام أكثر رموزهم فى إيران، وانتقل بعضهم فى عهد طالبان إلى أفغانستان.

ـ تجمع المجاهدين الجزائريين، وكان هدفهم لم شمل من استطاعوا من كوادرهم لإعادة ترتيب الجهاد فى الجزائر بعد النكبات التى منى بها.

ـ تجمع المجاهدين من تونس، وكان هدفهم الإعداد والتدريب وجمع الشباب التونسى بغية الجهاد فى تونس. وكان لمعسكرهم مساهمات تدريبية، وكان من بينهم كوادر سبق لها الجهاد فى البوسنة.

ـ تجمع المجاهدين من الأردن وفلسطين، وركز برنامجهم على الإعداد والتدريب بهدف الجهاد فى الأردن وفلسطين. وكان أميرهم أبو مصعب الزرقاوى.

ـ معسكر خلدن (معسكر تدريبى عام)، وهو من أقدم المعسكرات العربية، ويعود تأسيسه إلى مرحلة مكتب الخدمات والشيخ عبد الله عزام. وكان أميره الشيخ الملقب ابن الشيخ ـ صالح الليبى، يعاونه أبو زبيدة. وكانت أهداف المعسكر تدريبية محضة لدعم الجهاد فى كل مكان. وبلغ عدد من تدربوا فيه منذ تأسيسه سنة ١٩٨٩ العشرين ألفاً.

ـ معسكر الشيخ أبو خباب المصرى، وهو معسكر تدريبى عام متخصص فى التدريب على تصنيع المتفجرات والكيمياويات واستخدامها.

ـ مجموعات معسكر الغرباء، وكانت مرتبطة بالطالبان وكان لها أيضاً معسكر تدريبى عام ومركز دراسات وأبحاث ومحاضرات. وقد تم تأسيسها عام ٢٠٠٠ كمدرسة تدريبية تقوم بالإعداد الفكرى والمنهجى السياسى والشرعى والتربوى والعسكرى الشامل.

ب ـ المجموعات غير العربية

ـ المجاهدون الأوزبك، وكانت أكبر المجموعات من حيث العدد، وانحسر برنامجهم فى نقل الجهاد إلى أوزبكستان للإطاحة بنظام كريموف الشيوعى. وقد بايع أميرهم محمد طاهر جان الملا محمد عمر بيعة إمام عام، كما بايعه نائبه القائد العسكرى الشهير جمعة باى. وكان لهم برنامج طموح للتجنيد والدعوة فى أوساط الأفغان الأوزبك.

ـ المجاهدون من تركستان الشرقية المحتلة من قبل الصين: وكانت مجموعة محدودة، هاجر أكثرهم فراراً من الحكم الصينى خفية، وكان برنامجهم تربوياً شاملاً بعيد المدى نظراً للظروف الصعبة التى يعيشها المسلمون فى تركستان الشرقية بعد أن طبقت الحكومات الصينية المتعاقبة سياسة الهجرة الصينية إلى إقليمهم.. وقد بايعت المجموعة الملا محمد عمر بيعة عامة أيضاً، فطلب إليهم وقف برنامجهم العملى ضد الصين

والاكتفاء بتربية من يلحق بهم، نظراً لحاجة الطالبان لعلاقات جيدة مع الصين توازن الضغوط الأمريكية، فالتزموا ذلك.

- المجاهدون الأتراك، وكانوا مجموعة صغيرة من الأكراد والأتراك، عملوا بشكل سرى جداً، وكان برنامجهم تدريبياً فقط.

كان هذا هو واقع الحركات الجهادية العربية والأجنبية داخل أفغانستان قبيل انطلاق أول فوج من سلاح الجو الأمريكى فى السابع عشر من أكتوبر حاملاً معه مئات القنابل الذكية ليصبها على رؤوس الأفغان.

انتشار التنظيم وبناء الشبكة

كان أسامة بن لادن يعى جيداً ما ستقوم به الولايات المتحدة الأمريكية رداً على هجوم القاعدة على مدنها، كما كان يُقدر أن المواجهة بينه وبينهم ستطول إلى أمد غير محدود، لهذا حاول قدر استطاعته أن يعد العدة جيداً لمرحلة قد تكون من أصعب مراحل المواجهة بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية على الإطلاق. ولعل ما كشفه خالد أبو الدهب أحد المتهمين فى قضية «العائدون من ألبانيا» (عام ١٩٩٩) فى أقواله أمام النيابة العسكرية يصب فى هذه المجهودات فقد كشف أبو الدهب عن رحلة سرية قام بها أيمن الظواهرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٥، جال خلالها أكثر من ولاية، وقام بتجنيد العديد من العناصر التى أطلق عليها فيما بعد مصطلح «الخلايا النائمة».

كان بن لادن قد قام باستغلال وضعه كمستشار اقتصادى لإمارة أفغانستان، ومسئول عن تسويق الأفيون فى كافة أنحاء العالم فى الفترة من ١٩٩٦ وحتى ٢٠٠١ (عندما اتخذ الملا عمر قراراً بعدم زراعته)، فى إقامة مشروعات اقتصادية فى عدد من دول العالم شملت أوروبا وأمريكا تصلح غطاء للخلايا النائمة من جهة، وتقوم من جهة أخرى بالحلول محل التمويل المباشر لعمليات القاعدة، والتى كان يقوم بها أسامة بن لادن عن طريق السعاة.

هذه التغييرات فى بنية تنظيم القاعدة، والتى شملت استحداث مفهوم الخلايا النائمة، وخلق سبل جديدة لتمويل العمليات المستقبلية عبر مشروعات غير مكشوفة لأجهزة

الاستخبارات العالمية، جعلت عملية متابعة أنشطة التنظيم عملية شديدة الصعوبة، سواء على المستوى العملياتى أو مستويات التجنيد والتمويل والتمويه.

وجاءت هجمات أكتوبر ٢٠٠١ الأمريكية على أفغانستان لتمنح القاعدة، على عكس ما كان متوقعاً، مجالاً أوسع للحركة فقد توزعت كوادر التنظيم على قسمين، قسم ذهب مع بن لادن والظواهرى إلى منطقة القبائل، على الحدود بين باكستان وأفغانستان، والقسم الآخر خرج مستخدماً الأراضى الإيرانية نحو العراق، ليستقر فى مناطق الشمال التى كان يسيطر عليها آنذاك جماعة أنصار الإسلام الكردية.

كان إقليم كردستان أحد المعابر الرئيسية من وإلى أفغانستان فى فترة ما قبل حرب الخليج الثانية، وظل كذلك حتى ما بعد تلك الحرب وبدايات عام ١٩٩٦. لكنه تحول إلى العكس بعد شن الولايات المتحدة الحرب على أفغانستان، حيث أصبح الإقليم ملجأ لكوادر القاعدة الهاربة من جحيم القاذفات الأمريكية. فقبيل الاحتلال الأمريكى للعراق، وبعد أن قامت إيران بالقبض على بعض المتعاطفين مع حكومة طالبان والقاعدة، فر كثير منهم إلى كردستان خاصة الذين يعرفون كيف يسلكون الطرق الجبلية الوعرة.

وعلى الرغم من الخسارة الفادحة التى منى بها التنظيم من جراء الحملة الأمريكية على الإرهاب (أكثر من ثلاثة آلاف قتيل بالإضافة إلى مئات من المعتقلين والمطاردين) إلا أن الظروف المالية والإقليمية كانت تعمل لصالح بقائه وتجذره. كما استطاع التنظيم التجاوب مع تحديات المرحلة الجديدة بشكل يُحسد عليه، فمن الناحية التنظيمية جرى تفكيك مركزية التنظيم، وتم ابتكار أساليب جديدة فى التجنيد وتأمين الأفراد والقادة وأماكن الهروب والاختفاء، وتوفير الموارد المالية اللازمة للعمليات المستقبلية، كما برز جيل جديد من القيادات الشابة فى أنحاء مختلفة من العالم، وانحصر دور القادة التاريخيين للقاعدة أمثال أسامة بن لادن وأيمن الظواهرى فى الظهور بين الحين والآخر لرفع المعنويات وتحفيز الهمم والإعلان عن الأهداف العامة.

وعلى الصعيد العسكرى تم توسيع رقعة تنفيذ العمليات العسكرية لتشمل بالإضافة لاستهداف العمق الأمريكى، ضرب عدد من المصالح الأمريكية فى عدد من دول العالم المختلفة، (السعودية، والعراق) كما تم دمج عدد من الدول المتحالفة مع الولايات المتحدة

كأهداف لعمليات التنظيم العسكرية، على نحو ما حدث في باكستان وأسبانيا والمغرب وأندونيسيا وبريطانيا ومصر والأردن.

ومن الناحية الفكرية برز فقه جديد يسعى للتعاطي مع مرحلة ما بعد الحادى عشر من سبتمبر بما تطرحه من تحديات أمنية وفقهية على التنظيم، فعلى الصعيد الأمنى برزت كتابات مختلفة حول تأمين القيادات والأفراد، وكيفية المحافظة على المعلومات، وطرق تجنيد الأعضاء الجدد. وعلى الصعيد الفقهى سعى فقهاء التنظيم إلى التعامل مع القضايا الفقهية التى فجرتها المرحلة الجديدة، وفى مقدمتها خطف الرهائن، وذبح الأسرى، وشرعية قتل النفس مخافة إفشاء الأسرار.

هذا التطور فى مسيرة القاعدة جاء استجابة لمتغيرات مفصلية جرت على أرضية المواجهة بين التنظيم والولايات المتحدة الأمريكية، كان أهمها:

أولاً: الإطاحة بتنظيم طالبان الحاكم فى أفغانستان، وبداية عملية مطاردة واسعة ضد قادة وعناصر القاعدة الذين كانوا يتخذون من أرض أفغانستان مقرًا آمناً لهم.

ثانياً: اختفاء القادة التاريخيين لتنظيم القاعدة (أسامة بن لادن وأيمن الظواهرى) بالإضافة لمقتل وأسر عدد كبير من كوادر التنظيم القيادية.

ثالثاً: إعلان الحرب على الإرهاب عالمياً من خلال ائتلاف دولى تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية، واعتماد الائتلاف الجديد لشعار «من ليس معنا فهو ضدنا»، الأمر الذى دفع بالعديد من دول العالم المختلفة وفى مقدمتها الدول العربية والإسلامية إلى تقديم مساعدات كبرى لهذا الإئتلاف.

رابعاً: الاحتلال الأمريكى للعراق وبروز جماعات «للمقاومة» تتبنى إستراتيجية القاعدة وتسير وفق منهجها.

خامساً: تبنى مجموعات المقاومة تلك لأسلوب جديد فى المواجهة شمل خطف وذبح الرهائن، واعتماد العمليات الفدائية كأسلوب وحيد فى مواجهة قوات الاحتلال.

هذه المتغيرات هى التى ولدت تكتيكات جديدة، ومناهج متغيرة أضفت على تنظيم القاعدة ما بعد الحادى عشر من سبتمبر شكلاً جديداً.

وكان تنظيم القاعدة قد وضع خطة لهروب مقاتليه إلى العراق عن طريق الأراضى الإيرانية فى حال حدوث هجوم أمريكى على أفغانستان. وقامت القاعدة بتكليف العقيد محمد مكاوى، ضابط الجيش المصرى، السابق ومسئول التدريب فى التنظيم بهذه المهمة، نظراً لكونه مسئول الاتصال بين التنظيم والحرس الثورى الإيرانى آنذاك.

وفى ديسمبر ٢٠٠١ وصل إلى الأراضى الإيرانية بصحبة مكاوى أكثر من خمسمائة مقاتل عربى بينهم مائة من المصريين، مكثوا أكثر من شهرين فى منازل مؤمنة على الحدود الإيرانية العراقية، ثم انتقلوا فى فبراير ٢٠٠٢ إلى الأراضى التى تسيطر عليها جماعة «أنصار الإسلام» الكردية الأصولية التى ظلت توفر المأوى والتدريب لكوادر تنظيم القاعدة حتى مارس ٢٠٠٣ عندما شنت الحكومة الأمريكية هجوماً مكثفاً على مواقع الجماعة.

وبعد تدمير مناطق الجماعة (الطويلة والبيارة)، بدأ المقاتلون العرب ومعهم قادة جماعة «أنصار الإسلام» فى التسلل إلى بغداد والمدن السنية العراقية، وكان فى مقدمة هؤلاء جماعة «جند الشام» التى كان يقودها آنذاك أبو مصعب الزرقاوى، وقد أطلق عليها الزرقاوى - فيما بعد - اسم «جماعة التوحيد والجهاد»، نظراً لدخول معظم كوادر جماعة الجهاد المصرية إليها. وقد انتشر هؤلاء المقاتلون فى البداية فى المدن التى كانت تخضع لنفوذ عدد من قادة وأنصار نظام صدام حسين، ضباط الحرس الجمهورى والمخابرات العامة. وقدر عدد من الخبراء الأمنيين العراقيين عدد المقاتلين العرب بشكل عام بخمسة آلاف.

وبعد فتح جبهة العراق واستقرارها سعت القاعدة إلى فتح عدد آخر من الجبهات، خاصة بعد الخسائر التى منى بها التنظيم على الجبهة السعودية. فقد سعى التنظيم إلى فتح الجبهة الأوروبية منذ مارس عام ٢٠٠٤ عندما قام بأولى عملياته فى مدريد، ثم جاءت تفجيرات لندن لتعلن عن الوجود الفعلى والقوى للتنظيم فى أوروبا.

ولم يقتصر توسيع نطاق عمل شبكة القاعدة على العراق وأوروبا فقط، فقد شمل ذلك أيضاً فلسطين ومصر. فقد لاحظ المراقبون والخبراء فى شئون الحركات الإسلامية تغيراً ملحوظاً فى الرسالة الأخيرة التى بثها تليفزيون الجزيرة قبل عشرة أيام من تفجيرات طابا منسوبة إلى أيمن الظواهرى القائد الميدانى لتنظيم القاعدة. ففى سياق حديثه عن

إعادة تنظيم المجاهدين لأنفسهم. أورد «فلسطين» مضافة إلى أفغانستان والعراق والشيشان ربما للمرة الأولى. لقد كان الظواهرى يعى ما يقوله جيداً. فطوال أكثر من ثلاث سنوات مضت على تفجيرات سبتمبر ٢٠٠١، كانت فلسطين هى نقطة الضعف الوحيدة التى يستخدمها منتقدو القاعدة وبن لادن، فالتنظيم - الأكثر حماسة للقضية الفلسطينية - لم يقدم شيئاً يذكر إليها، لا على الصعيد المادى ولا على الصعيد المعنوى، وذلك رغم الشعارات العديدة التى رفعها ضمن هذا السياق.

لذا كانت دعوة الظواهرى للشباب فى أكثر من مناسبة للجهاد (وفق طريقته)، نيلاً من اليهود فى أى بقعة من العالم انتصاراً للقضية الفلسطينية. وفى الرسالة نفسها يعيد الظواهرى تأكيد مقولته، مشدداً على «إن الدفاع عن فلسطين ليس حماساً وطنياً ولا عصبية قومية ولا صراعاً سياسياً، ولكنه قضية شرعية قبل كل شىء. فتحرير فلسطين فريضة عينية على كل مسلم، ولذا لا يستطيع المسلمون أن يتنازلوا عن فلسطين حتى ولو تخلت الدنيا كلها عنها».

وإذا أخذنا فى الاعتبار تحفظ حماس وكافة فصائل المقاومة الفلسطينية على قضية نقل الصراع مع العدو الصهيونى إلى خارج الأرض المحتلة، واعتباره خطأ أحمر، كان لابد أن نتوقع سرعة ظهور تيار جهادى ينطلق من أفكار القاعدة، يسعى للتصدى لهذه المهمة (نقل الصراع مع العدو الصهيونى خارج الأرض المحتلة). بل كان من المستغرب تأخر ظهور هذا التيار فى تلك الأرض التى جعلها شارون بجرائمه اليومية ضد المدنيين العزل تربة صالحة لهذا النبت.

ثم جاءت عملية طابا فى مصر لتؤكد توسيع نطاق المواجهة ليشمل مصر. ويستند تحليلنا لارتباط منفذى تفجير طابا فكرياً بتنظيم القاعدة إلى العوامل التالية:

- دقة التنفيذ الذى تميزت به العملية، الأمر الذى يوحى بمهارة وحسن تدريب المنفذين، وهذا يحتاج إلى وقت طويل وتدريب عال لا يمكن توافره إلا فى منطقة يكثر فيها حائزو السلاح ويتراخى فيها القضية الأمنية بشكل ملحوظ.

- محاولات تنظيم القاعدة منذ أكثر من ثلاث سنوات التواجد داخل المثلث (الأردنى - المصرى - الفلسطينى)، فى محاولة منه للتعاطى بشكل مباشر مع ساحة الصراع

العربى ـ الإسرائيلى، وهو ما كشف عنه أكثر من بلد فى المنطقة (إسرائيل والأردن).

ـ إعلان ثلاثة تنظيمات مجهولة مسئوليتها عن عملية التنفيذ (أهمهم على الإطلاق كتائب عبد الله عزام ـ تنظيم القاعدة فى بلاد الشام وأرض الكنانة)، الأمر الذى يؤكد بكارة هذه التنظيمات التى تحاول تدشين عضويتها فى شبكة القاعدة، عبر عملية عسكرية تهديها للتنظيم، كما حدث من قبل فى كل من بالى والمغرب وتونس ومدريد.

ولم يمض زمن قليل على تبلور الرؤية السابقة إلا وفاجأتنا أحداث شرم الشيخ، وبعدها محاولات نفس التنظيم (كتائب عبد الله عزام) إطلاق صواريخ كاتيوشا على بارجة أمريكية كانت ترسو بميناء العقبة الأردنى. إن هذه الإشارات تؤكد جميعها نجاح تنظيم القاعدة فى اختراق هذا المثلث من العالم العربى، الأمر الذى سيكون له توابع خطيرة فى المستقبل، خاصة بعدما طور التنظيم رؤيته الأمنية بشكل يصعب معه متابعة عناصره والقبض عليها قبل تنفيذها للأهداف التى خططت لها.

خاتمة: ماذا بعد؟

لقد استطاع تنظيم القاعدة، أن يتحول (خلال الأربع سنوات الماضية) من تنظيم هيكلى يمكن القضاء عليه باستهداف قادته البارزين وتجفيف منابع تمويله إلى حالة تسرى فى عقول ملايين من المسلمين المضطهدين حول العالم. وكسر التنظيم (الأخطر فى العالم حتى الآن) حلقة الهيكلية، قافزاً إلى مرحلة من التطور لم يصل إليها أى تنظيم عقائدى فى العصر الحديث. وهو الطور الذى جسده ودعا إليه أيمن الظواهرى القائد الميدانى للتنظيم فى كتابه «فرسان تحت راية النبى»، عندما دعا إلى ضرورة تقسيم العالم إلى حلفين: حلف يضم القوى الغربية المعادية للإسلام (على حد زعمه)، ومعها روسيا والحكام التابعون لهم فى الدول العربية والإسلامية، وحلف إسلامى يضم حركات الجهاد فى بلاد العالم الإسلامى المختلفة.

وأشار الظواهرى ـ فى دعوته السابق الإشارة إليها ـ إلى أن القوى المشاركة فى الحلف الأول (حلف الصليبيين) حصرها عدوها بوضوح، فى «الأصولية الإسلامية»، واتخذت لمحاربته أدوات عديدة منها: الأمم المتحدة، والحكام الطواغيت فى الدول العربية والإسلامية، والشركات متعددة الجنسية، وأنظمة الاتصال الدولية وتبادل المعلومات،

ووكالات الأنباء العالمية وقنوات الإعلام الفضائية، ومنظمات الإغاثة الدولية. وشدد الظواهري على أن حلف الأصوليين قد تبنى الجهاد أداة وحيدة في مواجهة كل هذه الأدوات التي يملكها «حلف الصليبيين».

وبينما كان الهدف النهائي الذي تمحورت حوله كافة الحركات الإسلامية الجهادية في العالمين العربي والإسلامي طوال القرن العشرين هو الوصول إلى السلطة وتأسيس الدولة الإسلامية، عبر حسم المواجهة مع العدو القريب ممثلاً في الأنظمة الحاكمة في تلك الدول، فاجأ الظواهري قادة وكوادر هذه الحركات بتغيير تلك الاستراتيجية (خلال الأربع سنوات السابقة)، بالإعلان عن عدم إمكانية «خضوع الصراع من أجل إقامة الدولة الإسلامية على أنه صراع إقليمي»، مضيفاً: «إن التحالف الصليبي اليهودي بزعامة أمريكا لن يسمح لأية قوة مسلمة بالوصول للحكم في أي من بلاد المسلمين، وأنه سيحشد كل طاقاته لضربها وإزالتها من الحكم إن تمكنت من الوصول». وأنهى الظواهري رؤيته بالقول: «إننا تكيفا مع هذا الوضع الجديد، يجب أن نعد أنفسنا لمعركة لا تقتصر على إقليم واحد، بل تشمل العدو الداخلي المرتد والعدو الخارجي الصليبي - اليهودي».

وحصر الظواهري دوره ودور زعماء القاعدة وفق الاستراتيجية الجديدة في التوعية والتحريض، مؤكداً «أن القيادة عليها أن تخوض معركة توعية الأمة عن طريق: كشف الحكام المحاربين للإسلام، وإبراز أهمية عقيدة الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين لدى كل مسلم. وتحميله المسئولية الكاملة في الدفاع عن الإسلام ومقدساته وأمته ودياره».

ولم ينس الظواهري وقادة التنظيم الجديد في خضم انشغالهم ببناء مشروعهم الجديد أن يختلقوا لغة وأسلوباً جديداً في التجنيد، وهو ما أطلقنا عليه «التجنيد عن بعد» أو «التجنيد الفكري» مستغلين إمكانات شبكة الإنترنت وسبل الاتصال الحديثة، وهو ما أنتج جيلاً جديداً من القاعدة لم ولن يرى بن لادن أو الظواهري، ولكنه مقتنع بخطاب القاعدة ويقوم بتنفيذ توجيهات قادتها دون أن يسأل أو يتساءل عن نتائج أفعاله. وهو ما وفر الآن خلايا عديدة تتحرك في جميع أنحاء العالم وفق توجيهات عامة، هدفها الرئيسي إلحاق الأذى بكل أطياف وأعضاء حلف أعداء بن لادن وتنظيم القاعدة من الصليبيين والأمريكيين والغربيين وحكومات الدول العميلة لهذا الحلف (وفق تصور ورؤية بن لادن).

الأمر الأخطر هو ميلاد عدد من مسارح العمليات على ساحة الإرهاب تحت تأثير عمل عولمة الإرهاب من جهة، وسهولة الاتصال من جهة أخرى. أخطر هذه المسارح على الإطلاق (بجانب المسرحين الأوروبى والأمريكى) هو مسرح عمليات منطقة شمال البحر الأحمر الذى يضم طابا وشرم الشيخ وإيلات والعقبة.. الخ والذى أصبح بديلاً فعلياً لأفغانستان فى مجالات التدريب والتجنيد والشحن المادى والمعنوى، وبديلاً للمملكة العربية السعودية التى باتت ساحة طرد لعناصر القاعدة المدربة بعد مواجهات أمنية عنيفة خسرت فيها القاعدة الكثير. هذا بالإضافة إلى ظروف المنطقة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى تدفع المزيد من شبابها إلى تبنى مزيد من العنف فى مواجهة مثلث القمع الحكومى ـ الأمريكى ـ الصهيونى. الأمر الذى يضعنا جميعاً هنا فى منطقة الشرق الأوسط فى مرمى نيران عمياء لا تملك إستراتيجية، ولا تسعى وراء هدف، شعارها الأهم هو«إرهاب الجميع».

ملحـق

(أبرز الاعتداءات التى تبناها تنظيم القاعدة أو نسبت إليه)

* ٢٦ فبراير ١٩٩٣: عملية تفجير مركز التجارة العالمى فى نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، والتى أسفرت عن ستة قتلى وألف جريح.

* ١٣ نوفمبر ١٩٩٥: انفجار سيارة مفخخة فى الرياض بالسعودية أمام مبنى للحرس الوطنى السعودى والذى أسفر عن مقتل خمسة جنود أمريكيين وهنديين.

* ٢٥ يونيو ١٩٩٦: شاحنة مفخخة تدمر مدخل القاعدة الأمريكية فى الخبر قرب الظهران شرق السعودية، وتسفر عن سقوط ١٩ قتيلاً جميعهم أمريكيين و٣٨٦ جريحاً.

* ٧ أغسطس ١٩٩٨: سيارتان مفخختان تنفجران قرب سفارتى الولايات المتحدة فى نيروبى ودار السلام بكينيا وتنزانيا، وتسفران عن ٢٢٤ قتيلاً بينهم ١٢ أمريكياً وآلاف الجرحى.

* ١٢ أكتوبر ٢٠٠٠: مقتل ١٧ جندياً أمريكياً وجرح ٣٨ أخرين فى عملية انتحارية استهدفت المدمرة الأمريكية «كول» فى عدن باليمن.

* ١١ سبتمبر ٢٠٠١: انتحاريون يخطفون أربع طائرات تضرب اثنتان منها برجى التجارة العالميين فى نيويورك فيما تسقط الثالثة فوق مبنى وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) فى واشنطن وتتحطم الرابعة فى بنسلفانيا وجميعهم بالولايات المتحدة الأمريكية، وبلغت حصيلة القتلى ٢٩٧٨ قتيلاً.

● ١١ أبريل ٢٠٠٢: مقتل ٢١ شخصاً بينهم ١٤ ألمانياً في عملية انتحارية ضد كنيس يهودي في جربة جنوب تونس.

● ٨ مايو ٢٠٠٢: عملية انتحارية بسيارة مفخخة في باكستان تستهدف حافلة تنقل عاملين في إدارة بناء المنشآت البحرية الفرنسية وتقتل ١٤ شخصاً بينهم ١١ فرنسياً.

● ٦ أكتوبر ٢٠٠٢: اعتداء على ناقلة النفط الفرنسية «ليمبورغ» في بحر اليمن باليمن يؤدي إلى مقتل أحد أفراد طاقمها.

● ١٢ أكتوبر ٢٠٠٢: اعتداء بسيارة مفخخة يستهدف متجراً لبيع الأسطوانات في بالي بإندونيسيا، ويسفر عن ٢٠٢ قتيل و٣٠٠ جريح معظمهم أستراليون.

● ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٢: مقتل ١٨ شخصاً في عملية انتحارية استهدفت فندقاً ينزل فيه إسرائيليون في مومباس على الساحل الكيني بكينيا، وفي الوقت نفسه نجاة طائرة إسرائيلية من صاروخين استهدفاها فيما كانت تقلع من مومباسا.

● ١٢ مايو ٢٠٠٣: عملية انتحارية استهدفت مجمعاً سكنياً في الرياض بالسعودية، وتؤدي إلى مقتل ٣٥ شخصاً بينهم تسعة أمريكيين و١٢ انتحارياً.

● ١٦ مايو ٢٠٠٣: خمسة اعتداءات شبه متزامنة تستهدف مطاعم وفنادق يرتادها أجانب ومراكز يهودية في الدار البيضاء بالمغرب، وتسفر عن سقوط ٤٥ قتيلاً بينهم ١٢ انتحارياً ومائة جريح.

● ٥ أغسطس ٢٠٠٣: عملية انتحارية ضد فندق ماريوت الأمريكي في وسط جاكرتا بإندونيسيا، تؤدي إلى مقتل ١٢ شخصاً وجرح نحو ١٥٠ آخرين.

● ٨ نوفمبر ٢٠٠٣: عملية انتحارية بسيارة مفخخة تستهدف مجمعاً سكنياً في الضاحية الغربية للرياض بالسعودية، نتج عنها ١٧ قتيلاً وأكثر من مائة جريح.

● ١٥، ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٣: أربع عمليات انتحارية بسيارات مفخخة في أسطنبول بتركيا، تفصل بينها خمسة أيام ضد كنيسين يهوديين والقنصلية البريطانية والمصرف البريطاني «اتش اس بي سي» تسفر عن ٦٣ قتيلاً بينهم القنصل العام البريطاني ومئات الجرحى.

* الأول من فبراير ٢٠٠٤: مقتل ١٠٥ أشخاص فى عملية انتحارية مزدوجة فى أربيل (شمال العراق) ضد مقرى أبرز حزبين كرديين الحزب الديموقراطى الكردستانى والاتحاد الوطنى الكردستانى.

* ١١ مارس ٢٠٠٤: مقتل ١٩١ شخصاً وجرح نحو ٢٠٠٠ فى سلسلة اعتداءات استهدفت قطارات عدة فى ثلاث محطات فى العاصمة الإسبانية مدريد وضاحيتها.

* ٢٩ ـ ٣٠ مايو ٢٠٠٤: هجمات واحتجاز رهائن فى الخبر (شرق المملكة السعودية) تؤدى إلى مقتل ٢٢ شخصاً بينهم أربعة غربيين.

* ٢٤ يونيو ٢٠٠٤: سلسلة اعتداءات ضد قوات الشرطة بالعراق تلتها أعمال عنف أسفرت عن سقوط أكثر من مائة قتيل و٣٠٠ جريح فى المدن السنية فى شمال بغداد وغربها (الموصل وبعقوبة والرمادى...).

* ٩ سبتمبر ٢٠٠٤: سبعة قتلى على الأقل ومائة جريح فى جاكرتا بأندونيسيا، فى اعتداء أمام مبنى السفارة الأسترالية.

* ٨ أكتوبر ٢٠٠٤: ثلاثة اعتداءات ضد مواقع سياحية فى شبه جزيرة سيناء (مصر)، يرتادها سياح إسرائيليون تسفر عن ٣٤ قتيلاً وأكثر من مائة جريح.

* ٦ ديسمبر ٢٠٠٤: أول هجوم على بعثة دبلوماسية فى السعودية يستهدف القنصلية الأمريكية فى جدة (غرب السعودية) ويسفر عن تسعة قتلى بينهم أربعة من المهاجمين.

* ٢١ ديسمبر ٢٠٠٤: مقتل ٢٢ بالعراق بينهم ١٤ جندياً أمريكياً فى انفجار استهدف قاعدة عسكرية أمريكية فى الموصل.

* ١٤ فبراير ٢٠٠٥: ثلاث عمليات تفجير متزامنة تسفر عن مقتل ١٢ شخصاً وجرح أكثر من ١٣٠ آخرين فى مانيلا وفى جنرال سانتوس ودافاو جنوباً (جميعها بالفيلبين).

* ٢٨ فبراير ٢٠٠٤: انفجار سيارة مفخخة بالعراق يؤدى إلى مقتل ١١٨ شخصاً وجرح أكثر من ١٥٠ آخرين فى قضاء الحلة. وتبناه تنظيم القاعدة فى بلاد الرافدين الذى يقوده أبو مصعب الزرقاوى.

* ٧ يوليو ٢٠٠٤: سلسلة اعتداءات تضرب قطارات الأنفاق والحافلات فى لندن

بالمملكة المتحدة فى اليوم الأول من قمة مجموعة الدول الصناعية الثمانى الكبرى فى (جلين إيجلز) فى اسكتلندا. وتبنتها قاعدة الجهاد (لواء أوروبا).

* ٢١ يوليو ٢٠٠٤: سلسلة ثانية عن عمليات التفجير فى ثلاث محطات للقطارات وحافلة فى لندن بالمملكة المتحدة، لا تسفر عن ضحايا. وتبنتها نفس المجموعة

* ٢٢ - ٢٣ يوليو ٢٠٠٥: سلسلة اعتداءات فى مواقع سياحية فى منتجع شرم الشيخ فى مصر تسفر عن سقوط ٨٨ قتيلاً.

* ١٩ أغسطس ٢٠٠٥: اعتداء بالصواريخ على ميناءى العقبة الأردنى، وإيلات الإسرائيلى، يسفر عن مقتل جندى أردنى وجرح آخر.

أسامة بن لادن المنشأ والميلاد
بن لادن وهو اسم العائلة

والأب فيها يدعى محمد واسم أبيه عوض والجد بن لادن وكان محمد عوض بن لادن رجل ينحدر أصله إلى مدينة حضرموت بجنوب اليمن، ولما ضاق به الرزق هناك أتبع النصيحة الدينية التى تقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

لذلك قام محمد عوض بن لادن باتباع هذا المنهج وسلك الطريق الصحيح أخذاً بالأسباب تاركاً الباقى للهفهو وحده الذى يعلم السر وأخفى فآمن بن لادن فى نفسه أن الرزق بيد اللهوحدة وآمن بذلك إيمانا عميقا لا يستطيع أحد أن يزحزحه من صدره لذلك كان دائماً وأبداً يردد قول الحق تبارك وتعالي: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ (الذرايات: ٢٢، ٢٣).

بل أن محمد عوض بن لادن فهم الحديث النبوى فهماً صحيحاً وعمل به كما أمر رسول الله ـ ﷺ ـ: **«لو تتوكلون على الله حق توكله لرزقاكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً».**

لذلك ترك بن لادن حضرموت بعدما ضاق به الحال وساءت به الظروف المعيشية وجمع أفراد أسرته وأبلغهم بأنهم جميعاً لابد وأن يستعدوا استعدداً جيداً للرحيل إلى المملكة العربية السعودية فغلب على جميع الحضور الدهشه وساد جو من الحزن الشديد! كيف يتركون الوطن والأصحاب والأهل والدار ويرحلون إلى بلد لا يعرفون فيه إلا حضرة النبى وأصحابه وآل بيته ولكن الأب أوضح لأبنائه وأسرته الكبيرة أنه عقد النية وقرر الرحيل بعد أن استخار الله فى ذلك الأمر واستشار أهل العلم والمشورة فى ذلك البلد طالباً لهم عيش أفضل وسعة رزق أوفر وأوضح لهم أنه لولا ضيق العيش فى ذلك البلد الحبيب إلى قلبه بلد الأهل بلد الميلاد وأيام الطفولة والشباب ما كان له أن يتركه ويغيب

عنه لحظة واحدة ولكنها إرادة رب العزة الذى أمر خلقه بالسعى على الرزق فى أرضه وإن ضاق بهم في بقعه فيجب عليهم طلبه فى بقعه أخرى أخذين بالأسباب تاركين الباقى لرب الأسباب ومسببها فوصل الرجل والأسرة إلى ميناء جدة الدولى وذلك فى عام ١٩٣٠ ميلادية وهنا بدأ بن لادن العمل حمالا فى مرفأ جدة البسيط وكان يتقاضى مرتباً يعتبر فى نظره وبالنسبة للظروف التى كان يعيش فيها فى حضرموت مرتباً خرافى واستطاع هنا الرجل بالصبر والعزيمة القوية والإصرار على تحمل أتعاب الحياة وبالاعتماد على نفسه وبقوة ذكائه الحادة الخارقة استطاع فى غضون بضع سنين أن يتحول من مجرد حمال فى مرفأ إلى أكبر مقاول إنشاءات فى المملكة العربية السعودية إضافة إلى ذلك فلقد كانت به صفات تؤهله بأن يكون أكبر من ذلك فكان يمتاز إلى جانب الذكاء الحاد بنوع من المثابرة وقوة العزيمة التى لا تقهر ولا يستطيع اليأس أن يصل إليها بل أنه كان يمتاز بالجرأة ويعشق المجازفة ولكنها دائماً وابداً تكون مدروسة باتقان وإمعان بل أنه كان لديه قدرة غريبة وعجيبة على الإقناع وحسن إدارة الحوار مع الأخرين بل أنه كان إنسان تعشقه الروح وتسكن إليه من أول وهله لذلك عرف بن لادن وأصبح مألوف لدى مجالس الكبار وأصبح محبوباً جداً لديهم. بل أن بن لادن استطاع أن يصل إلى الأسرة المالكة بالسعودية وكون معهم صداقة حميمة بل إنه وبكل جدارة استطاع أن يقنع الملك سعود بأنه الأقدر على القيام بتلك المشاريع الكبيرة الصعبة ذات طابع التحدى والتى تكون مجازفة ونظراً لكونه مجازفاً ماهرا استطاع أن ينجح بل إنه كون صداقة حميمة فى فترة الملك سعود فى الحكم مع أغلب أفراد الأسرة المالكة لدرجة أنه كان يشاركهم المجالس ويخالطهم فى كل شيء بل إنه كان من الذين كان لهم شأن عظيم وتقدير كبير فى نفوس تلك الأسرة المالكة فى السعودية بل كانوا يكنون له الحب والفخر والتقدير بل أن بن لادن أبان حدوث الخلاف المشهور بين فيصل الذى كان أميراً والملك سعود استطاع بن لادن بإقناع الملك سعود بالتنحى لصالح فيصل ولقد تحمل بن لادن إبان فترة تنحى الملك سعود عن الحكم وتولى الملك فيصل مهام الحكم بتأمين رواتب كل الموظفين فى الدولة لمدة ٦ شهور حيث كانت خزينة الدولة فى تلك الفترة خاوية تماماً من النقود أو غيره لذلك أصدر الملك فيصل مرسوماً ملكياً بتحويل كل عقود الإنشاءات على محمد بن لادن بل كلفه عملياً بوزارة الإنشاءات فى ١٩٦٩ ميلادية تكفل محمد عوض بن

لادن بإعادة بناء المسجد الأقصى بعد الحريق الذى تعرض له وكان قد ساهم فى التوسع السعودى الأول للحرمين الشريفين بذلك يكون الرجل قد وصل إلى قمة الثراء المادى والمعنوى وأخذ شهرة واسعة بين كل طبقات المجتمع السعودى حتى كان يختلط الأمر لدى العوام فى داخل المملكة العربية السعودية فالبعض كان يقول بأنه الحاكم الفعلى للسعودية فى تلك الفترة والبعض يقول أنه يحكم المملكة بماله الخاص وما الملك والأمراء إلا ستار يتخفى فى ظله وأخرون يقولون بأنه أحد أفراد الأسرة المالكة وأنه توجد صلة قرابة بين آل سعود وبن لادن وآخرون يقولون بأن هناك صلة نسب بين بن لادن والأسرة المالكة فى السعودية وأن هذا الرجل الثرى الوسيم قد تزوج من إحدى الأميرات السعوديات من بنات آل سعود غير أن الحقيقة غير ذلك كله فالرجل كان محبوبا بحق من الأسرة المالكة بل وأنه كانت تربطه بالغالبية العظمى من إفراد تلك العائلة صلة ود ومحبة وصداقة كبيرة جداً حتى أنه يعتبر الشخص الوحيد الذى استطاع أن يتطلع على ما يدور داخل الديوان الملكى السعودى وأنه غالباً ما استطاع أن يصلح بين إفراد تلك العائلة العريقة وأن يلم شملها ويقضى على بذور الفرقة فيها قبل أن تنبت. وبعد تلك المكانة كان بن لادن مطمعا للغالبية العظمى من قطاعات عريضة من النساء السعوديات بل ونساء منطقة الخليج وإن صح فقل إنه مطمع لأى امرأة عربية أو أعجمية فهو الرجل الذى تتمناه أى امرأة على ظهر الأرض أى أنه رجل بلا عيوب إن صح ذلك ولكن الكمال لله وحده وحدث ان كان بن لادن فى زيارة إلى الشقيقة دمشق وأثناء تلك الزيارة إلى العزيزة سوريا عشق وأحب بن لادن تلك الفتاة الدمشقية التى لم يكن بن لادن يعلم أنها المرأة التى سوف يكون منها الابن الذى سوف تكن له الأمم التقديم والاحترام ويلعب دورا خطيرا فى حياة الأمم ويحتل مساحات شاسعة من كتب تاريخها الحديث بل لم يكن يعلم بن لادن زواجه من تلك الدمشقية ملفوفة القوام صاحبة الطلعة البهية التى أولعت صدره بالحب والشوق إلى أحضانها الدافئة والتى جعلت الرجل الوقور الذى عرف عنه بكبت الشهوات وعدم الإغراق فى ملذات الدنيا ريقه يجرى وكأنه لم ير من قبل نساء ولم يسبق له أن عاشر امرأة وكأنه فى سنة أولى علاقات غرامية فلم يستطع بن لادن أن يقاوم السحر السورى المشهود له رغم نجاحه فى العديد من المرات السابقة من النجاة من طوق سحر الجمال السورى إلاّ أن أم أسامة كانت ساحرة ماهرة صاحبة أنوثة حية وكان حياؤها يزيدها جمالا ولها بسمة تريح النفوس وتطمئنها بل

أن عينيها تجعل اى رجل لايستطيع التحكم فى نفسه حتى ولو كان صاحب عصمة من نوع خاص أن يطيل النظر إليها دون ما أن تدمع عيناه من سحرها.

لذلك انجرف بن لادن فى حب تلك السورية الجذابة صاحبة الأدب والنسب العريق وقرر التقرب منها كأى رجل حاول بكل السبل الوصول إليها والتقرب منها ولكن بن لادن رجل من طراز معين نعم فهو رجل معروف لدى دمشق بسخائه وكرمه ووقوفه بجوارها فى كثير من الأزمات بل إنه كثيراً ما كان يجعل الطلبات السورية لديها قبول لدى الأسرة المالكة فى السعودية لذلك لو أن بن لادن رغب فى الزواج بنصف بنات دمشق لوافقت على ذلك لأنه رجل لا ينقصه شيء إنه الرجل الأسطورة الرجل الذى تريده أى فتاة أو شابة ذلك هو الفارس صاحب الحصان الأخضر والبيت الأبيض الذى تنتظره كل الفتيات وتحلم به كل بنات حواء رجل بمعنى الكلمة بل بكل ما تحمل تلك الكلمة من معانى زد على ذلك إذا ما كانت صاحبة التفسير امرأة فهى تكون شديدة التدقيق فى الرجل من حيث البنيان الجسدى أولاً ثم المادى ثانياً ثم العقلى ثالثاً ويليه الوسامة ثم المكانة الاجتماعيه واللباقة البلاغية فى فن أجراء الحوار نعم أن جميع بنات حواء يرغبن فى أن يكون الرجل بهذه المواصفات زد على ذلك الصفة الدينية والقدرة على تحمل المسئولية والجرأة والأقدام والشجاعة وغيرها من الصفات التى لا تحصى فى رجل واحد على الإطلاق إذا ما ستثنينا بن لادن لأن الرجل والحق يقال به كل ماتتمناه أى أنثى على الأرض لذلك لم تعارض ولا تمانع تلك الفاتنة الدمشقية صاحبة الجنسية السورية من إخفاء نار الشوق عن الرجل وأن تفتتن هى به وتكون قد حققت أكبر مكسب فى تاريخ حياتها وتصبح من القلائل من النساء اللاتى يعشن عيشه ذات طابع خاص وتعاشر وتصاحب الصفوة من النساء فى المجتمع وبذلك تصبح سيدة ذات بروتوكول خاص جداً نعم كان لها بروتوكول خاص جداً جداً حيث إنها جعلت بن لادن يحجم عن الزواج من بعدها وبذلك تكون الوحيدة التى ليس لها ضرة بعدها وأيضاً الوحيدة التى كانت تفوز بنصيب الأسد فى فؤاد الرجل ووقته بل أن بن لادن كان يرى فى أشد أوقات سعادته وهو عندها وبين أحضانها الدافئة نعم تقدم الرجل بخطى ثابتة واضحة واثقة من الإجابة بالقبول إلى أهل تلك الحورية الدمشقية طالباً يدها الكريمة ونكاحها الشرعى ليعلن بعدها اعتصامه عن الزواج من أخريات وتصبح هى أخر زوجاته لأن الرجل ربما يصادف الكثير من النساء

الجميلات الفاتنات ويتزوج بأكثر من امرأة ولكنه لا يشبع نهمه ولا يشعر برجولته ولا بتلك السكينة الزوجية التى هى المراد والمطلوب من كل ذلك لأن النساء خلقن شتى فمنهن الغنية والغرام ومنهن الهلال إذا تجلى ومنهن الظلام فكانت الدمشقية هلال وغرام بن لادن لذلك سكن إليها ولم يتزوج عليها مثل ما فعل ما باقى زوجاته.

لأن بن لادن متزوج من أكثر من امرأة مثله فى ذلك مثل أى رجل عربى مسلم خليجى قادر على العدل بين الزوجات مطبقاً سنة المصطفى ﷺ بأن الله قد أحل للرجل الزواج من أربعة على ذمته وعصمته بشرط العدل والقدرة على الإنفاق وإذا ما لم يستطع الرجل العدل فعليه أن يحتفظ بواحدة فقط ويسرح الباقى ولما كان بن لادن من الأثرياء الأغنياء والذين يعشقون العزوة ويحبون الأجانب ومساعدات العائلات وتكوين عزوة كبيرة من الأولاد أكثر من الزوجات الذين بلغن عددهن أكثر من ثلاث أو أربع غير المطلقات لأن اعداد أولاد بن لادن ثلاثة وأربعون ابنا وأخرهم صاحب الأسطورة الشهيرة أسامة وبل أن بن لادن له أكثر من ٢١ واحد وعشرون ولداً من الذكور أيضاً أحدهم من تلك الدمشقية الشهير أسامة بن لادن بل يقول العارفون ببن لادن أنه كان يتزوج إما من أجل المصاهرة بين القبائل أو من إجل الانجاب إلا أخر زوجة له فقد تزوجها لنفسه تزوجها من أجل سكينة قلبه نعم فكان بن لادن كثيرا ما يتغنى بتلك الأبيات الشعرية عندما كان يداعبها قائلا لها:

لقن فؤادك مهما شئت من الهواء فما الحب إلا للحبيب
الأولى كم منزل يألفه الفتى وحنينه إبداه لأول منزلي

فكانت هى تستفسر فى كل مرة حتى لا يتغير معنى الأبيات عند التفسير قائلة له المنزل هنا أنا ولا فكان يعقب عليها مجيب أنثى المنزل والمسكن والزوج أنت النور يا ضياء عيني.. إلخ.

أنجبت الكثير من الأبناء كان أخرهم وأخطرهم وأحبهم إليه هو أسامة الذى ورث عن أبيه أغلب الصفات وخاصة الميزة الشخصية البلاد ونيه فكثير ما كان يقدم الرجل الليل من أجل أن يكون له من تلك الزوجة ابن فأجاب الله دعاء الرجل وفى عام ١٩٥٧ ميلادية ١٧٣٧ هجرية ولد له ذلك المولود وسماه أسامة نظراً لعلوه وسموه عنده ونظراً لمكانة أمه فى قلبه فى ذلك الوقت كان الرجل قد بلغ ثراؤه مبلغاً كبيراً وأصبح يملك

حوالى ٨٣٢٠ مليون دولار أموال سائلة بخلاف العقارات والكثير من الشركات ولكن الدنيا وأحوالها دائماً وأبداً فى تقلب عجيب نعم أن المال أصبح جماً عند الرجل ولكن العمر لا يعد فيه شيء فلكل بداية نهاية وبداية حياة الإنسان تعنى فى الوقت نفسه بداية النهاية نعم العمر يجرى بنا فى مركب غاية فى السرعة يمسك بدفتها الرقيب الحسيب لا يعلم الراكب منا متى سوف تجيء محطة نزوله منها ويا سعادة من يقضى تلك الرحلة الدنيوية بسلام وأمان وبن لادن والحق يقال رجل نحسبه عند الله كذلك ولا نذكى على الله أحد كان تقيا نقيا يخشى الله ويخافه كان يرعاه فى كل أعماله وكان كثير الشكر لله لنعمه الغفيرة عليه فلقد منّ الله عليه بكل شيء المال والأولاد وتلك هى زينة الحياة الدنيا والصحة والزوجة الصالحة فهى خير متاعها نعم فالدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة».

بل نستطيع أن نجزم بأن بن لادن كان راضيا عنه الرب والحاكم حيث أنه كان إنسانا مستقيما عاملا راشداً زاهداً مطيعاً يرعى حق الله وحق الراعى ويخشى الله والراعى لذلك كان محبوباً من السماء ومحبوب فى الأرض عامل بقول رسول الله ﷺ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ لذلك كان الرجل صاحب مكانة عريقة بين أفراد الأسرة المالكه بالمملكة العربية السعودية لذلك بعد رحيله راعت هذه الأسرة الحاكمة ما كان من أفعال وأداب الأب فى أسرته بل احبتهم وقدرتهم وأكثرت أموالهم واسندت إليهم الكثير من المشروعات الضخمة التى تحقق لهم أرباحاً طائلة لم يكن لأحد مثلهم أن يفوز بها لولا مكانة هذا الرجل العظيم أنه بن لادن الأب أو محمد عوض بن لادن الأب لأسامة: أسامة الولد الذى خلف أبيه فى كل شيء إلا فيما هو منسوب إليه اليوم عزيزى القارئ أمانة الكلمة فهى تعنى فكر كاتبها وناطقها لذلك سوف أعرض عليك تصورى الفكرى لشخص أسامة محمد عوض بن لادن الرجل الأسطورة فى أيامنا هذه تجدنى فى مرة قد أتصور أنه إنسان من القرون الغابرة ومرة أتصوره إنسان من القرون المنيرة الهادية وسأترك أنت وحدك تختار ما ينطبق على شخص بن لادن مزودك بكل ما تحتاج وعلى قدر ما أملك من معلومات كى تتعرف على شخص بن لادن الحقيقى والله الموفق.

فى عام ١٩٥٧ ميلادية ولد نجم هذه الأسطورة الموافق ١٧٣٧ هجرية فرحت بميلاده أمه فرحاً كبيراً سعد معه مهجة قلب الأب نظراً لنوع العلاقة وقوتها التى تربطه بتلك الزوجة عن باقى زوجاته وكان ترتيب أسامة من بين أخوته هو الثالث والأربعون وترتيبه

بين الذكور الحادى والعشرون من أبناء المقاول الشهير محمد عوض بن لادن وكانت أمه الدمشقية تتمنى من الله أن يكون لها من هذا الرجل ابن من الذكور، نما أسامة بن لادن بين حب أمه المفرط ورعاية أبيه ودلاله الزائد عن باقى أخوته إلا أنه والحق يقال كان هادئ الطباع وذو بشرة سمراء نحيف الجسد طويل القامه تغلب عليه سمات الرجل الشرقى كثير الأدب ذو حياء شديد جداً جداً هذا كان فى الطفولة حيث التحق أسامة بن لادن بإحدى مدارس جدة وحصل منها على شهادة الابتدائية وأيضاً الثانوية والجامعة حيث كانت دراسته فى علم الإدارة العامة ويقال أن أسامة بن لادن اطلع على أنشطة التيارات الإسلامية المشهورة وتعرف على كثير من الشخصيات الإسلامية بل أن أسامة بن لادن كان ينحدر إلى أسرة محافظة أساسا حيث كان أبوه محمد عوض بن لادن يستضيف أعدادا كبيرة من الحجاج كل عام بعضهم من الشخصيات الإسلامية المعروفة.

ولقد استمرت هذه العادة على يد أخوانه بعد وفاة والدهم مما ساعد أسامة للإستفادة من بعض الشخصيات المتميزة بين أولئك الضيوف لذلك عاش أسامة بن لادن حياة مرفهة ورغم ذلك فقد كان أذكى فرد فى أخوته وأكثرهم طموحاً لتوسيع شركات أبيه بل وأدخل عليها تعديلات كبرى كانت بمثابة نقله هامة فى مجموعات بن لادن حيث كان يتمتع بعقلية اقتصادية جبارة بل قيل أنه ذهب إلى أبعد من ذلك وإليك أيامه بالترتيب:

الدراسة وأيام الشباب

أسامة بن لادن هذا الأسطورة الجديدة فى زمن قليلاً ما تظهر فيه أسطورات درس أسامة بن لادن الإدارة والاقتصاد فى جامعة الملك عبد العزيز ودرس أيضاً بعد ذلك الهندسة واستطاع أن يكون لديه خبرة واسعة فى استخدام الكمبيوتر وأثناء تلك الفترة الدراسية التى تكون من أفضل فترات عمر الدارس أو الشباب على العموم أنها فترة الحياة الجامعية بما فيها من حرية واختلاط ومتعة فى كل شيء كان أسامة بن لادن كما قيل كان يتردد كثيرا فى فترات الإجازة الدراسية على ملاهى لبنان ويخالط بنات لبنان الجميلة ونظراً لأنه من الأثرياء العرب أصبح معروفا لدى بنات الليل بل كانوا دائماً يجهزون له كل شيء ويأتى هو يضع البصمات النهائية كان سخيا جداً مع من تكون صاحبة النصيب فى تلك اللحظات التى تحكم فيها الشهوة كل جوارح الإنسان وتسيطر عليه سيطرة كاملة فتجعله ينسى كل شيء.

نقطـة تحــول

نقطة التحول فى حياة أسامة بن لادن

يقول المصدر المقرب من أسامة بن لادن أن أسامة بن لادن هذا الشاب العبوث الذى كان يعشق النساء بل أطلق عليه بأنه زير نساء هذا الشاب العربى الثرى الذى جمع الدنيا وملك من المال الكثير الذى جعله يشترى أى شيء بأى ثمن طالما أنه يرغب فى ذلك بل أن أسامة بن لادن كان كثير النزوات محب للشهوات ليله يقضيه فى شرب الكحوليات والخمور والعربدة ويجعل نهاره ليله حيث يقضيه فى النوم العميق ولكن سبحان مغير الأحوال سبحانه وتعالى يغير ولا يتغير حيث يقول المصدر فى يوم كان أسامة بن لادن يقضى السهرة عند إحدى العاهرات فى بيتها وفى أثناء ذلك مات أبوه وأن أخوته حاولوا قدر الاستطاعة العثور عليه ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك بل إنه نام وأكمل اليوم الثانى عند تلك المرأة قيل أن هذه المرأة علمت بالخبر نظراً لأنها طالعت الأخبار فى الصباح ولكنها خافت من أن تقول له ذلك الخبر فتركت الأمور تجرى بطبيعتها وما أن عاد بن لادن إلى محل إقامته وفتح الأنسر ماشين الخاص بالتليفون إلا ووجد تلك الرسالة البقاء لله فى وفاة والدكم العزيز لذا نرجوا الحضور إلى مقر العائلة وهنا ثار بن لادن وأخذ يبكى بكاء شديد ودار بينه وبين نفسه حوار ربما كان حوار مصادقة أو نوع من أنواع المحاسبة أخذ يتمتم بكلمات تعنى هكذا حال الإنسان هكذا حال الدنيا الموت وتلك الحقيقة الغائبة المنسية لدينا ترك أبى كل شيء لم يأخذ معه شيئا إلا العمل الطيب رحمه الله أبى ذلك الرجل الطيب التقى الورع وبدأ أسامة يحاور نفسه يقول لو أتانى ملك الموت وقبض روحى ماذا أقول لربى وماذا قدمت لآخرتى إننى إنسان مذنب أريد أن أتوب أريد أن أعود إلى ربى أريد أن استغفر ربى أريد أن أتخلص من ذنوبى وكيف وذنوبى على الظهر ثقلت من ينقذنى غير ربى وصل أسامة إلى حيث تجتمع العائلة وهناك كان أحد أئمة المسلمين قد أتى لأداء واجب العزاء ومواساة أفراد الأسرة داعياً المولى عز وجل أن يمنحهم الصبر والسلوان وأن يتغمد فقيدهم برحمته التى وسعت كل شيء ألقى هذا

الإمام كلمة رقيقة دينية كانت صاحبة أثر شديد فى تلك الظروف بالذات فى نفسية أسامة بن لادن على الأخص لقد تناول الشيخ فى كلمته حقيقة الدنيا وكيف هى وأحوالها ثم انتقل إلى الحياة الأبدية والقبر وحسابه والثواب والعقاب وروى حديث من أحاديث الترهيب والترغيب وكيفية خروج روح المسلم وخروج روح الكافر الفاجر وكبائر الذنوب ونوع العقاب والحساب وختم الشيخ حديثه قائلاً أيها الناس ليس بعد الموت من مستعتب وليس بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ووضح ما فى الجنة من نعيم وما فى النار من أهوال دار كل ذلك فى رأس أسامة وكان أسامة يشعر وكأن الشيخ يقصده بكل كلمة قالها وأن هذا الحديث يخصه هو وإن دارت فى مخيلة أسامة أمام بصره كل حياته السابقة ورأى نفسه أنه إنسان مغموس فى حب الدنيا والشهوات منساق وراء شهواته ولذاته رأى نفسه وهو يشرب الخمر ويصب له الكأس ورأى العاهرة وهى تحوم حوله جاهدة أن تصيب منه اللذة والمال رأى نفسه إلى أى منقلب لو استمر على هذا الحال سوف يكون مصيره، سلم الشيخ بعد نهاية الحديث ودعا للفقيد بالرحمة الواسعة وصافح أفراد الأسرة كل باسمه نظراً لقربه الشديد ومكانته عندهم وما أن جاءت يده فى يد أسامة إلا وأمسك بها أسامة وكأنها طوق النجاة الذى أتى إليه لكى ينقذه من غرق لاحظ مسك أسامة يد الشيخ وصعوبة تركها وهنا تنهد الشيخ وقال ربنا يصبرك ويهديك يا بنى استودعكم الله وبارك فيكم! الجميع شكراً وجازاك الله خيرا يا شيخ على تلك الوقفة الجميلة منك يحاول الجميع مصاحبة الشيخ إلى الخارج ولكنه يقسم بأن يظل كل واحد فى مكانه وأنه ليس غريبا بل إنه يعتبر نفسه فردا من أفراد تلك الأسرة وليست أول مرة يأتى فيها إلى هنا ثم يخرج الشيخ ويترك الجميع وقد ساد جو من السكون والصمت الرهيب لا يقطعه إلا حركة الأرجل وتبديلها تلك الحركات التى تكون فى الغالب غير مسموعة فى تلك الفترة كان لها رنين فى آذان الجالسين وكان أسامة قد أخذ له ركنا وأنزوى بنفسه فيه يقلب أيامه السابقة وكيف كان حاله فيها أيام الطيش أيام الفجور وأصحاب ورفاق السوء كيف كان يتنقل من بلد إلى بلد وفى كل بلد يكون له أصدقاء للسوء يوفرون عليه مجهود البحث عن الفساد بل إنهم كانوا يتفننون فى إعداد جو المرح والسرور له بل كانوا يتنافسون فيما بينهم حتى أنه لم يستطع حتى الآن الوقوف إلى جانب أى فريق ويميزه عن باقى الفرق الجميع يعمل بتقنيات حديثة يستخدم فيها وسائل

العلم وذوق البشر بل إنه كان يشك فيما إذا كانوا قد سلطوا الجان لمعرفة ما سيطلبه ويحبه فيما بعد وأى شيء سوف يكون على مزاجه في تلك الفترة المقبلة حتى اختيار الصديقات فكانوا دائماً حريصين كل الحرص على أن تكون كل ليلة بعروسة جديدة فى كل شيء فى اللون فى العمر فى الجمال فى الجنسية فى اللغة حتى فى تقاطيع الجسد حتى فى أسلوب الكلام لدرجة أنه ظن أنه يتعامل مع خبراء فى فن السكرتارية حتى أنه ذات مرة أخذ يضحك بصورة أدهشت الجميع عندما نظر فوجد أن صاحبة الليلة امرأة فى سن الـ٦٠ ولكن لديها جمال جذاب حتى أن المرأة احتقرت نفسها ولكنه تقدم منها وأخذ يدها وألقى عليها قبلة ثم أخذ يداعب ذقنها حتى تبسمت فسارت يده تتخلل خصلات شعرها الجذاب الذهبى ونظر فى عينيها وكأنه يناجى فيها زمان الصبى والشباب ثم دنى منها وأخذ قبلة أذابتها وفتت ما بقى من تماسك الأعصاب وافترشوا جميعاً السرير وهنا نطق اللسان بالكلام ويده يشرح ويسرد لتلك الفاتنة مدى إعجابه وحبه وسعادته لرؤيتها وأنه أذهل من هول المفاجأة لأنه كان غير متصور بالمرة أن أحدا كان يعلم أنه يرغب ممارسة الجنس مع امرأة فى هذا السن الذى يراه أنه بداية حياة أخرى وأن المرأة تصل فيه إلى قمة أنوثتها لذلك نادى على البرنس كبير الشلة وهنأه على حسن الاختيار وأنه موفق وأنه مبسوط كثيراً جداً منه ومن باقى الأصدقاء لذلك منحه شيكاً بـ١٠٠ ألف دولار وهنا بدأت دموعه تسيل بغزارة تتخذ لها مجرى فى خدوده بل أن صوته أصبح مسموعاً للجميع فذهب إليه أخوه الأكبر لأبيه ووضع يده على كتفه وهداه أخوه قائلاً له أثبت يا بطل أبوك لم يمت وذكر له المثل الذى يقول: «إللى خلف مامتش» البركة فيك وفينا نحن بنكمل مسيرة أبينا فى التقدم والعمل والوصول إلى الغاية المنشودة والتى كان أبينا يبغى لنا الوصول إليها نكون قد حققنا لأبينا الذى كان دائماً يحلم به ويتمنى أن يراه بشرط أن نتقى الله ونرعاه وهذه الكلمة الأخيرة جعلت الجسد يزداد ارتعاشاً تقوى الله... آه... آه من ذنوبى آه.. آه من أيام مرت تحمل فى صفحاتها العبث واللهو والكل انصرف إلى غرفته إلا أسامة بن لادن ظل مكانه حتى قطع سكون ليله صوت أتى من بعيد يعلن الصلاة خير من النوم ورأى فى غفلة مرة عليه وكان ملك يلبس ثيابا بيض قد مد إليه يده حتى أجلسه وأشار له على المسجد وهنا فاق أسامة من النوم الذى شعر فيه بأنه قد حصل على قسط كبير من الراحة وأنه فى غاية النشاط والحيوية

فقام واستعاذ باللهمن الشيطان الرجيم وبسم اللهالرحمن الرحيم وبدأ يتوضأ وأعلن التوبة إلى ربه ووقف خلف الإمام واصطف مع المصلين لأول مرة فى عمره فى الصف الأول يسمع حلاوة القرآن الكريم وما يشدوا الإمام به من حلاوة ومن كلام ربانى يزيح الهم عن المهمومين ويزيح الكرب عن المكروبين ويعلن قبول اللهالصلح مع عباده التائبين النادمين على ما قدموا وعملوا من ذنوب ومعاصى بشرط عدم الرجوع إليها ولما وصل الشيخ إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣).

فظن أسامة بأنه يمكنه الرجوع إلى ربه والعمل لطاعته لذلك طلق أسامة دنياه ونظرا إلى مصداق قول الحق «الآخرة خير وأبقى» «أن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون» انتهى الإمام من الصلاة بالدعاء الذى دعا فيه للأمة المحمدية بالرجوع إلى كتاب الله والعمل على نهج رسول الله حتى يزيح الله ما ألم بها من انكسار وينصرها على الأعداء ويعيد إليها عزها ومجدها أيام الرسول والصحابة والعصور الأولى للإسلام وبعد أن فرغ المصلون من صلاتهم عادوا إلى منازلهم استعداداً إلى بداية يوم جديد من العمل إلا من فئة قليلة منهم اعتادوا البقاء فى المسجد يتلون كتاب الله ويذكرونه حتى مطلع الشمس وبعدها يصلون ركعتين للهرب العالمين صلاة تدعى بصلاة الضحى فمكث معهم أسامة بن لادن ولم يذهب إلى البيت بل أخذا يقرأ معهم كتاب الله وصلى وسلم على الحاضرين بعد ذلك ومنذ ذلك الحين أصبح أسامة بن لادن فردا أساسيا من أفراد تلك الحلقة وأصبح من المصليين خلف الإمام فى كل أوقات الصلاة الخمس المكتوبة ولم تلهه دنياه بعد ذلك ورغم اجتهاده فى العبادة وندمه على ما سبق من ارتكاب الذنوب إلا أنه كان حريصاً كل الحرص على إرضاء رب العزة جلا وعلا وكان شديد الخوف من الله وكان يكثر القيام بالليل داعياً الله بقبول توبته وكان شديد الورع خشن الثياب خشن العيش كثير الود والحب والعطف على الأيتام والمساكين بل إنه كان مع ذلك غير مهمل فى عمله بل كان نابغة فى فن الإدارة ورجل أعمال من الدرجة الأولى استطاع بتقوى الله وخشيته ومخافته فى كل شيء من أمور دنياه أن يصل إلى أعلى درجات الثراء بل أصبح له فى كل بلد عربى وإسلامى.

بل قيل أن أسامة بن لادن هذا الرجل الخطير الذى يبلغ من العمر الآن ٤٥ سنة ميلادية بذلك يكون قد تعدى فترة طيش الشباب وأصبح لديه حنكة الرجال كان صاحب أدب شديد وكانت ملامح وجهه تدل على أنه خجول من الطبقة الأولى لذلك كانت الفتيات الفتيات هن اللاتى يذهبن إلى حيث يقيم أسامة بن لادن الرجل الذى كان يعطى الواحدة منهن مالاً تتوقع بل كان ينفق عليهن ببذخ شديد وكانت فترة إقامته فى بيروت تجذب كل العاهرات إليه بل أن الواحدة منهن تلغى كل ارتباطاتها ومواعيدها فى تلك الفترة حتى تكون بجوار أسامة بن لادن وفى نهاية الفترة يترك أسامة لكل واحدة ثمن متعته بطريقة تدل على أنه صاحب أسلوب شيك جداً يدل على كرم وجود الأثرياء العرب وتنتهى الفترة بعد أن يكون أسامة قد استمتع بكل لحظاتها قيل أن أسامة كان ينام فى اليوم الواحد أكثر من ٤ مرات بالنهار وثلاثة أو أربعة بالليل وكان كرمه وجوده يجعل السادة القوادين يبحثون له على كل ما هو جديد لدى الباعة من منشطات جنسية وما يجعل الواحد يمارس الجنس بنهمه الشديد وتطويل فترة الانتصاب بل قيل أن السيد أسامة بن لادن كان شديد الحب للجنس الناعم ومحباً له لدرجة أنه كان يمارس مع أكثر من واحدة فى المرة الواحدة بل كان يحب المداعبات كثيرا جداً بل كان يشعر بالسعادة عندما تعبث يده فى هذا الصدر وتلمس تلك العناقيد ويشعر بمنتهى اللذة وهو يكمل رضاعته من تلك الصدور البيضاء الجميلة التى تكون فى منتهى الفتنة وتجعل أى شاب ريقه يجرى بل أن بن لادن كان رجل لديه خبرة كبيرة فى العبث بجسد الأنثى مما يجعلها تشيط من جمال هذه النشوة ورغم أنه كان قليل الكلام إلا أنه كان كثير الفعل بل أن أسامة كان يتنقل بين بيروت ومدن أوروبا كثير بل كثير ما وقعت بنات أوروبا وأمريكا فى غرام أسامة بن لادن بل كانوا يعشقونه جداً لأنه لم يكن يبخل بأى شيء معهن سواء حافظة النقود المفتوحة دائماً أو اللذة الجسدية التى كانت الواحدة منهن تنظر إلى أسامة بن لادن على أنه إمبراطور الجنس. فى هذه الأيام ولكن سبحان اللهالذى إذا أراد للشيء أن يكون قال له كن فيكون سبحانه وتعالى يهدى من يحب ويتوب على عباده الغافلين وكيف لا وهو القائل فى محكم التنزيل:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ وكيف لا والله

سبحانه تعالى أعد النار جزاء لعباده العاصين الآن تاب وآمن وعمل صالحاً أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات نعم لقد تم تخرج أسامة بن لادن من الجامعة وعمل مع أبيه فى شركة المقاولات وكان صاحب علم وإطلاع واسع وكيف لا وهو الدارس لفن الإدارة والاقتصاد والذى يدل على أنه خبير اقتصادى من الدرجة الاولى ان استطاع أن يكون إمبراطورية وأن يجعل من شركة بن لادن الصغيرة نواة لأكبر شركة مقاولات فى الشرق الأوسط بدايتها كانت نواة للعديد من شركات فى شتى أنحاء المعمورة حتى أن أجهزة المخابرات فى شتى أنحاء العالم من شرقه إلى غربه عجزت على رصد تحركاتها المالية.

* * *

العلاقات القديمة
مؤامرة أمريكية ـ سعودية لإغتيال ناصر

عندما أدرك عبد الناصر أن الأمريكان عازمون بالفعل على توجيه ضربة إلى مصر.. سارع لتأمين التأييد العربى العلنى ضد التدخل الأمريكى، وفى هذا الإطار عقد إجتماعا هاما فى القاهرة دعا إليه عبد الناصر فى يومى ١٨ و١٩ يناير ١٩٥٧. وقد جاء انعقاد هذا الاجتماع فى أعقاب إعلان مبدأ إيزنهاور.

شارك فى الاجتماع العاهل الأردنى الملك حسين ورئيس الوزراء السورى صبرى العسلى، كما انضم لهذا الاجتماع الملك السعودى، والذى كان حضوره بهدف التوصل لموقف توفيقى بين القاهرة وواشنطن.

خلال الاجتماع طلب عبد الناصر أن يكون هناك إعلان صريح بنقد مبدأ إيزنهاور، وعدم القبول بأى تدخل أمريكى فى المنطقة.

وقد قبل الملك السعودى هذا المطلب الذى طرحه عبد الناصر على مضض.. بل ولم تكن موافقته إلا مسايرة لاتجاه الزعماء العرب الذين اجتمعوا فى القاهرة.. وقد حاول من جهته أن يجتمع بعبد الناصر على إنفراد.. واجتمع به عبد الناصر بالفعل، وخلال الاجتماع عرض الملك السعودى استعداده للعمل من أجل إقناع الولايات المتحدة بإقامة علاقات جيدة وطيبة مع مصر، وأشار إلى أنه سيقنع الأمريكان بتقديم ما تحتاجه مصر من القمح.

هذا ما حصل عليه سعود من الولايات المتحدة قبل هذا الاجتماع، حيث كان قد أجرى إتصالات بالرئيس الأمريكى طالباً إليه إعطائه وعداً حول مطلبين: ـ

أولهما: تقديم الولايات المتحدة لمصر ما تحتاجه من قمح.

وثانيهما: إعلان خليج العقبة مياها إقليمية للدول العربية المطلة عليه (مصر ـ

الأردن ـ السعودية).

ووافقت الولايات المتحدة على المطلبين، إلا أنها اشترطت أن يوقف عبد الناصر كافة تعاملاته مع الإتحاد السوفيتي، وأن يعتمد فى الفترة التالية على الولايات المتحدة، ويعلن موافقته على مقاومة الشيوعية.

على وجه العموم عرض سعود على عبد الناصر إمكانية مواصلة جهوده فى ترميم العلاقات الأمريكية ـ المصرية.

ورد عبد الناصر قائلاً: «وإذا ما وافقت مصر على ذلك.. فما هى الشروط الأمريكية التى يمكن أن تشترطها الولايات المتحدة على مصر؟».

رد سعود بأنه ليست هناك شروط سوى إبداء مصر لحسن النوايا الطيبة فى العلاقات مع واشنطن، ووقف التعامل مع الاتحاد السوفيتي.. وقد رفض عبد الناصر ذلك.

* * *

بعد هذا اللقاء توجه سعود مباشرة من مصر إلى الولايات المتحدة ليبلغ إيزنهاور بنتائج محادثاته فى مصر.. وكانت هذه الزيارة فى أول فبراير ١٩٥٧.. حيث اجتمع بالرئيس الأمريكى ووزير الخارجية دالاس، واللذين استمعا منه إلى تقييم للموقف الناصرى.. وعلى ضوء ذلك وصف ايزنهاور عبد الناصر بأنه مغرور، واعتبر أن سياسته تلك ستؤدى إلى إحكام قبضة السوفييت على مصر والدول المجاورة، وشرح لسعود باستفاضة مفهوم مبدئه، زاعماً بأنه لا يعمل على بسط الهيمنة المركزية الأمريكية على المنطقة بقدر ما يعمل على إبعاد الخطر الشيوعى.. وأشار إلى أن جميع حكام الدول العربية يجب أن يعوا ذلك، وقال للملك سعود: «إن الاتحاد السوفيتى إذا ما استطاع أن يتغلغل سياسياً أو عسكرياً فى المنطقة فإن هذه الدول ستعتنق المبدأ الشيوعى، وأن ما يدعيه عبد الناصر من فكرة القومية العربية سيتلاشى وسيقضى عليها تماماً ليسيطر عليها هذا المبدأ الشيوعى (الآثم)».

وأبدى أيزنهاور مخاوفه من تغلغل الشيوعية إلى السعودية، قائلاً: «إن هذا يمثل أكبر المخاطر على ديانتكم المحمدية».. وأضاف: «إننى أعلم أنكم دولة تقوم على الأسس

الدينية، والشيوعية ترفض الأديان، ولذا فإن السماح لعبد الناصر بأن تكون دولته شيوعية، فإن هذا يعنى القضاء على حكومتكم وتولية حكام شيوعيين على السعودية».

واستطرد قائلاً: «ولكننا نحن أصدقاؤكم الأمريكيين لن نسمح بحدوث هذا، وسنقف بكل قوة تجاه هذه التحركات المشبوهة». وطلب من سعود أن يوافق صراحة على مبدئه معتبراً أنه «وعبر الموافقة السعودية يمكن أن تتدخل الولايات المتحدة لصالحكم عسكرياً».

ورد سعود بأن عبد الناصر أكد له أن السوفييت لن ينشروا مبادئهم فى مصر.

وهنا قال إيزنهاور: إن هذا إدعاء كاذب.. وتساءل عن السبب فى أن يقوم الاتحاد السوفيتى بمساندة مصر عسكرياً.

وأجاب على نفسه قائلاً: إن السبب واضح فى نشر الشيوعية.. وهنا طلب إيزنهاور من وزير الخارجية الأمريكى ملفاً خاصاً.

وغادر دالاس فترة (٥) دقائق عن الاجتماع ثم عاد ومعه الملف، وأخذ إيزنهاور يقرأ للملك سعود ما مفاده وجود اتفاق سرى بين مصر والاتحاد السوفيتى على السماح للسوفييت بنشر مبادئهم الشيوعية فى جميع دول المنطقة من خلال المثقفين المصريين. وزعم بأن هناك خطة بإرسال هؤلاء المثقفين إلى البلاد العربية، معتبراً أن السعودية هى المستهدف الأول من هذا المخطط، وذكر أن أحد مواد الإتفاق تشير إلى عدم تدخل المبدأ الشيوعى فى ديانة دول المنطقة، وعدم السماح بالدخول فى مناقشات دينية حول هذا المبدأ.

وأشار إيزنهاور إلى مادة أخرى خاصة باستقبال أكثر من (٦٠٠) روسى عقيدى فى مصر لشرح المبادىء الشيوعية.. ومادة أخرى تؤكد على أن الاتحاد السوفيتى سيفرض حمايته على دول المنطقة إذا ما آمنت بالمبادئ الشيوعية.

وبعد أن فرغ إيزنهاور من كلامه أبدى الملك السعودى موافقته على مبدئه، وأعطى الولايات المتحدة تصريحاً مباشراً بالتدخل العسكرى فى الوقت الذى يرونه لحماية بلاده من الخطر السوفيتى. وفى ضوء ذلك وافق على أن يمنح الولايات المتحدة حق إستخدام قاعدة الظهران لخمس سنوات إضافية، وورد فى الإتفاق العسكرى الذى وقعه سعود مع إيزنهاور:

- قيام الولايات المتحدة بإرسال أكبر عدد من الخبراء العسكريين الأمريكيين

للإشراف على تدريب الجيش السعودى.

ـ قيام وحدات أمريكية فى الوقت الملائم الذى تراه واشنطن ـ بعد التشاور مع السعودية ـ بالدفاع عن بعض الثغور السعودية.

ـ تقديم مساعدات عسكرية أمريكية إضافية لتقوية القوات المسلحة السعودية.

ـ توفير المعدات العسكرية الحديثة للقوات المسلحة السعودية.

* * *

بالطبع كان لابد وأن يقع الانفجار فى العلاقات المصرية السعودية فى ضوء ما توصل إليه سعود فى واشنطن.

.. وحاول سعود أن يخفف من وطأة هذه الاتفاقات السعودية ـ الأمريكية، وأن يبدى لعبد الناصر حسن النوايا تجاه مصر حتى على الرغم من توثيق العلاقات المصرية السوفيتية، ولذلك توقف فى طريق عودته من واشنطن فى القاهرة، حيث كان هناك اجتماع لعبد الناصر مع الملك حسين والرئيس السورى شكرى القوتلى.. وقال سعود للزعماء بعد أن انضم إليهم أنه وجد تفهماً فى واشنطن، وأنهم سيحافظون على استقلال الدول العربية وزعم أن واشنطن ليس لديها مخططات لفرض الهيمنة الأمريكية، وقال: «أن ايزنهاور يعرض مساعدته الإقتصادية والعسكرية على الدول العربية إذا ما رغبت فى ذلك»، وأنه ـ أى سعود ـ يرى أنه من صالح الدول العربية أن تقيم علاقات طيبة مع الولايات المتحدة، وأنه لا يرى مبرراً لقيام علاقات صراع بين مصر والولايات المتحدة، معتبراً أن نتيجة ذلك لن تكون فى صالح مصر أو فى صالح الدول العربية.

ورد عبد الناصر... هل يعنى ذلك أن ايزنهاور أبلغك بأنه ينوى مهاجمة مصر؟

فرد سعود: «إيزنهاور لم يبلغنى ذلك وإنما طلب منى إقناعكم بالعدول عن موقفكم بشأن مبدئه».

فرد عبدالناصر: هل يعنى ذلك أن إيزنهاور طلب منكم أن نوافق على مبدئه؟

قال سعود: أن الموافقة على هذا المبدأ لن تضرنا.. وأن الولايات المتحدة لن تتدخل فيما بيننا.

فرد عبد الناصر: لا يمكن القبول بذلك، فإننا إذا قبلنا، فإن هذا يعنى أننا قبلنا بالتدخل الأمريكى فى حياتنا وشئوننا الداخلية والخارجية.

قال سعود: إننى يا سيادة الرئيس فى قلق من أن تنتشر الشيوعية فى بلادنا، وإن الاتحاد السوفيتى يعمل على ذلك...

ناصر: إن الشيوعية لن تنتشر فى بلادنا إلا بالقدر الذى نريده نحن.

سعود: ونحن لا نقبل بأن تنتشر الشيوعية على أى حال فى بلادنا.

ناصر: ونحن أيضاً لا نوافق على ذلك، ولكن يجب أن تكون هناك حرية فكر فى بلادنا.. ولكن لا نؤمن بأن الفكر يتحول إلى فوضى.

ووافق القوتلى وحسين على كلام عبد الناصر... واستطرد ناصر فى قوله: إننى عندما أستعين بالسوفييت لا أفعل ذلك حباً للسوفييت أو حباً للشيوعية، ولكن أستعين بهم حتى يكونوا حجر عثرة فى وجه النفوذ الأمريكى.. وقال: هل أستعين بالهند لأقاوم النفوذ الأمريكى أو أستعين بدولة أفريقية لمقاومة هذا التغلغل الأمريكى؟!.. إنه طبيعى أن نستعين بالقوة العظمى الأخرى التى تناوئ الأمريكان.

وقال: إننى عندما استعنت بالسوفييت قلت لهم اتركوا لنا نحدد كيف تساعدوننا ومتى تنتهى مساعدتكم، ولن نسمح بأن تتدخلوا فى أبسط أمورنا الداخلية والخارجية.. وفى الحقيقة وافقوا هم على ذلك، وحتى الآن لم يصدر منهم ما يشير إلى رغبتهم فى السيطرة على مقدراتنا.

ثم وجه عبد الناصر كلامه إلى سعود قائلاً: إن الأمريكان طلبوا منك تجديد قاعدة الظهران، وطلبوا منك إشراف الخبراء الأمريكيين على الجيش السعودى، ولكن السوفييت لم يطلبوا قاعدة عسكرية فى أى منطقة من بلادنا، ولم يطلبوا أن يشرفوا على تدريب جيشنا.

رد سعود: هل تقصد يا سيادة الرئيس أننا نخضع للنفوذ الأمريكى.

رد عبد الناصر: أنا لم أقل ذلك.. ولكنكم أصدقاء حميمين للأمريكان.

سعود: وهذا لا يعيب السعودية.

ناصر: بل يعيبها... فنحن نريد أن نشكل قوة عربية حقيقية ومؤثرة، وهذا لا يمكن أن يتحقق طالما سمحنا للقوى الأجنبية أن تتدخل فى شئوننا.

حسين: إن الوحدة العربية هى أمر أساسى، وإننى أرى أننا خرجنا عن مناقشة مصيرنا الوحدوى.

رد القوتلى: إننا أمام أخطار حقيقية يجب أن نتطرق لها.

سعود: إنى أؤيد الوحدة ولا أعارضها.. ولكن كلام الرئيس عبد الناصر لا يوافقنى، فإننى أراه ينظر إلينا وكأننا نحن العقبة فى طريق هذه الوحدة.

ناصر: إننا فى هذا الاجتماع لا نبحث أمر الوحدة العربية. ولكننى أبحث المخاطر الأمريكية على المنطقة.

سعود: أعتقد أننا لا يمكن أن نتفق طالما درنا فى هذه الحلقة.

ناصر: أن كل ما أريده هو أن نخرج من هذا الاجتماع ببيان يدين مبدأ إيزنهاور.

سعود: إننى أطلب التروى والبحث فى هذه النقطة قبل أن نصدر البيان.

ناصر: يا جلالة الملك أعتقد أن نتائج محادثاتك فى واشنطن سارت سيراً طيبا!

سعود: وما علاقة هذا بما قلته؟

ناصر: لأنها لو سارت سيراً غير طيب لأيدتنا.

ووافق القوتلى على ما ذهب إليه ناصر.

وأخذ سعود يستطرد فى الحديث، وتركه ناصر يقول ما فى جعبته.. ثم سأل سؤالاً محدداً.

هل تقبل بأن نصدر هذا البيان؟

فطلب سعود أن يكون البيان عاماً لأى نفوذ أجنبى فى المنطقة ولا يقتصر على الأمريكان فقط. ووافق عبد الناصر على الفكرة، على الرغم من أن حسين والقوتلى طلبا أن يتضمن البيان صراحة معارضة النفوذ الأمريكى.. إلا أن عبد الناصر طلب من حسين والقوتلى أن يكون البيان عاماً لإرضاء العاهل السعودى.

وبالفعل صدر البيان عن هذه الاجتماع فى ٢٧ فبراير ١٩٥٧، وأكد على أن الشرق

الأوسط منطقة محايدة ولن يسمح لأى نفوذ أجنبى بأن يتدخل فى المنطقة.

بالطبع كان واضحاً أن نتيجة الاجتماع لابد وأن تلقى بآثارها على العلاقات المصرية ـ السعودية..

وعلى الرغم من ذلك، فإن عبد الناصر وشكرى القوتلى إتفقا فى نهاية محادثاتهما على خطورة سعود، وأنه سيصيب المنطقة بداء أمريكى عضال، ولذا فإنه يجب التخلص منه، وإلا فإن الولايات المتحدة ستشن عمليات عسكرية ضد مصر وسوريا.. وأن ذلك يعنى تنفيذ المخطط الأمريكى فى المنطقة.

* * *

وفى مارس ١٩٥٧ رفعت المخابرات المركزية الأمريكية (سى ـ أى ـ إيه) تقريراً إلى العاهل السعودى من خلال مبعوث استخبارى استقبله الملك.

وقد رفض المسئول الاستخبارى أن يدلى بأى معلومات لوزير الخارجية السعودى أو أى مسئول سعودى وأصر على لقاء الملك.

والتقاه الملك. حيث نقل له تقريراً مفاده أن ناصر أرسل مجموعة مصريين إلى السعودية لإغتياله، وأن هؤلاء المصريين اندسوا فى داخل المجتمع السعودى بدعوى العمل، كما أن هذه المجموعة التخريبية معها أسلحتها ومعداتها التى تم تهريبها إلى داخل السعودية، وأن هؤلاء المصريين اتفقوا مع بعض عناصر المعارضة السعودية لتسهيل مهمتهم تلك.. وأن عددهم يزيد على (٣٠٠) شخص، كما أن السوريين اشتركوا فى هذه المؤامرة مع عبد الناصر، إلا أن الأمريكان ليس لديهم الأدلة الدامغة على اشتراك السوريين فى هذه المؤامرة، وأن الاغتيال للملك سيكون فى أحد لقاءاته العامة، وأن الجزء الثانى من الخطة التخريبية المصرية على حد تعبير التقرير الأمريكى تتضمن إرسال مجموعات مصرية أخرى لنشر الأفكار الشيوعية الهدامة فى داخل المجتمع السعودى.

وطلب مسئول المخابرات ضرورة أن يتم اتخاذ كافة الاحتياطات الأمنية اللازمة لوقف هذا المخطط المصرى..

وعندما سأل سعود المسئول الأمريكى عن مصدر هذه المعلومات، أجابه بأن هناك

تعاوناً بين إسرائيل وبعض المصريين الذين يعملون في داخل الأراضى المصرية وأن هناك أكثر من (٥) تقارير من أفراد مصريين متنوعين لا يعرف بعضهم البعض وصلت إلى إسرائيل، وأن إسرائيل أطلعت الولايات المتحدة على هذه التقارير.. وأن المخابرات الأمريكية من خلال أجهزتها الخاصة تأكدت من صحة هذه المعلومات، وأنها قامت باستطلاع فى داخل المملكة ووجدت أن أعداد المصريين زادت الشهرين الأخيرين، وأن هناك أكثر من ٧٠٠ مصرى دخلوا الأراضى السعودية فى هذه الفترة، فى حين أن الفترات السابقة لم يزد عدد المصريين فيها على أكثر من (١٠٠) مصرى فى الشهر الواحد..

تؤكد المعلومات فى هذه النقطة أن الأمريكيين حاولوا إيهام السعودية بأن إسرائيل تعنى بأمن الملك، وأنها تشترك مع الولايات المتحدة فى توفير الحماية الأمنية اللازمة له.

وفى هذا المجال تؤكد المعلومات أن عبد الناصر كان بالفعل يريد التخلص من سعود حتى لا ينفذ المخطط الأمريكى فى المنطقة، إلا أنه لم يقم بهذه المحاولة، ولم يكن هناك أى مصرى مكلف من أى جهة فى داخل مصر بالقيام باغتيال سعود.. وإنما كانت وسيلة عبد الناصر هى أن يقوم السعوديون أنفسهم بتنحية سعود.. على الرغم من أن شكرى القوتلى كان أكثر حدة من عبد الناصر فى ذلك، حيث كان يرى ضرورة تدبير محاولة خارجية لاغتيال هذا الملك.

على وجه العموم صدق سعود الدعاوى الأمريكية وآمن بها، وقام بترحيل أعداد كبيرة جداً من المصريين العاملين فى السعودية زاعماً تآمرهم لاغتياله.. وألقى القبض على بعض المصريين.. وقد استدعى ذلك أن يحذر عبد الناصر الملك سعود فى إحدى رسائله بأن بقاء مصرى واحد فى السجون السعودية سيجعلنا نرد بمنتهى العنف، وقال: دعونى لا أتخذ خطوات يندم عليها سعود، وطالب عبد الناصر بالإفراج الفورى عن كل المصريين.. وعلى عجل استدعى سعود السفير الأمريكى وأطلعه على رسالة عبد الناصر، فنقلها السفير فوراً إلى بلاده.. ولم يمض وقت طويل حتى تلقى سعود رداً أمريكياً، حيث طلبت منه واشنطن أن يقبل التحدى من عبد الناصر وألا يفرج عن المصريين ولينتظر رد الفعل المصرى، وقد استدعى ذلك أن يتشاور سعود مع الأسرة المالكة، والذين قرروا

قرروا ضرورة الإفراج عن كل المصريين، وكان فيصل ولى العهد متشككاً فى أن يحسم الأمريكان الأمر.. وكان يرى أن هذا الأمر بسيط جداً، ولا يخرج عن كونه إفراجاً عن بعض المصريين فى السجون السعودية وترحيلهم إلى بلادهم، معتبراً أن الإبقاء عليهم سيخلق مواجهة مباشرة مع مصر.. وقد قبل سعود برأى الأسرة، على الرغم من رغبته فى أن تتولى واشنطن تأديب عبد الناصر.

* * *

من جهته عندما علم عبد الناصر بالخلافات فى داخل الأسرة المالكة، وعلم أيضاً بالرد الأمريكى الذى حاول أن يتخذ من هذه الواقعة ذريعة لضرب مصر. أرسل برسالة خاصة إلى فيصل ناداه فيها باسم العروبة، وباسم رابطة الدين بين البلدين أن ينقذ العلاقات المصرية ـ السعودية، وأكد له أن رسالته الأولى لسعود لم تكن تعنى شن مصر الحرب على السعودية، وقال: «إننى عندما أفكر فى أن أغزو دولة عربية فإننى بذلك أكون قد ضللت الطريق الذى طالما أتمناه وهو الوحدة العربية.. وأن مقدرات مصر العسكرية ليست مسخرة لغزو دولة عربية، وإنما هى مسخرة لضرب أى دولة أجنبية تغزو دولة عربية.. وأن جيش مصر العسكرى هو جيش السعودية، وإننى أتعهد لكم بأنكم إذا طلبتم نجدتنا لصد أى محاولة لزعزعة استقرار أمنكم، فستجدوننا فى مقدمة الصفوف التى تدافع عن الأمن السعودى.

تؤكد المعلومات أن عبد الناصر أرسل هذه الرسالة بهدف إفشال المخطط الأمريكى، وكى يحول دون تسرع السعودية فى طلب النجدة والمعونة الأمريكية.

وعندما علم وزير الخارجية الأمريكية بأن مصر تحاول تهدئة العلاقات مع السعودية حتى لا يطلب السعوديون المساعدة العسكرية الأمريكية المباشرة، فكروا فى تدبير شىء جديد.

والشىء الجديد الذى فكر فيه الأمريكان هو محاولة اغتيال عبد الناصر، وقام (أثون) مسئول السى ـ أى ـ ايه ـ الذى سبق وأبلغ السعودية بمعلومات كاذبة عن محاولة عبد الناصر لإغتيال الملك ـ بزيارة أخرى للسعودية، وعرض على سعود أن يتولى تمويل فريق عمل أمريكى ـ سعودى مشترك لاغتيال عبد الناصر، ووافق الملك على هذه الفكرة، وطلب من الأمريكان أن يخططوا لها تخطيطاً دقيقاً.. إلا أن المحاولة فشلت فى مارس ١٩٥٨..

وكانت سوريا أكثر حدة من مصر في انتقاد ابن سعود وتمويله للمجموعة التي خططت لاغتيال ناصر، على الرغم من أن مصر لم تلق بالاً لهذه المحاولة.

وفي الوقت الذي تزايدت فيه حدة الخلافات المصرية ـ السعودية كان عبد الناصر يواصل رسائله إلى أفراد العائلة السعودية يحذرهم فيها من المخطط الأمريكي، ويؤكد فيها أن الولايات المتحدة تريد استخدام السعودية لضرب مصر العربية وكشف ناصر في رسائله عن معلومات مفادها أن الولايات المتحدة تريد أن تسيطر عسكرياً على منطقة الخليج من خلال ضرب أي قوة عربية تحاول أن تناوئها وأن تنازعها في المنطقة.. وكشف عن وجود خطط أمريكية جاهزة في هذا الشأن.

وقال إن قاعدة الظهران لن تكون القاعدة الوحيدة التي يسيطر عليها الأمريكيون، فهم طموحون إلى السيطرة على أكثر من (٥) قواعد جوية في السعودية وتشييد (٧) قواعد عسكرية أخرى.. وأضاف «أن الأمريكيين يريدون أن يربطوا منطقة الخليج بالحزام الأمني الأمريكي من خلال حلف شمال الأطلنطي، وأن هذه المنطقة ستستغل عسكرياً واقتصادياً لتمويل المجهود الحربي الأمريكي».

وأكد عبد الناصر في رسائله لفيصل: «أن مصر على إستعداد لأن تقف معكم إذا ما أبديتم الرغبة في مقاومة هذه المخططات الأمريكية».. وأكد أنه ليس في مصلحته أن يتآمر على الأسرة السعودية لأنه يبغي الإستقرار لجميع الدول العربية.

* * *

واستطاعت الرسائل الناصرية، بالإضافة إلى الاتصالات السرية بين مصر وبعض عناصر الأسرة المالكة السعودية، أن تدفع السعوديين لإبداء رغبتهم في تخفيف العداء بين مصر والسعودية، ورأت الأسرة أن ذلك لا يمكن أن يتم إلا من خلال تقليص نفوذ سعود.

وبالفعل تحرك فيصل في ٢٤ مارس ١٩٥٨ ليرغم سعود على التخلي عن كل السلطات التنفيذية ليتولاها هو. وأدرك جهاز الأمن القومي الأمريكي ـ وكذلك الخارجية الأمريكية ـ أن هذا التغيير لعبت فيه مصر دوراً وأنه من الأفضل سرعة احتواء فيصل.. وبالفعل سافر فيصل إلى الولايات المتحدة، وهناك دارت مناقشات مطولة مع إيزنهاور، ركز فيها الرئيس الأمريكي على استفادة السعودية من التعاون العسكري مع واشنطن،

وطلب منه ألا يأمن جانب عبد الناصر، وقد أكد فيصل فى هذا الاجتماع على رغبته فى الإبقاء على التعاون العسكرى الوثيق مع الولايات المتحدة إلا أنه كان واضحاً عندما أبلغ الولايات المتحدة بأنه لن يقبل أن يستخدم هذا التعاون لضرب دولة عربية (مصر).

هذا التأكيد لم يرق بالطبع للمسئولين الأمريكيين، وطلبوا من فيصل أن يتخلى عنه، وأشار وزير الخارجية الأمريكى إلى أن الولايات المتحدة تريد الحفاظ على الأمن السعودى، ولذلك فإنها ستضرب أى دولة عربية تهدد هذا الأمن.

على وجه العموم قبلت واشنطن مرحلياً القبول بمبدأ فيصل الذى يعد حجر عثرة فى سبيل تنفيذ هذا المخطط الأمريكى لضرب مصر. وكان فى رأى الخارجية الأمريكية أن فيصل سيتخلى عن هذا المبدأ عندما يجد أن هناك إتحادين عربيين هدفهما الأمن السعودى هما: الاتحاد المصرى - السورى فى الجمهورية العربية المتحدة، والاتحاد العراقى - الأردنى.

وحاولت الولايات المتحدة جاهدة أن تمنع إنضمام السعودية لأى من الحلفين العربيين حتى لا يؤثر ذلك على المصالح الأمريكية فى المنطقة.. وأرسل الرئيس الأمريكى رسالة طلب فيها تعهداً سعودياً بعدم الانضمام إلى أى من الاتحادين.. وفى هذا الشأن تشير المعلومات إلى رفض فيصل لأحد المطالب التى تضمنتها رسالة الرئيس الأمريكى بقبول وحدات أمريكية للدفاع عن أمن المملكة ضد الحلفين العربيين.

وعلى الرغم من أن الرسالة أكدت على وجود مخططات مصرية - سورية لمهاجمة الأراضى السعودية، إلا أن فيصل رد بأنه لديه تعهدات من عبد الناصر بأنه لن يهاجم السعودية.

وعلى الرغم من أن الاتصالات السعودية - الأمريكية نشطت بعد ذلك لإيهام السعوديين بأنهم فى خطر حقيقى، إلا أن فيصل رفض ذلك بإصرار.

وأحس عبد الناصر بهذه التحركات الأمريكية والتى استهدفت تنفيذ مخططهم فى المنطقة، فحاول عرقلة هذه الاتصالات المباشرة مع السعوديين، بالإضافة إلى أنه كان فى حاجة لأن يقوى مركزه اقتصادياً من خلال الحصول على بعض الدعم المالى السعودى.

ولذلك أرسل وزير الحربية المصرى عبد الحكيم عامر فى يوليو ١٩٥٨، واجتمع مع الملك سعود.. ومع فيصل ومع عدد من المسئولين السعوديين، وكانت تعليمات عبد الناصر إلى عامر أن تقتصر محادثاته على بحث موضوع التهديد الإسرائيلى للدول العربية، وذلك فى محاولة لتفادى حدوث أية خلافات بين الجانبين.

وكما تؤكد المعلومات بأن عبد الناصر أراد من هذه الزيارة أن يثبت حسن نواياه للسعوديين حتى يضيع الفرصة على الولايات المتحدة فى تنفيذ مخططاتها فى المنطقة.

وبالفعل قدم عامر كل التأكيدات المصرية بالحفاظ على الأمن السعودى، كما طلب عبد الناصر من عامر ألا يبحث مع المسئولين السعوديين أبعاد العلاقات الأمريكية ـ السعودية، حيث كان يدرك أن بحث هذه المسألة سيثير خلافات مصرية ـ سعودية، ورأى عبد الناصر أن المدخل الحقيقى الذى يمكن أن يتفق فيه السعوديون معه هو التهديد الإسرائيلى.

وبالفعل استطاع عامر أن يتوصل إلى إتفاق كامل مع السعوديين لمعارضة السياسة الإسرائيلية، وكما تشير المعلومات فإن عبد الناصر كان فطناً فى هذه النقطة من المباحثات مع السعوديين، حيث أن إسرائيل هى الحليف الأول للولايات المتحدة، وانتقاد السياسة الإسرائيلية يترتب عليه إنتقاد ضمنى للولايات المتحدة، وأن ذلك من شأنه أن يثير غضباً أمريكياً على السعودية.

* * *

وحدثت بعد ذلك تطورات مذهلة فى المنطقة، حيث أنه فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ قامت ثورة عسكرية فى العراق تم فيها الإطاحة بالنظام الملكى، وجاء نظام عسكرى عراقى راديكالى، الأمر الذى أقلق السعوديين كثيراً.[١] وفى ذات الوقت تخوفت الولايات المتحدة من أن يتحالف النظام الراديكالى العراقى الجديد مع عبد الناصر، الأمر الذى سيوجه ضربة قاصمة للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط.

وكلفت الخارجية الأمريكية عناصر الإستخبارات (السى ـ أى ـ إيه) بالبحث فى نوايا النظام العراقى الجديد، وأهدافه وطموحاته ومدى ارتباطه بالنظام العسكرى الراديكالى فى مصر، وأرادت الولايات المتحدة أن تثبت تمركزها فى المنطقة من خلال إظهار عناصر قوتها، وألا تتوقف سياستها عند حدود مجرد التأييد السياسى للأنظمة

الموالية لها فى المنطقة.

وجاء هذا التحرك أيضاً بعد أن قلقت الدول الأوروبية على مصالحها فى المنطقة، كما جرت اتصالات أوروبية أمريكية فأوضحت أن أوروبا توقعت أن يكون هناك تحالف عسكرى عربى بقيادة ناصر، وأن هذا التحالف سيهدف إلى تدمير كل المصالح الأوروبية والأمريكية فى المنطقة، ولذا طلبت الدول الأوروبية من الولايات المتحدة التنسيق بين الجانبين حتى يكون هناك تدخل عسكرى مباشر فى المنطقة.

وكما تؤكد المعلومات فإن هذا التدخل على الرغم من إقراره من الدول الأوروبية والأمريكية، إلا أنهم لم يتفقوا على الطرف الذى يوكل إليه توجيه هذا التدخل العسكرى، خاصة وأنه كانت هناك خشية أوروبية أمريكية من التدخل ضد مصر تحسباً للتدخل السوفيتى لمساندتها.. فى هذا الوقت تلقت الإدارة الأمريكية التقرير الدورى للمخابرات المركزية الأمريكية عن أحوال منطقة الشرق الأوسط.

رفع هذا التقرير فى ١٦ يوليو ١٩٥٨، وقبل رفعه مباشرة كانت الولايات المتحدة تفكر فى التدخل عسكرياً فى العراق لو أن الثورة العراقية الجديدة لم تضع أوزارها منذ البداية، بمعنى أن يكون هناك إقتتال بين النظام الملكى فى العراق والنظام العسكرى الجديد، وكما رسمت الخارجية الأمريكية السيناريوهات، فسوف تعتبر واشنطن هذا الإقتتال يمثل تهديداً لمصالحها، ومن ثم يكون ذلك مبرراً لتدخلها العسكرى ضد العراق، إلا أن السيناريو الأمريكى فشل، حيث أن النظام العسكرى العراقى الجديد سرعان ما ثبت من حكمه وقضى تماماً على كل المؤيدين للنظام الملكى السابق.

تقرير (السى ـ أى إيه) حل هذه المعضلة الأمريكية، حيث أن لبنان شهدت صراعاً عنيفاً بين الطوائف الإسلامية والطوائف المسيحية فى ذلك الوقت، وكان رئيس لبنان فى ذلك الوقت كميل شمعون تربطه علاقات صداقة مع الولايات المتحدة.

جهاز الأمن القومى الأمريكى فكر فى كيفية الاستفادة من هذا التقرير. فطلب إلى الرئيس أن يرسل مبعوثاً أمريكياً خاصاً إلى لبنان هو (تيروت فاين) وحمل رسالة من الرئيس الأمريكى إلى الرئيس اللبنانى، عرض فيها مساعدة الحكومة اللبنانية للقضاء على هذا الصراع بين الطوائف الإسلامية والمسيحية فى لبنان.. وأن ترسل الولايات المتحدة

قوات خاصة لإعادة الهدوء إلى لبنان.. وأكد أيضاً الرئيس الأمريكى أن هذه القوات ستجلو عن الأراضى اللبنانية فور الانتهاء من هذا الصراع وعودة الهدوء الكامل للأراضى اللبنانية.

وتفسر المعلومات فى تلك الرسالة على النحو التالى:

١ ـ أن هناك عناصر موالية للولايات المتحدة والغرب فى لبنان من الطوائف المسيحية، وأن عدم التدخل سيجعل الطوائف الإسلامية تحقق إنتصارها، ومن ثم يتم القضاء نهائياً على العناصر الموالية لها فى لبنان.

٢ ـ أن التدخل العسكرى فى لبنان هو بمثابة رسالة موجهة إلى النظام العسكرى العراقى الجديد بأنه فى حالة معارضته لسياسة الولايات المتحدة ووقوفه ضد المصالح الأمريكية، فإن الولايات المتحدة ستثبت مصداقية تدخلها العسكرى ضد النظام الجديد.

٣ ـ البرهنة للسعوديين على أن الولايات المتحدة يمكنها التدخل العسكرى لحمايتهم فى حال وجود أى مهددات لمصالحهم أو لأمن واستقرار الأسرة الحاكمة السعودية.

٤ ـ رسالة تحذير لعبد الناصر الذى كان قد بدأ يحاول أن ينهى الصراع فى لبنان من خلال الحل العربى حتى يعود الهدوء إلى لبنان، ولتقليص نفوذه وسيطرته خوفاً من أن يمتد إلى لبنان.

٥ ـ رسالة تحذير للنظام السورى الذى يرتبط بلبنان ارتباطاً سياسياً واستراتيجياً وأمنياً واقتصادياً.

٦ ـ رسالة إلى جميع الدول العربية الأخرى التى تدور فى فلك عبد الناصر أن تتراجع عن موقفها وألا تعارض السياسة الأمريكية، وإلا فإن الولايات المتحدة التى تدخلت عسكرياً فى لبنان ستتدخل أيضاً ضدهم.

وبالفعل.. بعد هذه الرسالة كان هناك طلب رسمى من الرئيس اللبنانى كميل شمعون للولايات المتحدة بالتدخل العسكرى إلى جانبه، وعلى الرغم من أن هذا الطلب كان محل إنتقاد عنيف من عبد الناصر، الذى أكد أن الرئيس اللبنانى لم ينتظر الحل العربى الذى

كان سينجح فى إحتواء هذه الأزمة، إلا أنه قبل أن يحرك عبد الناصر الدول العربية وبحثها على مقاومة التدخل الأمريكى فى لبنان، كانت قوات المشاه البحرية الأمريكية وصلت إلى لبنان وتدخلت عسكرياً لحماية العناصر الموالية لها. وثبتت الولايات المتحدة سياستها العسكرية فى لبنان.

وكانت السعودية من أولى الدول التى رحبت بهذا التدخل الأمريكى، على الرغم من أن هذا التدخل كان ضد طوائف إسلامية عديدة، وكانت السعودية وحكامها يقولون إنهم يحملون مشعل الدفاع عن الإسلام.. إلا أن الإتحاد السوفيتى سرعان ما بدأ تحركه، وأراد أن يناوىء النفوذ الأمريكى العسكرى فى لبنان، ووجد أن تثبيت دعائمه لن يكون إلا من خلال سوريا.

وبدأ المبعوثون السوفييت يتوافدون على سوريا، وبدأ المبعوثون السوريون يتوافدون على الإتحاد السوفيتى، وكان السوريون يظنون أن تحركهم وتوطيد دعائم علاقاتهم مع الإتحاد السوفيتى سيسر عبد الناصر ولن يعارضه بل سيؤيده.. وأيضاً اعتقد السوفييت أن إنشاء تحالف سوفيتى ـ سورى لن تعارضه مصر بل ستؤيده.

ومما يجدر ذكره أن عبد الناصر رفض أن يكون هناك تحالف سوفيتى - مصرى. حتى يحافظ على عدم التدخل الأجنبى أياً كانت صوره وأياً كانت الدولة التى ترغبه وأهدافها فى المنطقة.. ولكن خلافاً لتوقعات السوفييت والسوريين فإن ناصر عارض بشدة أن يكون هناك تحالف سورى ـ سوفيتى، وبعث عبد الناصر رسالة للرئيس السورى أهاب به فيها بالحفاظ على إستقلالية السياسة الداخلية والخارجية لسوريا، وألا يسمح للسوفييت بأن يتغلغلوا فى سوريا، وقال إن التغلغل السوفيتى فى سوريا يشبه التدخل الأمريكى فى لبنان والتغلغل الأمريكى فى السعودية، وأن المبادئ التى تتفق فيها مصر وسوريا لن تكون لها قيمة أو معنى إذا ما كان هناك تحالف سوفيتى ـ سورى. وفى ذات الوقت أيضاً كان ناصر يتباحث مع السوفييت لعرقلة هذا التحالف السورى ـ السوفييتى، وطلب منهم عدم التدخل فى سوريا.

* * *

وكانت وجهة نظر ناصر كما أوردتها إحدى المذكرات الخاصة برئاسة الجمهورية فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٢، أن رفضه جاء من منظور أن هذا التحالف السورى - السوفيتى سيجعل الأمريكيين يتمادون فى تنفيذ مخططهم ومؤامراتهم داخل المنطقة، وأن الولايات المتحدة ستسعى إلى إقامة تحالفات رسمية وخاصة مع الدول الخليجية وأن الإتحاد السوفيتى سيسعى أيضاً بذات الطريقة لتكوين أحلاف داخل المنطقة، وتوقع عبد الناصر أن نهاية الوضع فى المنطقة ستسفر عن تحالف عربى - أمريكى يواجهه تحالف عربى - سوفيتى، وأن اشتداد الصراع بين التحالفين قد يفضى إلى مواجهة عسكرية بين الإتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فى المنطقة.. وأن ذلك قد يؤدى إلى ضياع الاستقلال الذى حصلت عليه العديد من الدول العربيه.

وتقول المذكرة الخاصة أن هذا ما أفضى به ناصر إلى مستشاريه السياسيين فى ذلك الوقت، ولذا كان عليه أن يبذل مجهوداً أكبر فى منع المؤامرة الأمريكية، ومنع التدخل السوفيتى، ولذلك سعى إلى إقناع السوريين بالدخول فى وحدة مع مصر.. وكانت الفكرة الأساسية لعبد الناصر وراء هذه الوحدة هى منع السوفييت من أن يتغلغلوا فى سوريا.

ولم يكن عبد الناصر متخوفاً بقدر كبير من التغلغل السوفيتى، حيث أن السوفييت وعدوه بألا يكون تدخلهم فى المنطقة إلا بقصد مساعدة الدول العربية على مقاومة المؤامرة الأمريكية، ولن يكون ذلك إلا بعد موافقة الدول العربية وإستشارة ناصر.. وهو ما كان قد أبدى موافقته عليه..

* * *

تداعيات للعلاقات الخطرة
أكبر محاولة انقلاب فى تاريخ السعودية

جاء ليندون جونسون إلى الحكم خلفاً لكيندى وتشكك السعوديون فى أن يقدم جونسون على اتباع نفس السياسة واستمرارها كما كانت فى عهد كيندى.

هذا التشكك زاد وضوحاً عندما أوضح جونسون سياسته بتأييد إسرائيل المطلق واعتبارها ـ هى لا السعودية ـ حجر الزاوية فى تحقيق الأمن والمصالح الأمريكية فى المنطقة، وبات واضحاً أن جونسون يهمه فقط استقرار السعودية.. بغض النظر عن أن تكون الأسرة السعودية أو غيرها هى التى تحقق هذا الإستقرار.. ولذلك عمل السعوديون على تحسين علاقاتهم مع مصر، وذلك لكسب الوقت، وحتى يقنعوا الرئيس الأمريكى الجديد بالدفاع عن السعودبة كما كان كيندى يأخذ ذلك على عاتقه.

وكما تشير بعض المعلومات فإن الظروف هى التى هيأت لناصر أن يبتعد بدولته عن خطر المواجهة العسكرية المباشرة مع الولايات المتحدة.. ولو أن القدر أمهل كيندى شهراً حتى ديسمبر ١٩٦٣. لكان من الممكن أن يكون ناصر قد واجه بالفعل الحرب العسكريه مع الولايات المتحدة.

وقبل ناصر العرض السعودى بتحسين علاقاته.. خاصة وأن هذا العرض جاء من فيصل وليس من سعود.. وبالفعل أوقف ناصر كافة عملياته العسكرية فى مناطق الحدود اليمنية والسعودية.. وفى يناير ١٩٦٤ وافق ناصر على حضور الملك سعود محل حفاوة بالغة من ناصر.. وكانت هذه الحفاوة بقصد البرهنة لسعود على النوايا الطيبة لمصر فى علاقاتها مع السعودية.. وحتى يقنعه بحل كل المشكلات العالقة مع مصر من خلال الدول العربية فقط وبدون الإستعانة بالأمريكان.. وعلى رغم من أن ناصر لم يكن حتى ذلك

الوقت نفذ الاشتراطات السعودية فى اليمن، إلا أنه وعد سعود بأن مصر ستبدى كل نوايا طيبة فى علاقاتها مع السعودية، وأنها ستحل الخلافات حول اليمن، شرط ألا تتدخل الولايات المتحدة.

وقبلت السعودية بهذا الوعد من ناصر، ووافق فيصل فى مارس ١٩٦٤ على عودة العلاقات الدبلوماسية مع القاهرة، ونظراً لتحسن العلاقات المصرية السعودية شجع ناصر فيصل على توطيد وشائج العلاقات المصرية السعودية، وكان ناصر يريد أن يسيطر فيصل بشكل كامل على الحكم فى السعودية، لأن الشكوك كانت لا تزال تساوره قبل الملك سعود.

وجاء التعبير فى السعودية لصالح ناصر، حيث أنه فى مارس ١٩٦٥ سيطر فيصل بالكامل على حكومة المملكة، وأصبح الملك سعود مجرد قيادة شكلية.

ومن مارس إلى نوفمبر ١٩٦٥ كان هناك صراع داخل الأسرة المالكة، حيث أن سعود رفض ذلك وطلب من فيصل الالتزام بولاية العهد واحترام أسس الأسرة السعودية، وكان هناك قطاع من الأسرة يؤيد سعود ويرفض فيصل، إلا أن فيصل تحرك لإقناع جميع الأسرة السعودية، وأجبرهم على أن يدينوا له بالولاء فى نوفمبر ١٩٦٥.. واستولى فيصل على العرش وأكد فى قسم الولاء أنه لم يستول على العرش، وأن تدهور صحة الملك سعود هو الذى جعله ينصب نفسه ملكاً على البلاد.

وبعد أن استولى فيصل على الحكم خشيت الولايات المتحدة من أن يكون هذا التغيير ضد المصالح الأمريكية، فأسرعت ببيع نظام دفاع جوى أمريكى متطور للسعودية حرصاً على حسن النوايا تجاه فيصل.

وقام جونسون أيضاً ببيع أسلحة أمريكية جديدة للسعودية، وفى ذات الوقت سارعت الولايات المتحدة لكسب ود الأردن وأمدتها بالأسلحة.. كما أمدت الولايات المتحدة إسرائيل أيضاً بصفقات أسلحة متطورة.. كل هذا أدى إلى أن تسوء العلاقات المصرية الأمريكية إلى أبعد مدى. ورجع ناصر لتحذيراته من جديد بأنه لن يسمح للمخطط الأمريكى أن يستمر فى المنطقة..

ونظراً لمهاجمة ناصر المتكررة للسياسة الأمريكية، هاجم المصريون السفارة الأمريكية فى القاهرة فى خريف ١٩٦٥، وتم أيضاً إسقاط طائرة أمريكية فوق الأراضى المصرية، وعلل ناصر ذلك بأن الطائرة الأمريكية اخترقت المجال الجوى المصرى، وأن هذه الطائرة كانت لأغراض تجسسية.

وإمعاناً فى تزويد السعودية بما تحتاج إليه من معدات، قررت الولايات المتحدة تزويد السعودية بطائرات مقاتلة حديثة فى ١٩٦٥ أيضاً.. كما قامت الولايات المتحدة بتوفير المشتريات السعودية من الطائرات النفاثة الحديثة من بريطانيا، وزادت قيمة هذه الطائرات على ١٠٠ مليون دولار.. كما قدمت الولايات المتحدة صواريخ وتجهيزات القتال للسعودية.. وبذلك نجح جونسون فى أن يستميل فيصل إليه ويبعده عن ناصر.. الأمر الذى جعل ناصر يتهم السعوديين بأنهم الأداة الحقيقية فى المنطقة لتنفيذ المطامع والمؤامرات الأمريكية.. وهدد بأنه لن يسكت على ذلك، وعلى السعوديين أن يقدموا لمصر ما يثبت عكس كلامه.. إلا أن السعوديين لم يقبلوا بهذا التهديد الناصرى.

وفى يونيو ١٩٦٦ زار فيصل الولايات المتحدة وطلب منها أن تؤيد السعودية فى موقفها، اليمن.. وضرب العناصر الموالية لمصر... إلا أن فيصل لم يطلب من الأمريكان أن يوجهوا ضربة عسكرية لمصر. وإنما طالب بأن تقتصر حدود المساعدة الأمريكية على ضرب العناصر المصرية فى اليمن.

ووافقت الولايات المتحدة على ذلك.. على أن تبدأ بتقوية الجيش السعودى أولاً وتدريبه.. ثم تبحث فى زيادة القوات الأمريكية للقيام بهذه المهمة.. وبالفعل أرسلت الولايات المتحدة فى سبتمبر ١٩٦٦ مركبات حربية إلى السعودية قدرت قيمتها بـ١٠٠ مليون دولار أيضاً.

وعلم عبد الناصر بذلك المخطط السعودى - الأمريكى، وعلم أيضاً أن الولايات المتحدة لن تهاجم الأراضى المصرية لأن جونسون اقتنع بوجهة نظر فيصل فى تأييد السعودية فقط من خلال ضرب العناصر المصرية فى اليمن.. إضافة إلى أن جونسون اعتبر أن ضرب مصر يحتاج إلى قوات عسكرية أمريكية كبيرة، ولم يكن مستعداً فى ذلك

الوقت لإرسال هذه القوات إلى الشرق الأوسط.. ولكن تطورات الوضع فى اليمن دفعت بالولايات المتحدة الأمريكية لأن ترسل إنذاراً لناصر، ولم يمتثل عبد الناصر للإنذار.. وساد التوتر فى العلاقات المصرية ـ السعودية.. وقامت السعودية بسحب ترخيصات ممنوحة لاثنين من البنوك المصرية العاملة فى السعودية.

ورد ناصر فى فبراير ١٩٦٧ بالإستيلاء على ممتلكات الملك فيصل والأسرة المالكة السعودية فى القاهرة..

* * *

هنا أدركت الولايات المتحدة ضرورة التخطيط الجوى لضرب ناصر وإزاحة نفوذه تماماً...

وإحقاقاً للحق.. فإن فيصل عندما طلب من الأمريكان التدخل لمساعدته، وردت عليه الإدارة الأمريكية بأنها تخطط لضرب مصر عسكرياً وليس ضرب القوات المصرية فى اليمن.. اعترض فيصل على ذلك.. وكرر طلبه بأنه لا يريد إلا حماية السعودية ولا يريد ضرب مصر عسكرياً.

تفسر المعلومات ذلك بأن فيصل كان يقدر علاقاته الشخصية مع ناصر، ويرى أنه يمكن الإستفادة من القوة العسكرية المصرية لضرب إسرائيل، خاصة وأنه كان يبغض إسرائيل أشد البغض.. وكان يرى أن الوجود الإسرائيلى فى المنطقة يهدد أمن السعودية مثلما يهدد أمن الدولة العربية الأخرى.

وكان فيصل يدرك أن الإدارة الأمريكية تريد الحفاظ على الأمن الإسرائيلى المطلق لا تهديد الدول العربية فحسب.. وأيضاً للحفاظ على مصالحهم فى السعودية.. وأن الأمريكان يريدون من إسرائيل أن توجه تهديداتها للسعودية حتى يتشبث السعوديون بعلاقاتهم مع الولايات المتحدة، التى هى المصدر لتسليح السعودية وإسرائيل على حد سواء.. وأن الإدارة الأمريكية كانت تنظر إلى الخلاف المصرى السعودى ـ حتى مع تصعيده ـ على أنه خلاف مؤقت، وأنه بمجرد حل هذا الخلاف فإن التقارب سيكون قائماً بين الدولتين.. وأن هذا التقارب يضر بالمصالح الأمريكية.

على وجه العموم.. لم تعبأ الولايات المتحدة بالرد السعودى ولم تقدر له أية أهمية.. وأدرك فيصل ذلك، فأرسل مبعوثاً خاصاً إلى واشنطن.. والتقى بمساعد وزير الخارجية الأمريكى، وأبلغ فيصل الأمريكان بأنه إذا كانت هناك عملية عسكرية مباشرة ضد مصر من خلال إسرائيل فإن السعودية ستقف إلى جانب مصر.. وعلى الرغم من أن هذا الرد السعودى أقلق الأمريكيين إلا أن هذا القلق لم يدم طويلاً..

وجرى التخطيط الأمريكى ـ الإسرائيلى على أغلب درجات السرية، وعلى أعلى مستوى بين الجانبين.. وفى ٥ يونيو ١٩٦٧ اعتدت إسرائيل على مصر وسوريا والأردن.. وبعيداً عن أحداث هذه المعركة والتخطيط الأمريكى ـ الإسرائيلى الذى تناولته العديد من الكتابات، فقد صدق فيصل وعده وشاركت القوات السعودية التى تمركزت فى الأردن مع الوحدات العربية ضد إسرائيل.

وقامت الطائرات الأمريكية والبريطانية بمساعدة الضربات الجوية الإسرائيلية ضد مصر، واستمرت سياسات فيصل.. فانضم إلى العراق والكويت فى فرض حظر البترول على الولايات المتحدة وبريطانيا.

وكان طبيعياً أن تنزعج الولايات المتحدة من انضمام السعودية إلى المعسكر العربى. وخاصة أن أكثر من ٥٠٪ من احتياجات النفط الأمريكية تأتى من السعودية.. وكانت الولايات المتحدة فى حاجة ماسة إلى هذا النفط، حيث أن القوات المسلحة الأمريكية فى فيتنام وجنوب شرق آسيا كانت تغطى إحتياجاتها من النفط من الشرق الأوسط، وخاصه السعودية.. ولكن ناصر كان يريد خطوة أكثر اتساعاً مع السعوديين وهى قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة، مثل ثائر الدول العربية التى قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع واشنطن.

ثم طلب ناصر من فيصل أن يوقف عمل شركة أرامكو الأمريكية فى السعودية وذلك فى رسالة بعث بها إليه فى يونيو ١٩٦٧، حيث كان يعلم أن إنهاء إحتكار شركة أرامكو للبترول السعودى سيقضى تماماً على المصالح البترولية الأمريكية فى السعودية، إلا أن فيصل لم يوافق على طلب ناصر. ومع ذلك لم يشأ ناصر أن يزيد من هوة خلافاته مع السعوديين حرصاً على تضامن الموقف العربى فى مواجهة هذه الأزمة، إلا أن الولايات

المتحدة عاودت اتصالاتها بالسعودية وقدمت لها من خلال السفير الأمريكى فى الرياض كل المبررات التى تزعم عدم اشتراك أمريكا فى عدوان ١٩٦٧ على مصر..

بعد ذلك.. وفى الثالث من أغسطس ١٩٦٧ أرسلت الولايات المتحدة من خلال الخارجية الأمريكية إلى السفير الأمريكى بالسعودية ليعمل على تسوية كل نقاط الخلاف مع السعوديين.. وسرعان ما استجاب السعوديون للطلب الأمريكى.. ووافقوا على تسوية كل نقاط الخلاف.. وأجرت السعودية اتصالاتها مع الدول العربية لاتخاذ موقف فى اجتماع القمة العربية فى نهاية أغسطس ١٩٦٧، والوصول إلى قرار بشأن السماح لكل دولة عربية بحرية إختيار الموقف الذى تريده من تصدير النفط إلى الدول الغربية والولايات المتحدة.

* * *

وكانت الدول العربية النفطية قد تأثرت من الحظر النفطى... الأمر الذى أدى إلى مضاعفة الخسائر التى لحقت باقتصاديات هذه البلدان.. ولذلك رحبوا بالاقتراح السعودى، إلا أنه كانت هناك خشية من الدول الخليجية والعراق فى كيفية إبلاغ ناصر بهذا المقترح..

وجاء العديد من المبعوثين العرب إلى القاهرة ليؤكدوا وقوف هذه الدول مع ناصر، إلا أنهم طلبوا منه أن يوافق على أن يكون لهم الحق فى تصدير البترول إلى الولايات المتحدة وبريطانيا. وذلك نتيجة للخسائر الاقتصادية التى لحقت بهذه الدول.

وعلم ناصر أن السعودية هى التى خططت لهذا الاقتراح.. ومع ذلك لم يشأ أن يوجد هوة خلاف بينه وبين الدول العربية حرصاً على إستمرار ولاء الدول العربية لمصر فى هذه الأزمة، خاصة بعد أن أيقن ناصر أن الدول العربية ميالة للقبول بهذه الاقتراح.. ووافق بالفعل على هذا المقترح، وصدقت ظنونه فى أن تكون السعودية أولى الدول العربية التى بدأت فى استئناف شحن النفط إلى الولايات المتحدة، وكان ذلك فى أوائل سبتمبر ١٩٦٧، وفى المقابل وافقت الولايات المتحدة على إعطاء السعودية صفقة أسلحة ضخمة فى أكتوبر ١٩٦٧.

وقبل أن ننتقل إلى أحداث عام ١٩٦٨.. نشير إلى مذكرة خاصة أعدتها رئاسة الجمهورية فى أبريل ١٩٧٢ حول التفكير الناصرى بعد نكسة ١٩٦٧، جاء فى المذكرة «شعر ناصر أن الهزيمة التى وقعت ببلاده فى حرب يونيو ١٩٦٧ كارثة بكل ما تعنيه هذه

الكلمة من معاني.. وعلى الرغم من ثقته بأن هذه الحرب كانت لا محالة، وأن الولايات المتحدة هي التي دبرتها... إلا أنه قبل وقوع الحرب تأكد ناصر ـ وتحديداً في شهر مايو ١٩٦٧ ـ أن الولايات المتحدة وإسرائيل أحكمتا بالفعل تخطيطهما العسكري لضرب مصر، وأنه لن تجدي أية تنازلات يقدمها لإرضاء الولايات المتحدة ومنعها من الاشتراك في الحرب مع إسرائيل... ولذلك اتخذ ناصر طريق المواجهة المباشرة والتصعيد مع إسرائيل، وكان أمل ناصر الحقيقي من هذه المواجهة أن تتنبه كل الشعوب والحكومات العربية إلى خطورة الموقف، وأن تتخذ جميع الدول العربية بلا استثناء موقفاً عسكرياً وسياسياً مشتركاً ينم عن إعلان كل الدول العربية الحرب ضد الولايات المتحدة وإسرائيل، وتحول كل المنطقة إلى منطقة مواجهة ضد المؤامرة الأمريكية الإسرائيلية.

وكان الفكر الناصري في هذه الناحية متشابهاً مع فكرة صدام، الذي صعد من مواجهاته وسياساته مع الولايات المتحدة وإسرائيل، حتى يجذب كل الحكومات والشعوب العربية للوقوف إلى جانب العراق..

وكان صدام يأمل أيضاً مثل ناصر أن تتحول كل المنطقة إلى منطقة مواجهة مع الولايات المتحدة وإسرائيل، لكن هذا لم يحدث في عهد ناصر ولم يحدث أيضاً في عهد صدام. !

تضيف المذكرة الخاصة: أن ناصر أراد أن يتخذ موقفاً معتدلاً ليضمن الحصول على بعض المساعدات الاقتصادية العاجلة من الدول العربية النفطية.. ولكن هذا الموقف المعتدل يجب ألا يسمح في حدوده الدنيا بنشر النفوذ الأمريكي أو النفوذ السوفيتي، لأن ناصر كان يرى أن السوفييت لم يساعدوه بالقدر الواجب في مواجهة إسرائيل وأمريكا ولم يقدم السوفييت المساعدة العسكرية الواجبة لمصر.. كما لم يكن ناصر في ١٩٦٧ على استعداد لأن يخاطر بالدخول في مواجهة عسكرية جديدة مع الولايات المتحدة وإسرائيل، خاصة وأنه كانت هناك معلومات لدى ناصر بأن الولايات المتحدة على استعداد لضرب مصر عسكرياً من جديد في عام ١٩٦٧، لو ظلت سياسته تهدد المصالح الأمريكية في المنطقة، ولذلك رحب ناصر بزيارة فيصل له في أواخر عام ١٩٦٧ وتوصلا إلى تسوية مؤقتة حيال بعض نقاط الخلاف المصري السعودي... وبمقتضى هذه التسوية قدمت السعودية مساعدات اقتصادية لمصر... وأوقف ناصر الهجوم على الأسرة المالكة السعودية.

وفى الحقيقة أن هذا التطور كان فى صالح المؤامرة الأمريكية فى المنطقة، حيث أن السعودية أمنت جانب ناصر كما اعتقد السعوديون، لذلك شهدت الفترة من أواخر يونيو ١٩٦٧ إلى أواخر ديسمبر ١٩٦٧ أكبر صفقات أسلحة أمريكية للسعودية، بالإضافة إلى توقيع العديد من الاتفاقيات الاقتصادية والتجارية بين الولايات المتحدة والسعودية وكذلك العديد من الاتفاقات العسكرية... ورسخت الولايات المتحدة أقدامها فى السعودية وبقية دول الخليج.

كل ذلك كان فى الوقت الذى كان فيه عبد الناصر مشغولاً بترتيب أوراقه السياسية ومحاولته تحقيق التماسك للجبهة الداخلية، والتفكير فى إعادة بناء القوات المسلحة المصرية.

* * *

وعلى وجه العموم كانت هزيمة ١٩٦٧ من أكبر العوامل التى أثرت فى دور مصر فى مقاومة المؤامرة الأمريكية.. ولعل الخلاف الوحيد بين نتائج حرب العراق والولايات المتحدة والدول الأوروبية فى ١٩٩١ وبين نتائج حرب مصر مع الولايات المتحدة وإسرائيل وبريطانيا فى ١٩٦٧، أن هذه الهزيمة لم تفت فى عضد الحكم فى مصر.. وكانت مظاهرات ٩، ١٠ يونيو ١٩٦٧ هى خير دليل على ذلك. بينما تآمرت أطراف عديدة ـ وفى مقدمتها إيران ـ لإذكاء الصراعات الداخلية فى العراق.

والأمر المثير للدهشة أن المعلومات كشفت فيما بعد ـ وتحديداً فى (٢) أكتوبر ١٩٧٩ ـ من داخل أحد تقارير السى ـ أى ـ إيه ـ أن الإدارة الأمريكية خططت لقيام صراعات داخلية فى مصر بعد انتهاء المعارك العسكرية فى ١٩٦٧.

ويكشف تقرير (السى ـ أى ـ إيه) عن الاتصال ببعض العناصر الموالية للموساد الإسرائيلى... وبعض العناصر المسيحية فى مصر الإسلامية ، والذين كانوا يرفضون الحكم الناصرى.. وأن الولايات المتحدة وإسرائيل ـ التى كانت هى الضلع المباشر فى الأزمة ـ وعدتا بتقديم مساعدات عسكرية لهذه العناصر.. ووصلت بالفعل هذه المساعدات إلى بعضهم فى ٣٠ يونيو ١٩٦٧.. ومن ضمن الأسماء التى ورد ذكرها فى المشاركة فى هذا المخطط (عبد الحميد محمد إبراهيم، سعفان الطويل، ميخائيل عيسى حنا، عماد تادروس، أنور توفيق) وجميعهم كانت لهم إتصالات خارجية مريبة مع الدول الغربية

والولايات المتحدة وإسرائيل، إلا أن الحكومة المصرية أحبطت هذا المخطط فى مهده.

يتشابه ذلك مع ما حدث فى العراق من مساعدة الأكراد والشيعة، والعناصر الأخرى المناوئة لصدام حسين...

هذا ما جعل المؤامرة الأمريكية تجد مرتعاً خصيباً فى المنطقة، خاصة بعدما أزاحت الكابوس الناصرى المناوئ للمؤامرة الأمريكية.

بدأ عام ١٩٦٨ وحدثت تطورات فى غاية الأهمية... تمثلت فى أن الحكومة البريطانية بدأت تعانى مصاعب مادية بالغة.. وكان طبيعياً مع سيطرة حزب العمال على الحكم أن يحاول الإهتمام بتقوية الاقتصاد البريطانى.. وكان ذلك يستلزم أن تسحب جميع قواتها العسكرية التى خارج بريطانيا، فيما عدا المناطق التى تنظر إليها على أنها تمس مصالحها بشكل مباشر.. ونظراً للوضع الاقتصادى البريطانى السيىء.. اتفقت بريطانيا مع الولايات المتحدة فى ٢٢ ديسمبر ١٩٦٧ على أن تتولى حماية المصالح البريطانية فى الخليج... وأن تقوم الولايات المتحدة بالدور العسكرى الريادى فى الخليج فى مقابل تخفيض التواجد العسكرى البريطانى فى الخليج.

وبعد هذا الإتفاق بعدة أيام، والذى تم عقده من خلال السفير الأمريكى فى لندن ووزير خارجية بريطانيا، قررت الحكومة البريطانية سحب الوحدات العسكرية البريطانية من الخليج العربى قبل نهاية ١٩٧١..

وعندما أعلنت بريطانيا هذا القرار ساور السعوديون قلق بالغ، حيث أن هذه الوحدات البريطانية كانت تتولى جزئياً حماية الاستقرار السعودى وحماية الأسرة الحاكمة وساور السعوديون الشك فى أن تتولى الولايات المتحدة فرض حمايتها الكاملة للنظام السعودى. إلا أن القلق الأكبر لدى السعودية تمثل فى الخوف من أن يأتى الاتحاد السوفيتى ويملأ الفراغ البريطانى ويحاول زعزعة الحكم فى السعودية. إلا أنه مما قلل المخاوف السعودية فى هذا الصدد أن ناصر كان منشغلاً بالبناء العسكرى والاقتصادى الداخلى لمصر، وأنه فى حاجة إلى المساعدات الاقتصادية السعودية. وأن هذه المساعدات ستجعله يرفض أن يكون معبراً للسوفييت لزعزعة الحكم فى السعودية. وطمأنة الخارجية الأمريكية

السعوديين من خلال سفيرها فى السعودية فى فبراير ١٩٦٨ بأن الولايات المتحدة ستعنى بأمن السعودية، وأنها ستوفر كل الاحتياجات العسكرية للمملكة.

وكانت خطة الخارجية الأمريكية التى أعدت فى فبراير ١٩٦٨ وأبلغت للرئيس الأمريكى، هى أن الولايات المتحدة يمكن أن تقلل من تكاليفها للتواجد العسكرى الأمريكى فى المنطقة من خلال الاعتماد على ثلاث دول تنفذ الترتيبات الأمنية التى تشرف عليها الولايات المتحدة... وهذه الدول الثلاث هى السعودية، إسرائيل، إيران.. ونصحت المذكرة الأمريكية بضرورة تقديم أقوى أنواع المساعدات العسكرية للدول الثلاث، على أن يكون الإشراف الفعلى على هذه الدول الثلاث لرئاسة الأركان العسكرية الأمريكية، والتى يمثل فيها قائد الأركان الأمريكية رئيساً للترتيبات الأمنية فى المنطقة..

وأدركت خطة الخارجية الأمريكية أنه من الصعب جمع الدول الثلاث فى هيئة أركان مشتركة تجمع وزراء دفاع الدول الثلاث تحت رئاسة وزير الدفاع الأمريكى، نظراً للخلافات بين الدول الثلاث... ولذلك قررت أن يكون رئيس الأركان الأمريكى رئيساً لهذه الترتيبات الأمنية مع جعل كل دولة على حدة.. ويلاحظ أن مسألة التكاليف كانت معياراً هاماً ـ سواء لبريطانيا أو أمريكا ـ فى عملية الإشراف على الترتيبات الأمنية فى المنطقة فى ذلك الوقت، وأنها مثلت حجر الأساس فى الحد من التواجد العسكرى الأمريكى البريطانى المباشر فى المنطقة.. ويلاحظ كذلك أن الإدارة الأمريكية والحكومة البريطانية كانتا مهتمتان فى ذلك الوقت بتقوية إقتصاد كل منهما دون أن يعنى ذلك إغفال المصالح الإستراتيجية والسياسية فى الخليج.

نعود إلى المخطط الأمريكى فى ١٩٦٨.. حيث أدركت مذكرة الخارجية الأمريكية أن إيران وإسرائيل هما أقرب من السعودية فى تنفيذ هذه الترتيبات الأمنية التى تتيح للولايات المتحدة الإشراف الكامل على المنطقة...

وفطنت الخارجية الأمريكية إلى أن العمل على زيادة حدة الخلافات بين إيران والسعودية هو أفضل للمخطط الأمريكى من تقارب هاتين الدولتين.. حيث أن هذا الخلاف سيجعل السعوديين متشككين باستمرار من الإيرانيين، ويجعلهم يعتقدون أن الإيرانيين يشكلون مصدر تهديد مباشر لأمنهم... الأمر الذى يجعل السعوديين يلجأون إلى الولايات

المتحدة ويعملون على زيادة روابطهم وعلاقاتهم السياسية والعسكرية مع واشنطن.

ومما يجدر ذكره أن السياسات السعودية للتقارب مع مصر فى ذلك الوقت لم يرتاح لها الأمريكيون.. وإنما نظروا إليها بتشكك وارتياب... ونفذ المخطط الأمريكى بعد هذه المذكرة مباشرة، حيث قامت الولايات المتحدة بإعطاء كميات كبيرة من الأسلحة أيضاً للإيرانيين والإسرائيليين.

وبالطبع مثل هذا تخوفاً بالغاً لدى السعوديين فسعوا فى مايو ١٩٦٨ للحصول على تأكيد أمريكى بالدفاع عنهم، وأعطت الولايات المتحدة هذا التعهد للسعودية.

وفى يونيو ١٩٦٨ وصل الأمير خالد ولى العهد السعودى إلى واشنطن والتقى بالرئيس جونسون، والذى أكد له أن الولايات المتحدة ستساعدهم بشكل كامل للحفاظ على أمنهم، وأن الإيرانيين لن يمثلوا لهم أية مشكلة أمنية.. وكشف جونسون لخالد عن أن الولايات المتحدة اتفقت مع إيران على أن يتعاون البلدان فى حماية الأمن السعودى، ورجع خالد وبلغ فيصل ذلك، إلا أن فيصل لم يصدق ما أورده جونسون.. خاصة وأنه الحليف الأول لإسرائيل، إلا أن الأمر لم يدم طويلاً...

* * *

وجاء نيكسون فى ١٩٦٨، وحاول فيصل أن يحصل منه على وعد مماثل بحماية أمن السعودية... مثلما حصل من جونسون على ذلك.

وفى ديسمبر ١٩٦٨ ـ ولمحاولة طمأنة السعودية ـ قام رئيس مستشارى الرئيس الأمريكى للشئون الخارجية (ويليام سكرانتون) بزيارة للسعودية والتقى بفيصل، وأكد على أن إدارة نيكسون سوف تتولى حماية الأمن والاستقرار السعودى وتقديم كل ما تحتاجه السعودية من مساعدات عسكرية، وعرض زيادة البعثات العسكرية الأمريكية فى السعودية.. وعرض كذلك أن تكون هناك وحدات عسكرية أمريكية خاصة تتولى حماية الأمن السعودى.

وكما تذكر المعلومات فإن نيكسون أقدم على هذه الخطوات نظراً لزيادة الإكتشافات النفطية الهائلة فى السعودية... الأمر الذى ازدادت معه أهمية النفط السعودى للولايات المتحدة..

وفى أكتوبر ١٩٦٩ زار نائب رئيس الوزراء أنذاك الأمير فهد واشنطن، وكان هدف زيارته هو تطوير التعاون العسكرى بين السعودية وواشنطن.. وكان فهد مصراً على أن تنفذ الولايات المتحدة وعودها بشأن توفير الحماية الأمنية الكاملة للسعودية... وبالفعل نجحت زيارة فهد فى الحصول على مبيعات إضافية وضخمة من الأسلحة الأمريكية للسعودية.

وتؤكد المعلومات أنه وإن قررت إدارة نيكسون إمداد السعودية بهذه الصفقات الضخمة من الأسلحة. فإن هذا وإن كان لاعتبار الحفاظ على الهيمنة الأمريكية على شئون التسليح السعودى، وفرض ترتيباتها الأمنية على كل الدول الخليجية، إلا أن هناك اعتباراً آخر تمثل فى انخفاض الفائض فى ميزان المدفوعات الأمريكى، حيث انخفض هذا الفائض إلى (٤٥٠) مليون دولار فى ١٩٦٩، فى حين أنه كان يبلغ فى ١٩٦٨ (٦٥٠) مليون دولار وكان يبلغ فى ١٩٦٤ (٦.٩) مليار دولار.

ولمواجهة انخفاض الفائض قررت إدارة نيكسون زيادة مبيعات الأسلحة حتى يزيد الفائض ويقوى ميزان المدفوعات الأمريكى، وفى هذا الوقت حصلت إسرائيل أيضاً على كميات ضخمة من الأسلحة.

من جانب آخر فإن احتياطات النفط الداخلية فى الولايات المتحدة بدأت فى التناقص. كما أن الاحتياجات المحلية الأمريكية من النفط بدأت تتزايد... ولذا كانت هناك حاجة ماسة إلى تأمين مصادر النفط الخليجية... ونجحت إدارة نيكسون فى إقناع السعوديين بأن تكون شركة (أرامكو) هى المسيطر الفعلى على إنتاج وتصريف النفط السعودى.

هذه العوامل جعلت نيكسون يؤكد لفيصل فى رسالة بعث بها فى مايو ١٩٧٩ أن السعودية فى أمنها تعد مسئولية مباشرة من الولايات المتحدة، وأن أى اعتداء يقع على السعودية هو اعتداء مباشر على الولايات المتحدة، وتعهد بسعى واشنطن بكل الوسائل العسكرية وغير العسكرية لتأمين واستقرار نظام الحكم السعودى.

وبالطبع اغتبط السعوديون من هذه الرسالة، حيث أنهم حصلوا على تعهد من نيكسون أقوى من التعهد الذى أكده جونسون فيما قبل... وبالفعل سمحت السعودية للقيادات العسكرية الأمريكية أن تشرف على تخطيط وتدريب القوات المسلحة السعودية، حيث من المعروف أن هذه القوات المسلحة السعودية قوات (مأمركة) بالمعنى الحرفى لهذه

الكلمة.. فهذا ما تشير إليه المعلومات، فإن السلاح السعودى سلاح أمريكى، قيادات الجيش أمريكية، بعثات عسكرية أمريكية في السعودية للقيام بمهمة خاصة للحفاظ على الاستقرار السعودى، وقوات أمريكية متنوعة فى السعودية لها أهداف خاصة فى حماية الأسرة الحاكمة السعودية، بعثات عسكرية أمريكية إلى واشنطن، حتى شبه أحد ضباط الجيش السعودى ذلك الوضع بأن السعودية أصبحت ولاية أمريكية، وآخر قال عن السعودية فى ذلك بأنها أصبحت (محمية أمريكية)، وثالث رأى أن الذى يحكم السعودية هو نيكسون وليس الأسرة السعودية... ورابع يرى أن أى قرار في السعودية يأتى من واشنطن، وأن حكام السعودية هم نواب لإدارة نيكسون.

* * *

هذه الأقاويل المختلفة لضباط الجيش السعودى هى التى مهدت للقيام بأكبر محاولة إنقلاب يتعرض لها النظام السعودى، حث تذمروا على تلك الأوضاع التى هيمنت فيها الإدارة الأمريكية على الجيش السعودى.. وكان هدف هذه الحركة هو إعلان الجمهورية فى السعودية والإطاحة بالنظام الملكى.

وكانت الحركة متأثرة تأثراً كبيراً بالتيار الراديكالى العربى الذى يقوده ناصر، ولذا فإن إحدى المبادئ التى قامت عليها الحركة هى ضرورة إعطاء ناصر الصلاحيات المطلقة فى توحيد البلدان العربية وتخليصها من النفوذ الأمريكى وكل أشكال الاستعمار القائمة فى المنطقة.. وأكدت مبادئ الحركة الثورية فى السعودية على أن النظام الجمهورى هو النظام الوحيد الذى يحقق الديمقراطية فى السعودية، وأن الشعب السعودى يجب أن يختار حكامه مثل سائر الدول العربية، وأنه من حق الشعب السعودى أن يشترك فى الحكم اشتراكاً كاملاً، وأن يسيطر على موارده الاقتصادية والبترولية سيطرة كاملة، لا أن يسيطر عليها الأمريكان من خلال شركة (أرامكو).. وكانت الحركة الثورية تدعو إلى أنه مع السيطرة على هذه الموارد الاقتصادية، فإنه يجب حظر بيع النفط العربى السعودى للولايات المتحدة التى تعضد من شأن إسرائيل، وأن تسخر الموارد النفطية لنصرة مصر فى التخلص من الاحتلال الإسرائيلى، وأن تكون هناك وحدة مصرية سعودية سورية أردنية، لا لدحر العدوان الإسرائيلى فقط.. بل لتحرير القدس وكل الأراضى الفلسطينية

التى تقع تحت السيطرة الإسرائيلية.

وأكدت الحركة الثورية أن مبادئها تستلهمها من مبادئ ناصر والزعماء العرب المخلصين.. وبدأت الحركة من خلال القيادات العسكرية السعودية الذين شكلوا خلية قيادة سرية، ثم انتشرت مبادئهم فى صفوف الجيش السعودى لينضم لها فى بادئ الأمر (١٠٠٠) مقاتل سعودى، ثم تكبر الحركة أكثر فأكثر لتشمل أكثر من (٢٠٠٠) جندى وضابط سعودى من القوات الجوية السعودية.

وكانت قيادات هذه الحركة من قيادات القوات الجوية السعودية.. واستطاعت الولايات المتحدة بما لها من نفوذ عسكرى مهيمن، وبما لها من عناصر استخبارية (السى - أى - إيه) منتشرة فى السعودية أن تكشف اتصالات هذه الحركة وتبلغ فيصل بها.. وقد تحركت الوحدات الأمريكية وبالتعاون مع بعض القوات الموالية للملك لتحبط هذه الحركة، وليسيطر الملك من جديد فى يونيو ١٩٦٩ على مجريات الأمور بفضل الولايات المتحدة الأمريكية، التى حاولت إيهام السعودية بأن ناصر وراء هذه الحركة الثورية، إلا أن فيصل تأكد من ناصر والحكومة المصرية بأنه لا دخل لها فى هذه الحركة، وبأنها لم تقدم لها أية مساعدات.

وتكشف المعلومات أن قيادات الحركة أجروا اتصالاتهم مع مصر، وأن مصر لم تحاول أن تتورط بشكل مباشر من خلال الدعم العسكرى لتلك الحركة، خاصة وأن رؤية ناصر ذهبت إلى ان الولايات المتحدة ستحمى النظام السعودى، وأن مصر مهما قدمت من مساعدات عسكرية فإن هذه الحركة لن تنجح فى الإطاحة بنظام الأسرة السعودية.. وفى الوقت ذاته أراد ناصر أن يمد جسور التفاهم مع فيصل ليحصل على المساعدات الإقتصادية السعودية التى كانت مصر فى حاجة ماسة إليها.

وكما تؤكد المعلومات فإن فيصل أيضاً كانت لديه رغبة قوية وجامحة فى أن يحافظ على العلاقات الطيبة مع ناصر.

وبعد أن هدأت الأحوال فى السعودية زادت الروابط العسكرية بين واشنطن والرياض، وأشرفت هيئة الأركان العسكرية الأمريكية بشكل مباشر على النظام الأمنى السعودى، خاصة وأن الأحداث فى المنطقة ازدادت سوءاً بالنسبة للولايات المتحدة. حيث

تمت الإطاحة فى سبتمبر ١٩٦٩ بالنظام الملكى المحافظ فى ليبيا، وسيطر على مقاليد الأمور ضابط سلاح الإشارة العقيد معمر القذافى، الذى أعلن منذ اليوم الأول مناوئته للسياسة الأمريكية فى المنطقة، فقام بطرد الأمريكان من قاعدة (هويلس) الجوية.

وبعد أن سيطر القذافى على مقاليد الأمور فى ليبيا وتبنى جميع الأفكار الناصرية. إزداد تنسيقه بشكل كامل مع ناصر الذى كان ينظر إليه القذافى على أنه المعلم الأول فى المنطقة، لذلك رأت الولايات المتحدة أن تزيد من نظامها الأمنى فى السعودية، فقام سلاح المهندسين فى الجيش الأمريكى بإنشاء تسهيلات عسكرية كبيرة فى السعودية، وسيطر هذا السلاح على تحركات القوات السعودية، وأنشأت الولايات المتحدة نظاماً أمنياً للحركة والانتقال بالنسبة للقوات المسلحة فى السعودية.

وقد ارتفع حجم المبيعات للأسلحة الأمريكية بشكل خطير حيث بلغ (٤٢) مليون دولار فى ١٩٦٩، و(٤٥) مليـون دولار فى ١٩٧٠، و(٤٦٠) مليـون دولار فى ١٩٧٢، و(٢.٥) مليار دولار فى ٧٣، و(٢.٩) مليار دولار فى ٧٤، و(١.٥) مليار دولار فى ٧٥، و(٢.٧) مليار دولار فى ١٩٧٦، وتدرب عدد كبير من القوات المسلحة السعودية فى الولايات المتحدة، وإن كان هذا العدد ضعيف فى البداية لمعارضة ناصر فى أن يتدرب السعوديون فى الولايات المتحدة، ولم يزد هذا العدد فى ١٩٧٠ عن (٦٥) شخصاً ليصل إلى (١٥٠) فى ١٩٧٣، و(٣٨٥) فى عام ١٩٧٤، و(٧٨٠) فى عام ١٩٧٥، وإلى (١٥١٠) فى عام ١٩٧٦.

وحدث التطور الأكبر فى المنطقة، وهو وفاة ناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ لتبدأ المؤامرة الأمريكية منحنى جديداً، ساعدها على ذلك توجه أنور السادات الذى طرد الخبراء السوفييت فى يوليو ١٩٧٢.. وبدأت الولايات المتحدة منذ ذلك الوقت تخطط لأن تضم مصر إلى جانب السعودية ضمن الأنظمة الموالية لها.

وهذه فترة جديدة من المؤامرة الأمريكية استكملها نيكسون وفورد وكارتر وريجان إلى أن وصلت لبوش.

* * *

الأستاذ/ عادل حمودة في كتابه:
« صلات الجواسيس »

يرصد إرهاصات الهيمنة الأمريكية على منطقة الخليج منذ مطلع السبعينيات وحتى نهاية هذه الحقبة

١ ـ التحرير والتبشير فى السعودية!

* المشهد الأول فى هذا الكتاب هو مشهد متأخر فى تسلسل الأحداث.

وهو مشهد لم ينته بعد... وإن كانت أحداثه الميلودرامية قد بلغت الذروة.. أى بلغت لحظة التوتر والإثارة التى يحبس فيها الجمهور أنفاسه.

فى الأسبوع الأول من شهر مارس ١٩٩١ طار رؤساء تحرير أربع صحف عربية إلى واشنطن لمقابلة الرئيس الأمريكى جورج بوش فى مكتبة بالبيت الأبيض.. كانت المناسبة تحرير الكويت من الجيش العراقى ـ التى احتلها فى فجر يوم ٢ أغسطس ١٩٩٠ ـ بعد حرب شرسة بدأت فى فجر يوم ١٧ يناير ١٩٩١ واستمرت عدة أسابيع وشاركت فيها عدة دول غربية وعربية بقوات كانت تحت القيادة الأمريكية وتكلفت مليون دولار فى الدقيقة.. أى حوالى ٩٠ مليار دولار.. بخلاف ١٥٠ مليار دولار تكلفة إعادة تعمير الكويت.. وبخلاف خسارة تقدر بنحو ٢٥٠ ألف دولار كل دقيقة بسبب إشعال النيران فى ٨٥٪ من آبار النفط الكويتية[١].

كان الرئيس بوش فى كامل لياقته النفسية والسياسية وهو يتحدث لرؤساء التحرير العرب عما جرى.. لكنه قبل أن ينهى الحوار بحوالى ١٠ دقائق تغيرت نبرة صوته المرحة إلى نبرة خشنة حادة وقال: «وإلى الآن أعتقد أن بعض الاتهامات التى يروجها الأصوليون ضدنا غير حقيقية على الإطلاق.. وسوف أقف ضد هؤلاء».

وأضاف: «لقد حاولنا فى قصفنا للعراق أن نحافظ على احترامنا لثقافتهم وآثارهم والأماكن الدينية فى كل الأحوال... وخلافنا ليس مع الإسلام.. وخلافنا ليس مع العرب.. وسأقف علانية لمواجهة أى تمييز عنصرى ضد العرب فى الولايات المتحدة.. وخاصة أن لدينا البعض ممن يقول: أن مشاعرنا جُرحت عندما جرحت مشاعر رئيسنا».. وكان يقصد الهجوم الذى تعرض له من الأصوليين الإسلاميين خلال الأزمة.

---

(١) المصدر السابق ـ ص٥ ـ العمود الرابع.

واستطرد: «وأنا لست متعمقاً فى دراسة الدين، ولكننى لا أجد فى مبادىء الإسلام ما يجعلنا نختلف أو نتناقض فيما نؤمن به.. بل على العكس فإننى أجد تماثلاً بين مبادىء الإسلام والمبادئ التى نؤمن بها والمشتقة من ديننا وحضاراتنا الغربية»[1].

كان يفرق ـ وهو غير المتعمق فى دراسة الدين بين الأصوليين الذين سيقف ضدهم ومبادىء الإسلام التى لا تختلف أو تتناقض عما يؤمن به... المسيحية.

وهو يقصد بالأصوليين التيارات والجماعات والتنظيمات فى العالم العربى والإسلامى التى وقفت ضد التواجد الأمريكى فى الخليج والسعودية.. ثم هاجمت قرارات مجلس الأمن التى فرضت الحصار الاقتصادى على العراق.. ثم تظاهرت من أجل وقف القتال بعد أن بدأت الحرب.. وشملت هذه المواقف الأصوليين فى الدول التى شاركت بقوات فى مسرح العمليات مثل مصر والمغرب وباكستان.

ويمكن القول بأن عبارة جورج بوش: «سوف أقف ضد هؤلاء» هى أول تهديد أمريكى رسمى معلن ضد تيارات الإسلام السياسى بمختلف أنواعها.. مما يعنى أن حرب الخليج الثانية كانت مفترق طرق سياسية لقوى كانت تمشى فى نفس الطريق من قبل.

لقد جعلت هذه الحرب الأصوليين ـ من مختلف الأديان ـ فى مقدمة القوى المعارضة لأبرز سياسات ما بعد الحرب وهى الاندفاع بسرعة لم تكن متوقعة نحو التسوية السلمية فى الشرق الأوسط وكانت أولى علامات هذه السياسة مؤتمر مدريد.. الذى عقد يوم ٣ نوفمبر ١٩٩١ بعد حوالى ٨ شهور فقط من نهاية الحرب.. وفى هذا اليوم وقعت ثلاثة مشاهد سياسية ساخنة فى القاهرة والقدس وواشنطن.. لم تكن مصارعة السلام قد بدأت.. فالمرحلة الأولى مرحلة تليفزيونية، كل وفد فيها يبرر حسناته ويخبىء عوراته السياسية تحت ملابسه الداخلية.. أما الدول العظمى فكانت تتصرف كسمسار يبيع بضاعة لا يملكها بالتقسيط.

ولكن.. ذلك كان فى مدريد.. عاصمة الدماء الحارة والثيران القاتلة والعواطف الملتهبة.. أما بعيداً عنها فكانت ردود الأفعال تتسم بالسخط والغضب والرغبة فى الجهاد.. وهكذا.. وقعت المشاهد الثلاثة فى اليوم نفسه.

(١) صوت الكويت ـ الأحد ١٠/ ٣/ ١٩٩١

فى القاهرة خرجت مسيرة طلابية من الجامعة ضمت عدة آلاف من مؤيدى التيارات الإسلامية الرافضة للصلح أو حتى التفاوض مع اليهود... أعداء الله... وبدأت المسيرة الضخمة أمام كلية «التجارة» جامعة القاهرة يتقدمها ٥٠ طالباً يرتدون ملابس حاخامات اليهود ويرفعون شعاراتهم مثل «سنقيم دولة إسرائيل من النيل إلى الفرات». «سنهدم المسجد الأقصى ونبنى الهيكل».. وخلفهم سار آلاف الطلبة يرفعون المصاحف وهم يهتفون «خيبر خيبر يا يهود. جيش محمد سوف يعود». «إلى الجهاد إلى الجهاد. إلى طريق الإستشهاد». «لا سلام مى اليهود بالسلاح حنعود حنعود». «يا صهيون يا سفاح. دم المسلم عمره ماراح». «يا تاريخ قول للشهود باعوا الأرض لليهود».. ثم قام المتظاهرون بحرق العلم الأمريكى والعلم الإسرائيلى وصورة الرئيس جورج بوش وصورة رئيس الحكومة الإسرائيلية. إسحق شامير وطالبوا بتحويل الجامعات إلى معسكرات تدريب للجهاد وفتح باب التطوع للقتال فى الأراضى المحتلة. ودعم الإنتفاضة الفلسطينية المباركة.

فى القدس المحتلة التى أعلنتها إسرائيل عاصمة أبدية موحدة فى يونيو ١٩٨٠ اندفع اليهود المتدينون فى مظاهرات تتسم بالعنف والرفض لإعلان أستيائهم من التفاوض مع العرب.. وإصرارهم على التمسك بالأراضى العربية المحتلة التى توصف بأنها «أرض إسرائيل» التى وعدهم بها الرب.. أنها بالنسبة لهم أرض «محررة» لا أرض مغتصبة... وهى جزء من كل لم يصلوا إليه.. من النيل إلى الفرات.. «مملكة التوراة» التى ستسيطر على باقى الأمم.. ثم يأتى المسيح المخلّص الذى ستندفع إليه كل الشعوب لطلب الهداية وتقديم الهدايا.. ويصبح اليهود فى غاية الثراء بعد أن يضعوا أيديهم وأسنانهم وأرجلهم على كنوز الدنيا.. إنها كنوز ستملأ «سرايات» واسعة لا يمكن حمل مفاتيحها وأقفالها.. ستحتاج على الأقل لـ ٣٠٠ حمار لحملها.. كما فى التلمود.

وألقى المتشددون اليهود الحجارة على مبنى الحكومة وأحرقوا صور شامير واتهموه بالخطيئة.. لأنه لا ينفذ تعاليم الرب ويقبل التفاوض مع من هم «أدنى» من اليهود.. ففى التلمود... أن أرواح اليهود مميزة عن باقى الأرواح.. أنها «جزء من الله».. وهى «عزيزة عند الله».. أما أرواح غير اليهود فهى أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح «الحيوانات».. فكيف يهودى متدين مثل شامير أن يفعل ما فعل.. إن ما فعله خطيئة قبل أن تكون

جريمة.. وهو يستحق الرجم قبل القتل.

وفى واشنطن خرجت مظاهرات ضد السلام أيضاً قادها الفرع الدينى من اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة والذى تسيطر عليه جماعة «أصدقاء القدس» وقد طالب زعماء هذه الجماعة وهم حاخامات وقساوسة بأن لا يضغط «البيت الأبيض» على إسرائيل لتوقيع معاهدات صلح أخرى - غير معاهدة كامب ديفيد - مع العرب فيفقد اليهود بعدها أجزاء من «أرض الميعاد».. وطالبوا بنسف مؤتمر مدريد من أجل ألا يحل السلام.. فنجاح هذا المؤتمر يعنى أن الولايات المتحدة تخلت عن دعم إسرائيل.. ويعنى أنها ستفقد «البركة» التى تمنحها السماء لها مقابل هذا الدعم.. ففى التلمود أنه لو لم يخلق الله اليهود لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والشمس ولما أمكن لباقى المخلوقات أن تعيش.

ولا يؤمن بذلك اليهود فقط وإنما بعض المسيحيين فى أمريكا أيضاً لعل أشهرهم القس والمبشر «جيرى فالويل» الذى قال: «إن الله لم يكرم أمريكا إلا لأنها كريمة تجاه اليهود».. وأضاف: «أننا إذا فشلنا فى حماية إسرائيل فلن نعود مهمين فى نظر الله».. «إن مصير الأمريكيين يعتمد على الموقف الذى يقفونه من إسرائيل لأن وجودها هو من عند الله.. والله وحده هو الذى أعطى الأرض لليهود... فلا تستحق أن يستردها العرب».. وسبق له أن قال: أن الرب «يتعامل مع الشعوب بقدر ما تتعامل هذه الشعوب مع اليهود».. «أن من يؤذى اليهودى كمن يضع أصبعه فى عين الله وأستطرد: «إن إسرائيل اليوم هى إسرائيل الله».

ولو جمعت هذه المشاهد الثلاثة فى سيناريو سياسى واحد لكان من السهل معرفة أن المعارضين على كافة الجوانب من الطراز الدينى وإن اختلفت المواقع والأهداف والشعارات والإعتقادات.. أنهم جميعاً يرتدون عباءة التدين ويرفعون الكتب المقدسة ويستشهدون بالسماء ويعتبرون أنفسهم على حق وغيرهم على باطل ويتحدثون عن الله والجهاد والحرام والحلال والعدل والخطيئة والبركة وضرورة مواجهة المشركين!

لقد أصبحت المعارضة الأصولية - خاصة المعارضة الإسلامية - أعلى صوتاً وأشد بأساً بعد حرب الخليج الأخيرة.. ولا يثير ذلك الدهشة فأطراف الأزمة أداروها وهم

يستعملون الدين.. وكان كل منهم يتصرف على أن الله معه.

أن صدام حسين نفسه فعل ذلك.. وظهر خلال الأزمة على شاشة التليفزيون وهو يصلي.. كان يريد أن يثبت أنه الزعيم المؤمن الذى يواجه جيوش المشركين.. أو هكذا أراد أن يوحى.. أنها صلاة تليفزيونية.. فهو منذ أن تولى الحكم وهو يعلن رأيه الصريح فى الدين.. «إننا نريد دولة قومية علمانية نفصل فيها الدين عن الدولة والسياسة عن الشريعة»، وقال ذات مرة: «إن العلاقة التى نريدها بين الأرض والسماء تختلف عن نظرة السلفيين لها».. وقال مرة أخرى: «إن الدولة بمفهومها الحديث يجب ألا تغرق فى «حالة دينية».. يجب أن تتجنب أن تكون بيت عبادة أو مفتى عبادة» «أو مفتياً للحياة عن طريق دينى».. إن زج السلطة فى إعطاء أحكامها على شئون الحياة من مدخل دينى لابد أن يفضى إلى واحد من أمرين: إما عرقلة التطور فى شئون الحياة وتحويلها إلى جحيم لا يطاق من شأنه أن يقتل إبداعات الإنسان وتفاعله مع روح العصر ومستلزماته.. أو إفراغ الدين من قدسيته ومهابته وروحه وتحويله إلى غطاء لتبرير الكثير من مفردات الحياة بما يسىء إلى الدين[1].

وقال مرة ثالثة: «إن وحدة الأمة فى كل الأحوال تتطلب أن نتجنب هذا المدخل الدينى.. لكنّ لا نفرق الأمة ونبتعد عن دورنا التاريخى لقيادتها وهى موحدة[2].

واستطرد: «على أننا لا نختلف مع الدينيين فى أن الدين قد يصلح كسلاح ضد الطغاة والمستبدين والفاسدين من الحكام فى مرحله من مراحلة الحياة وفى ظروف من ظروفها.. ولكن ينبغى ألا ينصرف هذا المناضل العربى إلى أن هذا السلاح هو الوحيد لمجابهة الفساد والظلم.. وأن يتنبه إلى إن لا يمسك السيف من نصله فيقود استخدام الدين كسلاح أو غطاء للمعارضة إلى تمزيق الشعب وإحياء الأراء والنظريات المتخلفة، وتعطيل تقدم الحياة وروح العصر التى بدونها ستبقى أمتنا مستعبدة وغير قادرة على الإشعاع والعطاء الإنسانى القومى[3].

---

(١) أمير اسكندر: صدام حسين مناضلاً ومفكراً وإنساناً، الناشر: هاشيت - المطبعة العربية ١٩٨٠ - ص٣٢٢.

(٢) اسكندر - ص٣٢٢.

(٣) اسكندر - ص ٣٢٤.

هكذا كان صدام حسين ينظر إلى الدين.. الدين عنده رجوع إلى الوراء ألف سنة على الأقل... مجرد طقوس يمارسها الناس فى المعابد.. أسلوب لا يليق بالحياة العصرية.. غطاء لتبرير الأخطاء والتصرفات تعطيلاً للتقدم.. قال ذلك بصراحة ووضوح وبكلمات لا تقبل اللبس ولا تحتاج إلى قاموس.. لكن.. هذه النظرة عدل عنها حينما وجد نفسه مضطراً لأن يمسك السيف من نصله.

فى ٨ سبتمبر ١٩٧٩ قال فى خطاب عام: «نحن أحفاد على».. والمقصود أنه حفيد الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه.. أى من أحفاد السلالة النبوية الشريفة.. كان ذلك قبل سنة من حربه مع إيران.. وهو ما يعنى أنه استعمل الدين فى الحرب قبل أن يستعمل فيه المدافع.

وكانت جملته هى أول قنبلة دينية تنفجر فى منطقة الخليج التى تمتلىء بمتفجرات مذهبية ملتهبة تجعل منها منطقة سريعة الإشتعال.. لقد جاءت الفتنة الكبرى من حاكم علمانى لا يؤمن بأن الدين سياسة ولا يصلى إلا أمام الكاميرات.

إن أولى الحروب التى أشعلها وهو يرفع راية الإسلام كانت ضد إيران واستمرت ٨ سنوات خسر فيها ٢٧٠ مليار دولار وخرج منها مديناً بحوال ٦٠ مليار دولار بخلاف مئات الألوف من القتلى والجرحى والأسرى وخلال هذه الحروب تبادل هو والخومينى اتهامات الكفر والإلحاد والشرك بالله. وأضفى كل منهما على نفسه صفات الطهر والورع والإيمان.

والحقيقة أنه كان مخلب قط للغرب لتحجيم الثورة الإسلامية فى إيران.. نفخ الغرب فى أطماعه وأقنعه بضعف إيران وبأنها لن تقاوم وستنضم بسهولة إلى إمبراطورية الخليج التى يحلم بتكوينها.. كان الغرب خاصة الولايات المتحدة يخشى أن يلتهم الخومينى السعودية ودول الخليج الأخرى.. ولم يشأ أن يتدخل مباشرة.. ودفع صدام حسين إلى الحرب بعد أن وضع أمام عينيه سراب المجد.

بل أكثر من ذلك باع له الغرب السلاح الذى حارب به إيران.. وكسب الغرب من بيع السلاح قبل أن يكسب من بيع الوهم لصدام حسين.. كسب الغرب المال قبل أن يكسب بقاء إيران داخل حدودها تلعق جراحها وتطبع تذاكر جديدة لدخول الجنة.

إن ٢٠٨ شركات غربية باعت السلاح للعراق منها ١٨ شركة أمريكية و٨٦ شركة ألمانية و١٨ شركة بريطانية و١٦ شركة فرنسية وبلغت قيمة هذا السلاح فى الفترة من ١٩٨٢ ـ ١٩٨٩ فقط حوالى ٨٦ مليار دولار وهو ما جعل العراق يخرج من حربه من إيران أقوى مما دخلها.. لقد دخل الحرب بعشر فرق وخرج منها بـ٥٥ فرقة ومليون جندى و٥٠٠ طائرة و٥٥٠٠ دبابة.

وكان هدف الحرب أن تكف إيران عن تصدير الثورة الإسلامية.. وقد تحقق الهدف وجاء الدور على العراق لتحطيم سلاحه وإضعاف جيشه إلى الحد الأدنى لحماية نفسه.. وهكذا دُفع صدام حسين إلى التورط فى إحتلال الكويت.. ولُدغ من الجحر نفسه مرتين.

ومرة أخرى أمسك صدام بسيف الإسلام من نصله.. وتحدث من جديد عن انتمائه إلى النسل النبوى الشريف.. وعن رغبته فى تحرير الأماكن الإسلامية المقدسة فى مكة والمدينة من المفسدين فى الأرض وفى السعودية.. وبدأ فى التباكى على وجود قوات أمريكية «مشركة» فى الأراضى الطاهرة.. وكان يقصد القوات الأمريكية التى نزلت السعودية بعد احتلال الكويت.

وانضم إلى السيرك الملك حسين عاهل الأردن الذى ألغى لقبه الملكى وأطلق على نفسه لقب جده حاكم الحجاز السابق لقب «الشريف» حسين وقصد بذلك تذكير السعوديين بحقه التاريخى فى أن يرث حكم أجداده فى الحجاز.. كما أن هذا اللقب يعنى أنه ينتمى إلى السلالة النبوية الشريفة أيضاً.

وإلى جانب حاكمى العراق والأردن تبارت باقى أطراف الأزمة فى خطف قناع الإسلام واستعماله.. وكان الغرض إقناع البسطاء بأن الحق معهم.. وبأن الحرب هى من عند الله.. وأن الجنة من نصيبهم، وبأن الخصم عدو الله مُشرك.. سيحترق فى جهنم الحمراء.. مع أن الجميع مسلمون.. لكن طبيعة الصراع السياسى التى أفرزت أنواعاً خاصة من الإسلام.. إسلام صدام حسين وإسلام دول التحالف... إسلام يؤيد احتلال الكويت وإسلام يعارضه.. إسلام يقبل بوجود قوات أجنبية غير مسلمة فى الأراضى المقدسة وإسلام يرفض ذلك.

واحتار المسلمون وتساءلوا: عن أى إسلام يتحدث هؤلاء؟.. هل الإسلام ثوب من

المطاط يصلح لجميع المناسبات والمقاسات؟.. ولم يكن من الصعب استنتاج أن الإسلام يُستعمل كورقة فى لعبة التضليل السياسي، وأن اللعبة سيفوز بها من يملك - إلى جانب المال - أكبر عدد من رجال الدين.. خاصة الذين يملكون موهبة «التفصيل». وقد احتدم الصراع بين ترزية الإسلام.. وحاول كل منهم أن يفصل ثوباً دينياً يلائم الجانب الذى يدعمه.. وتفرج الناس على دورى للمشايخ.. انتهى بفقدان الثقة فى عدد كبير منهم.

وتابع الأمريكيون فى هذه الحرب المقدسة بين المشايخ خطوة بخطوة.. وفتوى بفتوى.. ورصدوها فى تقارير يومية خرجت بالشفرة من سفاراتهم ومحطات مخابراتهم فى عواصم الأمة.. وكانت نصيحة وليم وبستر مدير المخابرات المركزية للرئيس بوش: أن يلزم هو ورجاله الحذر فى هذا الموضوع الذى يتعامل مع العرب بحساسية مفرطة قد تدمر كل الخطط الأمريكية وهى حساسية - فى رأيه - يجب أن تُؤخذ فى الحسبان حتى لا توصف السياسة الأمريكية فى إدارة الأزمة بأنها «ترفض العرب» و«ترفض الإسلام».

وامتدت تعليمات وبستر إلى الإعلام الأمريكى بتجاهل انقسام علماء المسلمين وخلافاتهم الحادة حول الأزمة، بل وتجاهل ما يطلقه صدام حسين من شعارات دينية - حتى لا تبدو الحرب - وكأنها حرب دينية.. يُوصف الجانب الأمريكى فيها بالشرك والصليبية.. وهو ما كان يسعى إليه صدام حسين(١).

والحقيقة أن المخابرات المركزية لم تكن فى حاجة إلى التدخل فى هذه القضية - التى وصفتها بالحساسة - فقد كان هناك من يلعب لصالحها.. وإن لم يكن على اتصال بها.. كان هناك من يبرر وجود قوات أمريكية فى السعودية شرعاً وديناً.

ففى حديث للشيخ متولى الشعراوى للتليفزيون المصرى - أُذيع أكثر من مرة - أن رسول الله ﷺ.. وهو الداعى إلى الله والمبلغ لمنهجه.. حينما هاجر إلى الطائف ليلتمس نصيراً ثم عاد إلى مكة فلم يجد أحداً يجيره.. فاستجار بكافر هو «المطعم بن عدى».. أجاره «المطعم» ووقف موقف الرجولة... الرجولة الإنسانية لأنه ليس على دينه.. إذن رسول الله حين اضطرته الظروف دخل فى جوار الكافر.. ثم إنه حينما لم تكن عنده عدة

(١) انظر بيير سالسينجر وأريك لوران: أزمة الخليج - الملفات السرية - الترجمة العربية فبراير ١٩٩١ بدون اسم مترجم - دار أزال بيروت.

للقتال استعار من صفوان بن أمية الكافر عدة ليقاتل بها.. ثم حينما أراد أن يهاجر استعان بدليل كافر هو ابن أريقط ليدله على الطريق[1].

كان ما قاله الشيخ الشعراوى بهذا الحماس مفاجأة للذين تابعوا هجوم فضيلته على المسيحيين من قبل... وهو هجوم وصفه بأنه «عن حب» فقد قال: «ولكن باحبهم ومستخسرهم أنهم ما يدوقوش الحلاوة اللى بندوقها». ومفهوم ما يقصد[2].

ومهما كان القول جذاباً والفتوى محكمة فى كل مرة فقد أحست الملايين التى تتابع أحاديث الشيخ الجليل أنه قادر ـ حسب الحاجة ـ على استعمال الإسلام فى تبرير الموقف.. وعكسه!

وفى الحديث التليفزيونى نفسه قال الشعراوى: «وإذا كانت مصالحهم ـ يقصد القوات الأجنبية ـ قد جاءت مع مصالحنا ما المانع إذن من الإستعانة بهم؟»[3].

ودعم هذا الرأى ببيان الأزهر فى ٢١ أغسطس ١٩٩٠ وقال: «لا خير فى الاستعانة بتلك القوات على اختلاف جنسياتها لأن الاستعانة قائمة على مبدأ الاتفاقات والتعهد الدولى.. و.. القول بانتهاك الأراضى المقدسة بدخول القوات غير المسلمة أرض المملكة العربية السعودية غير صحيح لأن هذه القوات إما مسلمة أو معاهدة وقد جاءت لرد العدوان ولدفع الظلم»[4].

ويمكن أن يكون ما جاء فى بيان الأزهر حقاً لا يأتيه الباطل من أى جانب.. ولكن لا أحد تعامل معه بجدية.. ليس فقط لأن الأزهر هو المؤسسة الدينية الرسمية وإنما لأن تجربة الأزهر فى الفتاوى السياسية كانت تتغير من ظرف إلى ظرف ومن حاكم إلى آخر.

وتذكر الناس فتاوى الأزهر التى حرمت الصلح مع إسرائيل أيام جمال عبد الناصر

---

(١) انظر نص الحديث فى الملف الوثائقى عن الأمة العراقية الكويتية ـ الهيئة العامة للاستعلامات ١٥/٩/١٩٩٠ الملف رقم (٣) ص٤٨، ٥٠ والحديث أذيع فى التليفزيون المصرى فى ٥/٩/١٩٩٠ وأجراه مع الشيخ الشعراوى المذيع أحمد سمير.

(٢) محمد جلال: لا يا شيخ شعراوى ـ القاهرة ١٩٩٠ بدون اسم ناشر ـ ص٢٧.

(٣) مصدر سبق الإشارة إليه ـ ص٥١.

(٤) الهيئة العامة للاستعلامات ـ الملف الوثائقى رقم (٢) أول سبتمبر ١٩٩٠ ـ ص٤١، ٤٢.

وفتاوى الأزهر التى هللت للصلح مع إسرائيل أيام أنور السادات.. وكان هذا التذكر كفيلاً بأن لا يحظى بيان الأزهر - حول أزمة الخليج باهتمام يذكر.

على أن هذه الفتاوى لم تمنع خوف المسلمين من التصرفات الطائشة التى يمكن أن يأتى بها الجنود الأمريكان فى السعودية.. وهو مجتمع - ولو فى الظاهر - محافظ ومتشدد ويجنح إلى الصرامة فى التحريم.. فهو يحرم التدخين وخروج المرأة بمفردها حتى ولو كانت مغطاة بالكامل.. وحرام أيضاً أن تقود السيارة.. وقد تظاهرت بعض النساء بعد أن حرمن هذا الحق وقبض عليهن.. وحرام كذلك الرسم وحمل التمائم.

وكان لهذا الخوف ما يبرره.. فجنود هذه الدول جاءوا للدفاع عن السعودية بشروط دولهم لا بشروط السعودية.. وأى قيود عليهم لا يمكن أن تصل إلى درجة التحريم التى يفرضها المذهب الوهابى.. ثم.. أن من بينهم مجندات وهو ما يفرض الاختلاط الجنسى فى الثكنات، وبدون محرم.. وهؤلاء الجنود تعودوا على الترفيه وتفريغ الكبت حتى يتفرغوا للقتال.. وتعودوا على الخمر وهى غير محرمة عندهم.. وهم فى حاجة لرجال دينهم لإقامة شعائرهم.. أى أنهم فى حاجة إلى قساوسة وحاخامات لأن بينهم يهوداً أيضاً.

إنها متاعب لم يكن من السهل حلها وإن أمكن التحايل عليها.. وقد ذكرت جريدة «التايمز» البريطانية فى إحدى افتتاحياتها «أن القوات المسيحية الموجودة الآن فى السعودية تضطر إلى التخفى وإنكار صفة رجال الدين وتسميتهم بألقاب تُرضى السعوديين مثل مستشارين روحيين.. وفى يوم الأحد لا يسمح لهذه القوات بممارسة الطقوس الدينية كاملة».

وأضافت: أن الحكومات الغربية لن تخرق ميثاق الأمم المتحدة التى جاءت القوات على أساسه - إذا ذكروا الحكومة السعودية بأن مسئوليتها - تحت هذا الميثاق - هو توفير حرية العقيدة»[1].

وبعد أربعة أيام نشرت «التايمز» فى عدد واحد أربع رسائل.. كلها تهاجم السعودية التى تخلو من الكنائس»[2].

وجاء فى إحدى هذه الرسائل: لو كان هؤلاء الجنود فى بغداد لأتيح لهم أن يختاروا

(١، ٢) نقلاً عن جلال كشك - مقال بعنوان «تبشير أم تحرير» - جريدة الوفد - ١٩٩٠/١١/٢٤ ص٧.

من بين شتى الكنائس المسيحية عبر الشارع من الفندق الذى يقيم فيه الرهائن ـ الذين كان يحتجزهم صدام حسين كدروع بشرية.. ففى منطقة «المنصور» الكنيسة الإنجيلية التى بنتها فرق المدفعية الملكية تحية للرماة الذين ماتوا فى المنطقة.. هذه الكنيسة ظلت تواصل خدماتها منذ الوجود البريطانى، ومن يومها وهى تعرض شارات القوات والجيش البريطانى.. ولو كانوا فى بغداد لكان بوسعهم أيضاً أن يحصلوا على بيرة وساندوتشات من لحم الخنزير ويذهبون للسينما. والنساء كان بوسعهن أن يشربن ويسبحن ويعرضن أجسامهن للشمس... إن العرب كثيراً ما كانوا يقولون عنا أننا فى الغرب لا نؤمن برب ولا مبادىء ولا كرامة.. ويمكن دائماً شراؤنا ويصعب دحض هذا الاتهام الآن إذا كنا نساوم على الصلاة على قتلانا[1].

وفى رسالة أخرى كتبها قس بروتستانتى: «لقد كان الأمر يدعو إلى السخرية لولا أن قوات صاحبة الجلالة هناك يضحون بحياتهم أساساً للدفاع عن حقوق الإنسان التى من أبرزها حرية ممارسة العقيدة.. أليست السعودية عضواً فى الأمم المتحدة؟.. ألا يجب أن نضغط على الأمم المتحدة لكى تضع حداً للإهمال السعودى الواضح لهذا الحق من حقوق الإنسان.. لماذا نتملق السعوديين... هل النفط أعز من القداس[2].

كانت تعليمات البنتاجون أن لا ينزل الجنود الأجانب إلى المدن السعودية بملابس مدنية وألا تدخل أى مجندة السوبر ماركت بمفردها.. وأن يُرحل أى مجند أو مجندة يضبط فى حالة شذوذ جنسى... وأن يكون القمار داخل الخيام فقط... والخمر والمجلات العارية أيضاً.. والشورت الساخن الذى ترتديه المجندات مسموح ولكن فى وقت الراحة فقط.. وقتال الجنود على امرأة ممنوع.. فالمجندة هى التى تختار وهى التى تعلن اختيارها.. إنها مثل ملكة النحل فى جيش من الذكور.

والجيش الأمريكى يسمح بالترفيه عن جنوده ويعتبره من أبسط حقوقهم.. واللبان لا يكفى ولا البيرة الخالية من الكحول والتليفزيون السعودى غير جذاب.. وشرائط الفيديو المختارة مملة.. ولا مكان للسهر ولا للمتعة، وقد رفضت مصر أن ينزل الجنود الأمريكيين إلى القاهرة أو الاسكندرية لقضاء أجازة خاطفة.. ولكنها سمحت لهم بنزول الغردقة وأتى

(١، ٢) كشك: المصدر السابق.

الأمريكيون بزورق للحب «عبارة عن سفينة كبيرة مستعدة لإشباع كل رغبات الجنود».. يشربون ويرقصون ويتفرجون على الأفلام المثيرة ويحبون.. وأوقفوا الزورق فى المياه الدولية(1).

أما من يريد أن يلعب القمار فعليه الذهاب إلى سفينة أخرى تقف فى خليج العقبة ويذهب إليها السياح من إسرائيل لأن القمار ممنوع فى إسرائيل.

أما مشكلة رجال الدين المسيحى فظلت مشكلة.. فعدد القوات حوالى نصف مليون وهو عدد كبير فى حاجة إلى عدد قساوسة أكبر من الذى سُمح به وحسب الأرقام الرسمية كانت الخريطة الدينية لهذه القوات على النحو التالى:

- ٣٠٠ ألف بروتستانتى لهم ٥٦٠ قسيساً.
- ١٧٥ ألف كاثوليكى لهم ١١٥ قسيساً.
- ٥ آلاف ملحد ليسوا فى حاجة إلى من يعظهم أو يصلى معهم أو عليهم.
- ٥ آلاف مؤمن لا يصلى وكانوا فى حاجة لمن يهديهم أولاً.
- ١٥٠٠ يهودى ولهم ٥ حاخامات.

وقد بُنيت الكنائس من الأخشاب حتى يسهل فكها، ولم يرفع عليها صليب واضح.. أيضاً لم يعلق القساوسة.. صلباناً.. ومن باب الحذر سموا الصلوات.. اجتماعات دينية.

---

(١) أنيس منصور ـ عمود مواقف الأهرام ١٩٩٠/١٢/٧.

الأميرة فى خدمة المخابرات الأمريكية

لا يمكن التحدث عن «ثلاثية» نجيب محفوظ دون ذكر السيد أحمد عبد الجواد.. ولا يمكن التحدث عن السعودية والخليج دون ذكر النفط.. ولا يمكن التحدث عن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط دون ذكر إسرائيل.

إن إسرائيل هى نخاع هذه السياسة ومفتاحها، وقلبها، وعقلها، وطفلها «المدلل».. وهى أنيابها ومخالبها إذا لزم الأمر.. هى فوق الجميع.. بغض النظر عن الجنس والدين والمصالح.. وهذا ما يفسر لماذا تفضل الولايات المتحدة أصغر تاجر روبابيكيا - فى سوق الكانتو فى تل أبيب - على نصف مفكرى وحكام العالم العربى!

إنها علاقة عاطفية.. إستراتيجية تعمى بصر واشنطن وبصيرتها.. عشق جنون، تفضحه الخطابات الغرامية المكتوبة على فواتير السلاح.. والمحفورة على القنابل العنقودية بجانب عبارة «صنع فى أمريكا» وهو عشق تحول إلى زفاف بعد توقيع عقد القرآن الشهير، والمعروف بالتعاون الإستراتيجى... وبمقتضى هذا العقد المسجل فى الشهر العقارى الأمريكى المسمى بالكونجرس، تصبح إسرائيل «سيدة البيت» فى الشرق الأوسط، لا يجوز المساس بشعرة واحدة فى رأسها.. وقد حدث - بعد صدمة الأيام الأولى فى حرب ١٩٧٣ أن تصرفت الولايات المتحدة مثل زوج «حمش» وقدمت إلى إسرائيل فى ساعات - عبر جسر جوى عاجل - أسلحة ومعدات قيمتها ٢ ٢ مليار دولار فى عملية «نقل دم» حيوية أعادت إليها الحياة بعد أن كادت تحتضر من كثرة ما نزفت.. وحدث أيضاً أن سارعت الولايات المتحدة بتقديم بطاريات صواريخ باتريوت إليها لتصد بها صواريخ سكود - بى التى أطلقها العراقيون على إسرائيل منذ اليوم الثانى لحرب الخليج الثانية.

وحدث كذلك أن اقترح بعض أعضاء الكونجرس وعلى رأسهم السيناتور الجمهورى رودى بوشفتش الذى كان رئيس اللجنة الفرعية للعلاقات الخارجية لشئون الشرق الأوسط

وجنوب آسيا، أن ينقل البرنامج السنوى للمساعدة العسكرية الأمريكية لإسرائيل من ميزانية المعونة الأجنبية إلى ميزانية الدفاع الأمريكية.. فهذا أدق.. لأن إسرائيل جزء من جسد الأمة الأمريكية.

اقترح على الجانب الآخر لم تكن إسرائيل زوجة «مسالمة» وإنما كانت زوجة «غجرية» مشاكسة تفرض الشر على جيرانها.. وحتى الاحتلال العراقى للكويت «٢ أغسطس ١٩٩٠» كانت إسرائيل تقنع الولايات المتحدة بأنها «شرطى» المنطقة الذى يحمى الأمن فيها، فهى قادرة بسلاحها الجوى على تدمير الأسطول السوفيتى فى شرق البحر المتوسط بأكمله.. وهى قادرة على تعبئة ٤٠٠ ألف جندى فى ٧٢ ساعة.. ومن ثم فلا حاجة لتواجد قوات برية أمريكية فى الشرق الأوسط كما هو الحال فى غرب أوروبا التى يتواجد فيها ٣٠٠ ألف جندى أمريكى.. أو كما هو الحال فى الشرق الأقصى الذى احتمل تواجد ١٥٠ ألف جندى أمريكى فى وقت من الأوقات.

وفى عش الزوجية.. وتحت غطاء شرعى كان من الطبيعى أن تمتد الجسور القوية بين الموساد «المخابرات المركزية» وأقوى هذه الجسور.. تبادل المعلومات.. فالموساد تقدم ما عندها عن مصر وسوريا ولبنان والأردن، ومنظمة التحرير... وفى المقابل تحصل على ما تريد من معلومات عن السعودية ودول الخليج من المخابرات المركزية.. والعلاقة بين الجهازين غير خفية.. ويتفاخر الإسرائيليون بأعلانها.. وإن كانت هذه العلاقة لا تسمح بأن يتجسس كل منهما على الآخر.. لكن الموساد لا تلتزم بذلك.

فى مذكراته التى نشرها تحت عنوان «السلطة والمبادىء» يقول د. زبنجينو بريجنسكى مستشار الرئيس كارتر للأمن القومى أنه طلب التصنت على الوفد الإسرائيلى فى مفاوضات كامب ديفيد فإذا بكارتر يمنعه.. فلم يفعل.. ولكنه يضيف: أن الإسرائيليين تصنتوا على محادثات كارتر الخاصة أثناء إقامته فى جناحه بفندق «الملك داود» فى القدس فى مارس ١٩٧٩ حينما كان يحاول حل المسائل الأخيرة: المتعلقة بمعاهدة: الصلح المصرية الإسرائيلية، فخلال إحدى هذه المحادثات هاجم كارتر تصلب رئيس الوزراء الإسرائيلى مناحم بيجن بقسوة، فسأله سكرتيره الخاص هاملتون جوردان: هل: أسجل هذه الملاحظة يا سيدى الرئيس.. فضحك بريجنسكى وقال مشيراً إلى السقف: «أنها سُجلت فعلاً»!

ومشكلة السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط أنها تكره من يكره إسرائيل، وتدعم من يدعمها وتطيح بمن يتطاول عليها، أو يحاربها أو يعطل مصالحها أو حتى يكون محايداً فى النظر إليها.. والكذبة الكبرى فى حياة العرب هى «تحييد أمريكا» وكل العرب الذين تعاملوا مع البيت الأبيض على هذا الأمل اكتشفوا فى النهاية أنهم أمام دولة نصفها الأعلى أمريكا ونصفها الأسفل إسرائيل.

ومن بين هؤلاء كان السادات.. الذى أعطى الولايات المتحدة كل ما تريد ثم اكتشف فى النهاية أن عشقه لها من طرف واحد.. فمات كمداً قبل أن يموت اغتيالاً.

وكان يكفى أن تعارض دولة عربية اتفاقية كامب ديفيد حتى تعمل ضدها «المخابرات المركزية».. حتى لو كانت هذه الدولة السعودية الحليف القوى والثرى فى المنطقة.. لقد كشف مقال فى واشنطن بوست فى عدد ٣٠ يوليو ١٩٨٠ كتبه ديفيد لى بعنوان: التسرب الخاطىء فى واشنطن ـ زلة المخابرات الأمريكية التى صدمت العربية السعودية.. كشف المقال أن السعودية تعرضت لحملة شرسة من حملات الدعاية السوداء، شنتها المخابرات المركزية ضدها فى أجهزة الإعلام التى تسيطر عليها داخل الولايات المتحدة بسبب إحجامها عن الإنضمام إلى عملية «كامب ديفيد للسلام».

ولأن النظام السعودى يستمد شرعيته من الإسلام وحماية المقدسات فى مكة والمدينة فإن الحملة «السوداء» وجهت ضرباتها «تحت الحزام».. وراحت تتحدث عن الوضع الهش لترتيبات الحكم السعودى.. ثم وجدت الحملة نفسها تنزلق وتهاجم الإسلام.. مفهومه للقصاص وللمرأة وسعت إلى إثبات أن ذلك ينتمى إلى القرون الوسطى.

ولأن الحملة سياسية وليست دينية فإن أحداً «لم يشر فى الوقت نفسه إلى أن الحاخامات فى إسرائيل يعلنون آراء بالغة الشبه بذلك بالنسبة للعقاب والنساء.. وربما أشد..

وقد انفجرت هذه الحملة فى أواخر سنة ١٩٧٨ فور أن أعلنت السعودية رفضها الإنضمام إلى مخطط التسوية السلمية.. وكان من نتائجها ـ عارض إداورد سعيد ـ إنخفاض قدر السعودية إلى مرتبة أدنى».. وضاعف بذلك من حجم النفور منها.. وزاد من كونها غير مقبولة ومنافية للعقل والمنطق على الصعيد الثقافى والفكرى..

وأقوى ما فى هذه الحملة التى مزجت الإسلام بالسياسة كان فيلم «موت أميرة»!

فى يوم الأربعاء ٩ إبرايل سننة ١٩٨٠ عُرض الفيلم فى لندن، عبر القناة التليفزيونية التجارية المستقلة «أى. تى. فى» وهى التى أنتجت الفيلم الذى يصعب فصل الدراما التمثيلية فيه عن الجوانب التسجيلية الواقعية.. ويقال إنه يعتمد فى مادته على حالة إعدام حقيقة حدثت لأميرة سعودية ماتت رمياً بالرصاص فى صيف ١٩٧٧، بعد أن فصل السيف رأس عشيقها عن جسده فى ميدان عام بدقائق.

وأخرج الفيلم أنتونى توماس فى صورة تحقيق صحفى يقوم به صحفى: اسمه كريستوفر رايدر يبحث عن حقيقة الأميرة وما جرى لها فى أماكن متنوعة من العالم العربى منها بلدها السعودية التى يسميها الفيلم «العربية»، وقيل أن السعوديين شاهدوا الفيلم قبل عرضه وحاولوا بشتى طرق الإغراء أن يمنعوا عرضه، أو أن تحذف منه بعض المشاهد لكنهم فشلوا ومن ثم عُرض الفيلم فى معظم تليفزيونات أوروبا الغربية والولايات المتحدة، وتسربت نسخ منه على شرائط فيديو إلى الدول العربية، فانتشر بسرعة البرق، وضاعف ذلك من الضجة الإعلامية والسياسية والدبلوماسية والدينية التى أثارها.

وقد شاهدت الفيلم بعد عرضه بأسابيع وأنا فى القاهرة.. ثم عدت مرة أخرى لمتابعة الأحداث والمشاهد التى جرت على النحو التالى:

بعد اسم الفيلم تبدأ الأحداث مباشرة بمشهد سيارة تحمل نساء محجبات.. ونقرأ عبارة «العربية ـ يوليو ١٩٧٧».. صوت مؤذن.. جمهور يصلى فى مسجد... بعد الصلاة يندفع الجمهور إلى ساحة كبيرة خارج المسجد.. تقف سيارة فى الساحة.. تنزل منها إمرأة مغطاة بالسواد.. تقف سيارة أخرى.. ينزل منها شاب تُقتل المرأة بالرصاص.. ويُقطع رأس الشاب.. وتظهر منشتات جرائد بلغات مختلفة.. «موت أميرة».. ثم تقرأ عبارة تقول: إن سيناريو الفيلم استتند إلى مقابلات جرت فى لندن وباريس وبيروت العربية فى الفترة بين يوليو ونوفمبر ١٩٧٨.

حفل عشاء فى لندن يتحدث فيه بعض الأثرياء للصحفى... نفهم من كلامهم أن العرب الآن يحاولون التوازن بين قوتين.. قوة الإسلام وقوة النفط التى جاءت بمؤثرات الغرب.. ونفهم أيضاً: أن الأميرة ـ يسميها الفيلم منى ـ كانت واقعة فى هذا التناقض..

فتمردت على أهلها وزوجها وأسرتها وارتكبت جريمة الزنا واعترفت بذلك على نفسها وهى تعرف أن الموت هو الثمن.. فكأنها أرادت الموت.

فى وسط هذه الثرثرة يأتى شخص إلى أكبر رأس فى الحفل ويهمس له.. «واشنطن على التليفون».. فيرد عليه باللغة العربية: «قل لهم أننى موافق على كل شىء»!

الصحفى يناقش الحادث مع أستاذ عربى فى جامعة لندن: اسمه فى الفيلم شاهين.. يقول: أن الشخصية العربية من كثرة ما أخذت من الغرب ومن كثرة ما تتعرض له من ضغوط أصبحت شخصية مزدوجة.. مصابة بالفصام.. الشيزوفرنيا.. وقصة الأميرة هى نتيجة التناقض «بين تخلف الأمس ومؤثرات اليوم».

الصحفى ينظر إلى المشاهدين ويتساءل: «من أين نبدأ».

يلتقى بعامل انجليزى شاب فى مدينة بريطانية كان يعمل فى «العربية» شاهد فيها الأميرة بعد أن أخبره بالموعد موظف الإستقبال فى الفندق الذى كان يقيم فيه وصمم على تصوير الإعدام بكاميرا أخفاها فى علبة سجائر، وراح يستعرض الصور مع الصحفى ويروى له كيف كان المشهد وكيف انتهى بنقل الجثتين فى سيارة أقرب لسيارات نقل الموتى.

يلتقى الصحفى بمربية ابن الأميرة.. تحكى له عنها وعن حياتها الخاصة.. أنها كانت فى التاسعة عشر من عمرها.. جميلة جذابة.. رشيقة.. تبدو مثل الغزال البرى.. تهوى الموسيقى والطرب والرقص.

فى بيروت نرى الصحفى وسط عدد من الفلسطينيين، تقول إحد الفلسطينيات أنها كفلسطينية شعرت بأننى أريد أن أنفجر بعد أن عجزت عن أن أجد من يسمع متاعبها الأميرة كانت مثلى... لم تجد من يسمع متاعبها.. فلم يكن أمامها سوى الموت.

فى فندق سان جورج ببيروت يتحدث الصحفى إلى رجل أعمال لبنانى نفهم من كلامه أن الأميرة كانت طالبة فى كلية البنات فى بيروت وأن صديقها الفلسطينى كان طالباً فى الجامعة الأمريكية هناك.

فى كلية البنات تكتشف أن الأميرة لم تكن طالبة فيها أبداً.

يعود الصحفى إلى المربية التى تؤكد أن الأميرة لم تذهب إلى أى كلية.. ثم تحكى

عن حياتها الخاصة وزوجها الغائب فى أمريكا... والأميرات اللائى يمارسن الحب من مل الحياة فى القصور.. وتقول: إن الأميرة لم تكن تصلى.. وإن كانت تسمع تلاوة القرآن أحياناً... وكانت لا تقرأ إلا مجلات السينما والنجوم.. وكان مطربها المفضل عبد الحليم حافظ.. أما أغنيتها الغربية المفضلة فكانت بعنوان «أدخر قبلاتك لى».

المربية تستطرد أن الأميرة سافرت إلى لندن فى نوفمبر ١٩٧٦ وكانت سعيدة وتريد أن تكون «هيبة».. وكان سر سعادتها هو الحب... وكانت تعلق صورة من تحب فى سلسلة حول رقبتها.. بعد بضعة أشهر اختفت الأميرة.. وقيل للمربية أنها ذهبت إلى فندق على ساحل البحر وغرقت، فقد وجدوا ملابسها على الشاطئ وفى الحقيقة أنهم قضوا عليها فى الفندق مع صديقها.

ويسأل الصحفى المربية:

ـ لماذا هى وحدها التى تموت وهناك غيرها كثيرات لهن علاقات خاصة؟

ـ لأنها جعلت الأمر علنياً... والمهم أن يكون سراً.. وإلا لكانت الفضيحة!

ـ هل كانت هناك محاكمة؟

ـ لابد من محاكمة.

ـ هل أدانت نفسها؟

ـ لا أعرف ما الذى جرى فى المحاكمة؟

نرى مشاهد حية من مدينة جدة.. ثم نرى الصحفى فى حفل السفار البريطانية وهو يستمع إلى شخص يقول له:

ـ لقد سمع أن الأميرة لا تزال على قيد الحياة ولكن فى مصحة للأمراض النفسية فى سويسرا.

ولكن.. كيف وقد أعدمت أمام الناس؟

ليس من الصعب إبدال الأميرة بامرأة أخرى.

الصحفى فى مكتب وزير الداخلية.. الوزير يحدثه عن استثمارات بلاده الاقتصادية

فى الغرب.. ثم يضيف: أما بالنسبة للأميرة «منى» فإن لنا شريعتنا.. نحن لا نتغاضى عن الانحراف حتى فى الأسرة المالكة.. ونحن فى الوقت نفسه نهتم بدور المرأة فى المجتمع.. ويمكنك زيارة كلية البنات.

الصحفى يقابل مديرة كلية البنات فى مكتبها ثم فى بيتها فى وجود عمتها، شقيقة الأستاذ بدر شاهين الذى حمله منه توصية إليها..

سألته:

كيف أساعدك؟

حدثينى عن الأميرة التى أعدمت.

هل سمعت القصة الحقيقية؟

سمعت عشر قصص حقيقية؟

لكن..

دعينى أسألك أولاً.. هل قضيت سنوات عديدة من حياتك فى أمريكا؟

نعم ولكن كان على أن أعود.

لماذا؟

كان على أن أعود إلى جذورى فأنا عربية.. مسلمة.

وهل ترتاحين فى هذا البلد المحافظ؟

إنهم هنا يشوهون الإسلام ويستعملونه . أن عقوباتهم وحشية ولا علاقة لها بالإسلام.. لا حجاب فى الإسلام.. الحجاب شىء عثمانى جاء به العثمانيون طريقتهم فى معالجة أمر هذا الأمير لا علاقة لها بتعاليم الإسلام.. الأميرة لم تعترف.. إنما أرادوا أن يجعلوا منها عبرة لأنها تحدتهم.. أما هى فكان عليها أن تموت حتى تثبت أنها على حق.. الإسلام ديمقراطى ولكن الحكام هنا أوتوقراطيون.. لا ملكية فى الإسلام . والقرآن يقول أن الأمر شورى فى الحكم.

ـ لكن من المسئول عن هذا النظام؟

أنتم الغرب مسئولون.. كنتم دائماً إلى جانب أعداء التقدم.. نحن الآن نحاول أن نعود إلى روح الإسلام.. الديمقراطية الحقيقية... وقد بدأت حركتنا بالفعل والأميرة كانت جزءاً منها.

أريد حقائق عن الأميرة..

سأرتب لقاء مع سيدة مقربة من الأسرة المالكة، ولكن يجب أن يبقى اسمها سراً.. إنها كانت تعرف الأميرة.

لا تظهر هذه السيدة أمامنا على الشاشة بوضوح لكن ما تقوله ليس فى حاجة إلى شرح.. تتحدث عن الفراغ والسأم فى حياة الأميرات.. وتتحدث عن الأميرة التى كانت تجلس فى سيارتها الفخمة المطفأة الأنوار أمام فندق «انتركونتيننتال» لترقب البشر لساعات طويلة.. وتتحدث عن الجنس وكيف أصبح أهم ما فى حياة الأميرات.. والمدهش هنا أن الأميرات هن اللاتى يقمن باصطياد الرجال..

هناك طريق صحراوى تنطلق فيه سيارات الرجال بعد العصر.. تتبعها سيارات النساء يستعرضن الرجال ويخترن من يعجبهن.

والأميرة؟

لقد أخذها جدها إلى لندن وهناك لم تتعلم شيئاً وإنما اختلط عليها الأمر.. ولم تعد قادرة على أن تعرف رأسها من قدميها.

وهناك أيضاً قابلت الفتى الذى أحبته؟

لا.. قابلته هنا.. رأته يغنى ويعزف الجيتار فى التليفزيون فأعجبت به وأرسلت سائقها ليطلب منه أن يقابلها فى محال تجارى.. كان عمره ٢١ سنة، وكان خائفاً ولكنها كانت جريئة.. ودامت العلاقة بينهما ٣ أسابيع فقط.. واتفقا على أن يلتقيا فى أوروبا.. ولكن يبدو أن جدها أحس بشىء فمنعها من السفر. فتحايلت على أمها حتى أقنعتها بالذهاب إلى شاليه الأسرة على البحر. وهناك كان الفتى فى انتظارها.. وتركت الأميرة ملابسها على الشاطئ ليظن الناس أنها غرقت. وذهبت مع صديقها إلى فندق صغير على بعد خمسة أميال من الشاليه وكان هذا مخبأهما.

نرى الصحفى فى الفندق.. يتحدث إليه رجل بدين.. يقول:

أنا رأيتها بعينى... كانت الأميرة مع الولد.. كان الكل يبحثون عن الغريقة.. وهى هنا معه.. أختفيا يوم الأثنين.. ويوم الجمعة أعدما

نعود إلى السيدة المجهولة التى كشفت أن الأميرة تركت رسالة مع الخادمة أوصتها أن توصلها لها بعد أسبوع.. ولكن الخادمة التى أحست بالاضطراب سلمت الرسالة للأم قبل الموعد.. أو فى اليوم الذى قرر فيه العاشقان السفر.

فى المطار نرى الأميرة متنكرة فى ثياب غلام والشرطة تنظر إليه فى ريبة وعند التفتيش ينكشف أمرها.. وجاء الفتى لينقذها فُقبض عليه أيضاً.

فى غرفة قاضى المحكمة، يتحدث القاضى الشيخ عن ضرورة إثبات الجرم قبل القصاص فى الشريعة الإسلامية... ويتحدث عن سماحة هذه الشريعة التى ضاعفت من شروط الإثبات حتى لا يقع العقاب على برىء.

ثم يقول القاضى للصحفى:

أما بخصوص الأميرة فلم تكن هناك محاكمة أصلاً... كان الإعدام مسألة سياسية فجد الفتاة هو شقيق الملك الأكبر.. والتوازنات بينهما مطلوبة مهما كان الثمن.. أخذوا الفتاة إلى الجد وفى يوم الجمعة التالى أعدمها حرس الجد... كان الملك ضد القتل لكن الأمير - الجد لا يخضع إلا لسلطان نفسه.. أنه يشعر بأن من يهب الحياة قادر على أخذها.. وهذه ليست شريعة الإسلام وإنما شريعة القبيلة.

فى النهاية يتساءل الصحفى ما معنى أن تؤخذ فتاة فى التاسعة عشرة من عمرها إلى كومة من الرمال لتموت بالرصاص دون محاكمة أو شهود؟

فى صالون فندق رويال جاردن هتف رجل أعمال إنجليزى: يا إلهى.. أتمنى أن أعرف من وراء هذا الفيلم؟

فأجابه رجل أعمال أخر كان يجلس عن يمينه: كامب ديفيد.

هذه الواقعة التى لا نعرف مدى صحتها - نشرتها جريدة «الجزيرة» السعودية فى معرض ردها - هى وباقى الإعلام السعودى على الفيلم ومهما كانت الحقيقة فإن النتيجة

صحيحة.. فتش عن كامب ديفيد... وهذا ما توصلت إليه صحيفة «الرياض» أيضاً وقد سخرت من الفيلم قائلة: أنه إنتاج بريطانيا العظمى.. بطولة جيمى كارتر ومارجريت تاتشر.. وقصة وسيناريو وإخراج المفكر اليهودى الكبير هنرى كيسنجر.. أما الكومبارس فيأتى فى مقدمتهم النظام المصرى.

الحقيقة أن نظام السادات دعم الفيلم وسمح بتصويره فى مصر «بين القاهرة وبلطيم» لمدة ٣ أسابيع فى يونيو ١٩٧٩، وقامت بدور الأميرة الممثلة سوسن بدر، واشترك فى كتابة الحوار صلاح جاهين الذى مثل أيضاً دوراً ثانوياً فى الفيلم، وأشرفت على الإنتاج شركة تسمى «صن توب» من خلال الشركة التى يملكها يوسف شاهين.

بعرض الفيلم اكتملت الصورة التى وصفها البعض بأنها.. مؤامرة صهيونية، ساداتية أمريكية ضد العرب والمسلمين.

ولم تكن المؤامرة كذلك.. وإنما كانت مؤامرة سياسية لإجبار دولة كالسعودية للدخول فى التسوية.. وقد نجحت المؤامرة فعلاً.

* * *

الدور السعودى فى تطور الأحداث
مع تنظيم القاعدة وقائده بن لادن
كما يرصده أ/ بدر الدين أدهم

ولم يكن أبداً فى حسبان قائد العرب الأفغان أسامة بن لادن أن فى خروج العدو السوفيتى.. إبعاد له عن الأرض الأفغانية. تلك الأرض ـ على حد قوله ـ التى حالف الشيطان الأمريكى من أجلها. وظلت الحقيقة غائبة... الجهاد فى سبيل الله.. أم فى سبيل العرش؟!!.

حملت مصر وعدد من الدول العربية... المملكة العربية السعودية مسئولية دعم الجماعات الإسلامية فيها.. خاصة بعد أن تناقلت أجهزة هذه الدول، ومن بينها الجزائر وتونس اعترافات بعض المقبوض عليهم فى قضايا إرهابية تتعلق بدعم جماعة بن لادن، وتمويلها بالأموال الكافية.

وفى مصر على وجه الخصوص قدمت السلطات قائمة بالسعوديين الذين يمولون هذه الجماعات. سواء من أموالهم الخاصة. أو من أموال الزكاة، وكذا بيان بالجماعات والهيئات الخيرية الإسلامية السعودية التى تعمل فى هذا المجال.

وفى مصر أيضاً ألقى القبض على أعداد جديدة فى حوادث إرهابية مختلفة، فى أعقاب اغتيال الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب... بعض هؤلاء أكدوا تلقى دعماً من الخارج.. وأن رجال دين، ورجال أعمال سعوديين وخليجيين من قطر والكويت، قد أرسلوا شيكاً لإنفاقها على أشقائهم فى الجماعة مما دفع أجهزة الأمن إلى تتبع الخيوط، حتى أدانت مصر جمعية الإصلاح الاجتماعى الخيرية بالكويت، وعدداً من هيئات جمع أموال الزكاة فى السعودية وقطر.

ولكن الذى يتابع تطورات عمليات جمع أموال الزكاة فى الدول الخليجية، يجد أن ديناميكية هذا الأسلوب تنبع من اقتناع المسلمين بوجه عام بإخراج الزكاة، على كونها فرض عين، وأحد أهم أصول وقواعد الإسلام (إيتاء الزكاة)، وهذه القناعة تنطبق على كل مسلم. سواء كان فقيراً أم غنياً.. الكل مطالب بإخراج الزكاة.

وأيا ما كان. فإن جميع أموال الزكاة من أجل دعم المجاهدين فى أفغانستان. كان أمراً طبيعياً للغاية، بل كان يلقى تأييداً حكومياً من كل الدول العربية والإسلامية. كل ذلك كان لا غبار عليه خلال احتلال الاتحاد السوفيتى السابق لأفغانستان المسلمة، ولكن الذى أقلق السلطات فى الدول العربية التى يؤرقها وجود الجماعات بها، هو تحول هذا الدعم

الكبير من المجاهدين الأفغان إلى العرب الأفغان، الذين وقعوا فريسة لعدد لا بأس به من الجهات والهيئات والأجهزة الدولية، التي تسعى لزعزعة الأمن والاستقرار في الدول العربية، وبصفة خاصة مصر باعتبارها الكيان العربي الوحيد ـ كما قلنا ـ القادر على إحياء روح الوحدة والقومية العربية والتضامن الإسلامي في آن واحد.

وعلى الجانب الآخر لم يقنع العرب الأفغان بالاتهامات الجديدة التي بدأت تلاحقهم، خاصة أن خطوط الاتصال بينهم وبين قياداتهم المباشرة مع القائد والمنظم للوجود العربي في أفغانستان أسامة بن لادن كانت قد قطعت بل لم تعد منتظمة مثلما كانت في الماضي، حيث انشغل القائد بالبحث في مستقبل العرب الأفغان، في أعقاب خروج الاتحاد السوفيتي وهروب نجيب الله، واستلام المجاهدين بالفصائل السبعة مقاليد الحكم، وبدء عملية صراع الثورة.

كانت الأيام الأولى بعد القضاء على نظام نجيب اللهفي أفغانستان هي المحدد الأساسي والمسئول الأول عما يجري في أفغانستان. فقد حدثت مساومات عديدة بين أجنحة وبقايا النظام الشيوعي، وجناح أحمد شاه مسعود من حزب الجمعية الإسلامية، اتفق فيها الطرفان على توليفة معينة للسلطة، هذه المحصلة لم تكن مقبولة من الحزب الرئيسي (حزب إسلامي) فقد قبل شاه مسعود بحلول وسط بين بقايا النظام الشيوعي، بما فيها جنرالات الجيش السابقين، إضافة إلى ميلشيا الأوزبك التي كانت جناحاً رئيسياً من أجنحة النظام الشيوعي السابق.

وقد بينت أحداث مدينة (مزار الشريف) والتي شهدت تحالفاً بين مسعود والميلشيات المحلية من الأوزبك والطاجيك وجماعات الشيعة بالإئتلاف مع وحدة المجاهدين المحلية، وهيمنوا على المدينة من البشتون، وقد بينت هذه الأحداث مدى الرغبة في الثأر العراقي ففي سبيل توطيد ودعم مراكز نفوذه تحالف مسعود مع كثير من جماعات خدمت في ظل النظام الشيوعي، ومنها جماعات من جناح (بارشام) في حزب الوطن، ونجح مسعود في تأسيس تحالف مجلس الجهاد الإسلامي.

وقد تحالف مجددي خلال رئاسته للمجلس الانتقالي مع أجنحة النظام الشيوعي السابق، وقام بترقية العديد من جنرالات الجيش السابقين ذوي العقائد والميول اليسارية

وعمل على تكريس الانقسامات بين حزب إسلامى (الجمعية الإسلامية) وشكل المجلس العسكرى المسئول عن الأمن فى العاصمة، واستبعاد العناصر المتشددة مع تكريس غلبة حزبه، كما سمح لميليشيات الأوزبك بالمشاركة فى المجلس وأعطى الشيعة ثمانية مقاعد وهو ما يعنى تحقيق مطالب إيران، التى كانت تطالب بذلك، بالإضافة إلى اتصاله بالقوى الخارجية. وخاصة أمريكا لتدعيم نفوذه.

ينحصر الصراع فى أفغانستان بين الحزبين الكبيرين حزب إسلامى بقيادة حكمتيار من جانب، والحكومة المؤقتة التى تكون جمعية إسلامى، إضافة لكافة جماعات المجاهدين التى ارتضت المشاركة فى الحكم وبقايا النظام السابق.

وقد توصل برهان الدين ربانى بعد تولية رئاسة الحكومة الانتقالية بعد مجددى إلى اتفاق مع قائد ميليشيات الأوزبك رشيد دوستم، على سحب ميليشياته من كابول. إلا أن الاتفاق بينهما يقضى أيضاً بتخلى كافة فصائل المجاهدين الموجودة فى العاصمة وما حولها عن أسلحتها قبل الانسحاب الكامل للميلشيات. وبالطبع لم يحظ هذا الاتفاق بموافقة حكمتيار الذى يشترط إخراج الميليشيات من المناصب الحكومية، وحرمانهم من أى منصب فى الحكومة الإسلامية، كما يرفض الحزب توزيع المناصب على أساس النسب العرقية.

ولكن قلب الدين حكمتيار زعيم حزب إسلامى أصر على حل وإقصاء ميليشيات الأوزبك وبقايا النظام الشيوعى عن الحكم، ويرفض حكمتيار مساواة حزبه ببقية الأحزاب فى مجلس الشورى (البرلمان) أو فى الحكومة، ويتمسك حزب إسلامى بضرورة إقامة نظام إسلامى خالص فى أفغانستان.

كما عمد إلى تقليص دور الجماعات الشيعية من المجاهدين الذين تدعمهم إيران رغم مطالبة الشيعة بـ٢٥٪ من مقاعد البرلمان، ويصر حكمتيار على عدم منحهم أية مقاعد.

وقد كانت الخلافات تزداد يوماً بعد يوم، حتى بلغت التحديات المواجهة بين السبعة الكبار وقد عمد العقلاء إلى التوصل لمعادلة سياسية تحفظ التوازن الاجتماعى والسياسى بين القوى والأعراق الأفغانية. وتحويل الميليشيات العسكرية المتصارعة لجماعات مدنية تسعى للإعمار والتنمية، والقبول بقواعد اللعبة السياسية وتدعيم مؤسسات الدولة المدنية.

وتصحيح الاقتصاد الأفغانى التى أدت الحرب الأهلية الطويلة إلى إنهياره، والقضاء على زراعة المخدارت، واستيعاب اللاجئين الأفغان القادمين من باكستان وإيران. والتغلب على مشكلة الألغام المزروعة فى الأراضى الأفغانية، والتى تشير بعض التقديرات إلى أنها تصل إلى ١٠ ملايين لغم، وبحث المستقبل.

كما أن الحرب الأهلية الطويلة التى عاشتها البلاد أوجدت قنوات عديدة يسهل عن طريقها اختراق المجتمع الأفغاني.. إضافة للديون الخارجية التى تقدر بنحو ٢٩ بليون دولار.

كل هذا كان يقف أمام بن لادن كنذير خطر. إن الحرب الأهلية على الأبواب... فبعد أن كان الأفغان أصحاب قضية.. أصبحوا الآن أصحاب صراع وأهل نزاع وقتل، كانوا فى الماضى يجاهدون فى سبيل تحرير الأرض. واليوم أصبحوا يجاهدون من أجل كسب ود الطاغوت الأمريكي... لقد بدأ الشقاق يدب بين الأشقاء.. رفع الأخ فى وجه أخيه المدفع، ووضع فى طريقه اللغم، فبدلاً من العون على العدو أصبح قتل المسلم فى سبيل السلطة، وخرجت عشرات الكتب باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، تتحدث عن صراع الأشقاء، وملأت الأبحاث العلمية قاعات الدرس تتحدث عن أسباب وجذور الانقسام والتعدد العرقى فى أفغانستان، من أجل حلم السلطة.

وبنظرة سريعة على تلك الأبحاث الحديثة نقول: إن أسباب الصراع فى أفغانستان لا ترجع لعوامل دينية أو مذهبية بالأساس إذ إن المجتمع الأفغانى من أكثر المجتمعات تجانساً من الناحية الدينية، بخلاف المجتمع الهندى مثلاً، لأن الأغلبية الساحقة من المسلمين، والذين يشكلون حسب بعض التقديرات أكثر من ٩٠٪ من عدد السكان يقارب عددهم الإجمالى ١٨ مليون نسمة، ويمثل الشيعة منهم من ٧ إلى ٨٪ إذ إن الأغلبية أيضاً من المسلمين السنة.

ولم يكن التعدد العرقى فى المجتمع الأفغانى يشكل عبئاً على الدولة مع توافر تقاليد وأعراف إسلامية وقبلية راسخة. وإذا كان البعض يشير إلى غلبة العنصر البشتونى فى أجهزة الحكم والسلطة، وأن ذلك كان وراء إثارة نعرة طائفية أو عرقية، فإن ذلك يجب أن يؤخذ فى السياق الاجتماعى والسياسى لتطور المجتمعات فمعظم المجتمعات قد شهدت

الحكم الملكى الأسرى فى ذلك الوقت، ولم يكن ذلك مستغرباً مستهجناً. حيث لم تكن المشاركة السياسية مطلباً لدى معظم المجتمعات فى تلك الحقبة من الزمن فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ومع ذلك فقد استطاعت الأسر الحاكمة فى أفغانستان الحصول على إجماع شعبى لقيادتها من المجتمع الأفغانى منذ تأسيس الدولة هناك فى عام ١٧٤٧م.

وحتى قبل تدخل السوفيت عام ١٩٧٩ لم تبرز القضايا العرقية والطائفية فى المجتمع الأفغانى بشكل يعكس أية مدلولات سياسية مثل الهند. حيث تتخذ المشكلة الطائفية بها أبعاداً سياسية حادة. إلا أنه ومع التغيرات التى ظهرت فى البيئة الدولية، إضافة للتوترات الأقليمية، وتزايد الصراع الداخلى استغلت أطراف وقوى خارجية ذات توجهات معينة. قضية التجانس العرقى فى أفغانستان لتحقيق أهدافها الخاصة، وعلى سبيل المثال محاولة إيران استغلال الشيعة الأفغان لتوجيه الصراع هناك وجهة معينة تحقق مصالحها الخاصة، وهى سياسة إيرانية ثابتة. وحاولت إيران تطبيقها فى العديد من البلدان التى توجد بها أقليات شيعية وعلى سبيل المثال محاولة إيران استغلال الشيعة فى العراق، وجنوب لبنان للتأثير فى الصراعات الدائرة هناك.

والعجيب أن بعض القوى الداخلية استجابت لتحريض بعض القوى الخارجية لإثارة موضوع الطائفية والأعراق فى المجتمع الأفغانى، وظهرت نزعات جديدة تطالب بإنهاء سيطرة عنصر الباشتون على مقاليد الحكم فى البلاد، وأن العناصر الأخرى يجب أن تمارس دوراً فى إدارة شئون البلاد والسيطرة على مقاليد الأمور، ظهر ذلك واضحاً لدى جماعات الطاجيك الذين يمثلون ثانى أكبر العناصر العرقية فى تركيبة المجتمع الأفغانى إضافة للأوزبك.

والتركيبة العرقية للمجتمع الأفغانى وأهم الجماعات العرقية التى تتكون منها أفغانستان الباشتون: وتتراوح التقديرات فيما يتعلق بالنسبة العددية لهم فى المجتمع الأفغانى بين ٥٠ إلى ٦٠٪ ويتكلمون لغة الباشتو. وقد سيطر عنصر الباشتون على السلطة السياسية فى البلاد منذ تأسيس أفغانستان عام ١٧٤٧ كان ملوك الطوائ والسلاطين من أهل السنة.. والطاجيك: ويمثلون ما بين ٢٥ إلى ٣٠٪ من السكان، وهم

من أصول إيرانية ويتكلمون اللغة الفارسية، وهم من أهل السنة أيضاً. إلا أنه كان من الواضح أن سيطرة فصائل المجاهدين الأفغان المختلفة على مقاليد السلطة فى البلاد، لم تكن نهاية مرحلة الصراع وعدم الاستقرار التى سادت البلاد بعد الاحتلال السوفيتى. بل إنه شكل بداية مرحلة جديدة من الصراع، دخلت فيها البلاد، وجعلت من الاستقرار والسلام حلماً بعيد المنال للشعب الأفغانى. الذى استمرت محنته أربعة عشر عاماً متواصلة.

ومن ثم يمكن القول أن انتهاء فترة الحرب الباردة، ونهاية حالة الاستقطاب الدولى، التى شهدتها تلك الفترة قد خلق طابعاً جديداً للعديد من الصراعات الإقليمية، ومنها الصراع الأفغانى. إذ أصبحت معظم تلك القضايا والصراعات لا تعود فى الوقت الراهن لصراع القوى العظمى كما كان فى السابق، بل إن هذه الصراعات أصبحت تمثل إفرازاً واضحاً للتناقضات العرقية والدينية والطائفية فى العديد من تلك البلاد، وهو ما ينطبق على الصراع الأفغانى محل البحث.

من الواضح أن انتهاء دور القوى العظمى والخارجية فى الصراع لم ينه الصراع. بل إن الصراع استمر نتيجة عوامل وتناقضات داخلية فى بيئة المجتمع الأفغانى.. لذلك فإنه لزاماً علينا حتى نفهم أسباب الصراع يجب علينا تفصيل العوامل الداخلية التى تسببت فى استمراره.. ومنها مثلاً الأوزبك: ويشكلون حوالى ٤٪ من السكان، ويقطنون شمال أفغانستان، وترجع أصولهم إلى جماعات الأوزبك فى أسيا الوسطى والقوقاز، وهم من أهل السنة. والهزارة. وهم رابع أهم الجماعات العرقية فى البلاد ويشكلون ٣٪ من السكان ويرجعون فى نشأتهم لأصول مغولية وتتارية، ويتبعون المذهب الشيعى، وهناك جماعات عرقية صغيرة فى أفغانستان تشكل حوالى ٢٪ وهم جماعات النورستانى - البلوتش - القرجيز - التركمان. ويتكلمون بلغات محلية أو خليط بين الفارسية واللغات الأخرى.

ومن ثم يمكن القول بتنوع التركيبة العرقية فى المجتمع الأفغانى. ولكن بالرغم من هذا التنوع الهائل، فإن هناك مجموعة من القيم والتقاليد المتوارثة والثقافة المحلية للمجتمعات القبلية والتقليدية تسود فى المجتمع الأفغانى ومازالت تلعب دوراً واضحاً ومؤثراً فى مجريات الأمور: فهناك شيوخ القبائل، والتنظيم القبلى يقوم على الطاعة والضبط الاجتماعى - هذا فى الوقت الذى يمثل فيه تفكك الروابط القبلية واستغلال

عوامل التناقض القائمة عاملاً من عوامل هدم وعدم استقرار التركيبة الاجتماعية القائمة في المجتمع، ويمكن لنا في نهاية الحديث عن التعدد والتنوع العرقي في المجتمع الأفغاني أن نرصد عدداً من العوامل المستجدة، والتي دعمت الشعور بهذا التمايز والتنوع بين أفراد المجتمع، وهي وجود بعض القوى الخارجية التي تحاول التأثير في معادلة القوى السياسية داخل أفغانستان.. وتزايد الطموحات العرقية التي ولدتها الانتصارات التي أحرزها غير الباشتون من أبناء الأعراق الأخرى. مثل أحمد شاه مسعود، والذي ينتمي بالأساس إلى طائفة الأوزبك.

وكذلك التشتت والاضطراب الاجتماعي، الذي ولده اغتراب اللاجئين في عدة دول مجاورة. وخاصة إيران وباكستان. حيث استقبلت الدولتان ما يقرب من خمسة ملايين لاجئ أفغاني، بسبب الاحتلال السوفيتي لأفغانستان واندلاع الحرب الأهلية بعد ذلك. خاصة إذا أخذنا اختلاف المذهب الديني والتوجهات لهذه الدول التي لجأ إليها اللاجئون الأفغان، ولعل المقارنة بين إيران وباكستان في هذا الصدد توضح المقصود من هذا العامل. وزيادة الشعور بالهيمنة السياسية لطائفة الباشتون وتزايد الرغبة في المشاركة السياسية.

ورغم إطلاق لفظ المجاهدين على كافة الأحزاب والتنظيمات السياسية التي عارضت الاحتلال السوفيتي لافغانستان، وعارضت النظام الشيوعي الموالي له في كابول. إلا أن هذه القوى لم تكن موحدة بالأساس بل كانت منقسمة ومتعددة وتتشكل من عدة جماعات وتكوينات سياسية وعسكرية مختلفة. وفي مطلع الثمانينيات كان يوجد أكثر من ٨٠ جماعة معارضة تعمل من إقليم بيشاور بباكستان. إلا أنه وتحت ضغط من السلطات الباكستانية. التي كانت تدعم هذه الجماعات أدمجت تلك المجموعات في سبع جماعات سنية عام ١٩٨٢ بحيث أمكن تقسيم جماعات المجاهدين إلى جماعات المجاهدين السنة. وكانت تقيم في باكستان، وجماعات الشيعة في إيران، ويمكن تقسيم جماعات المجاهدين إلى قسمين.. الأحزاب السنية: وهذه بدورها تنقسم إلى جماعات أصولية، أو أحزاب أصولية وأحزاب تقليدية إصلاحية. وبالنسبة للأحزاب الأصولية كان أهمها حزب إسلامي ويتزعمه قلب الدين حكمتيار وهو أقوى الأحزاب تماسكاً وتنظيماً، وجمعية إسلامي وزعيمها برهان الدين رباني، ويعد أحمد شاه مسعود القائد الميداني لجمعية إسلامي.

والاتحاد الإسلامى ويتزعمه عبد الرسول سياف، وهذه تمثل أهم وأقوى تنظيمات المجاهدين الأفغان السنة، وهى أحزاب أصلية، بالإضافة لوجود بعض الأحزاب التقليدية الصغيرة. مثل الجبهة الإسلامية الوطنية بزعامة أحمد جيلانى، وجبهة التحرير الوطنى، ويتزعمها صبغة الله مجددى وحركة الانقلاب الإسلامى، ويتزعمها محمد بن محمدى.

وقد كان بعض هذه الأحزاب مندمجاً مع بعضه. إلا أنه حدثت بعض الانشقاقات بين صفوفها، مثل انفصال يونس خالص عن حزب إسلامى بقيادة حكمتيار وتشكيله جبهة مستقلة عرفت أيضاً باسم الحزب الإسلامى، وقد تأثرت هذه التنظيمات بالسياسات الباكستانية تجاه الصراع فى أفغانستان، وسيطرت عليها باكستان طوال فترة الحرب الأهلية والحرب ضد الاتحاد السوفيتى السابق.

وكذلك الأحزاب الشيعية: والتى تسيطر عليها إيران. وتتعدد هذه التنظيمات أيضاً. إلا أنها ضعيفة بالقياس لأحزاب وجماعات المجاهدين السنة. خاصة إذا ما أخذنا فى الاعتبار أن الشيعة يمثلون أقلية أصلاً فى المجتمع الأفغانى.. ومنها حزب الوحدة، وحركة نصر، وحركة الشورى، والاتفاق، والحركة الإسلامية، وحزب الله، وحرس الجهاد.. وهناك أحزاب أخرى علمانية، وهى أحزاب هشة تعانى من عدم الفاعلية على الأرض الأفغانية. بالإضافة لغياب قواعدها الشعبية. وتتمثل فى حزب الوطن الأم ـ الحاكم سابقاً ـ وهو الحزب الديمقراطى الشعبى، والذى كان يرأسه نجيب اللهالرئيس السابق، وهو ذو توجهات يسارية بالأساس. بالإضافة للحزب الشعبى الإسلامى فى أفغانستان، والمنظمة الثورية لعمال أفغانستان، وحزب العدالة الفلاحية، والمنظمات الجماهيرية للطلبة والشباب والعمال، وقطاعات الجيش النظامى.

وبصرف النظر عن تعدد القوى السياسية فى أفغانستان، فإن الذى يملك منها التأثير والسيطرة على مقاليد القوى للبلاد هو حزب إسلامى بزعامة حكمتيار، والجبهة الإسلامية بزعامة أحمد شاه مسعود وبرهان الدين ربانى الرئيس الحالى للبلاد... وتجدر الإشارة أيضاً فى معرض حديثنا عن القوى السياسية الأفغانية. أن هذه القوى المختلفة تخضع فى توجهاتها السياسية لقوى إقليمية. فجماعات المجاهدين السنة تخضع للنفوذ الباكستانى، وقد احتل حزب إسلامى بزعامة حكمتيار مكانة مرموقة كما حظى بالدعم

الأمريكي والباكستاني طوال فترة الحرب ضد السوفيت.

هذا بخلاف جماعات الشيعه، التي تسيطر وتهيمن عليها إيران وبالتالي فإنه فضلاً عن اختلاف توجهات ومصالح جماعات المجاهدين، فقد تحجمت قدرتها عن التحرك السياسي بحرية.

وتبين خبرة الإئتلاف بين قوى المجاهدين صعوبة التوصل إلى تنسيق وائتلاف بدون جهد يذكر، فحكومة المجاهدين المؤقتة والتي تأسست عام ١٩٨٩ قبل رحيل نجيب الله، لم يستمر بها حكمتيار وحزبه ـ وهو أهم الأحزاب ـ سوى ستة أشهر فقط.

فقد شهدت الأشهر الأخيرة من حكم نجيب الله تآكل نظام كابول بعد توقف الدعم السوفيتي، وقد اتخذ نجيب الله بعض الخطوات في سبيل المصالحة الوطنية الداخلية. حيث أعلن تخليه عن الماركسية وتمسكه بالإسلام كعقيدة للدولة والنظام، وأقام بعض الإصلاحات الديمقراطية، وأعلن تعديل الدستور. بما يتوامم مع تقاليد المجتمع الأفغاني. وقد وافق المجلس العشائري على إجراء تغييرات دستورية، تتضمن إقامة نظام متعدد الأحزاب في أفغانستان، والتحول إلى الاقتصاد الحر. كما وجه أعضاء الجمعية الوطنية التقليدية والمجلس العشائري نداء إلى الثوار للدخول في مفاوضات مع الحكومة، وطرح نجيب الله فكرة مشاركة حكومة كابول وفصائل المجاهدين، سواء السنة أو الشيعة في حكومة مؤقتة تكون مسئولة عن إعداد دستور جديد للبلاد، وعقد انتخاب لتكوين حكومة دائمة تحت إشراف دولي من الأمم المتحدة.

وأعلن نجيب اللهعن استعداده للتعاون مع السياسة الأمريكية في المنطقة، ولكن المجاهدين كانوا قد سبقوه إلى أحضان الولايات المتحدة الأمريكية، وجهاز مخابراتها الشهير «السي أي إيه»، ومن قبلهم كان بطلهم أسامة بن لادن. وبالفعل بدأت بوادر الحرب الأهلية في أفغانستان تظهر من جديد.. وفكر رجال بن لادن ثوار العرب الأفغان ماذا يفعلون؟ هل كانوا ثواراً؟!! أم كانوا أداة من أدوات اللعبة السياسية الأمريكية في منطقة وسط أسيا والقوقاز؟ هل كانوا سبباً في محاصرة المد الأصولي في المنطقة أم كانوا دعماً له؟

وتوصل قادة المجاهدين الأفغان لاتفاق سلام تم توقيعه فى الرياض فى ٧ مارس ١٩٩٢ بعد محادثات سلام تمت فى إسلام آباد، تحت زعامة الحكومة الباكستانية وإشراف كل من السعودية. ممثلة فى الأمير تركى الفيصل المبعوث الخاص للملك فهد، وإيران ممثلة فى نائب وزير الخارجية الإيرانى علاء الدين بروجوردى كما شارك فى هذه المحادثات الأطراف الرئيسية للصراع فى أفغانستان. حيث شارك فيها الرئيس الأفغانى برهان الدين ربانى وقلب الدين حكمتيار زعم حزب إسلامى، وحضر الاجتماعات نواز شريف رئيس الوزراء الباكستانى.

ويقضى الاتفاق الذى تم التوصل إليه ـ بتولى برهان الدين ربانى الرئيس الحالى منصب الرئاسة لمدة ثمانية عشر شهراً، ويتولى قلب الدين حكمتيار منصب رئيس الوزراء. أما وزارة الدفاع الأفغانية التى كان يرأسها «أحمد شاه مسعود» من حزب الجمعية الإسلامية الذى يرأسه الرئيس «ربانى» فسيتم استبدالها بمجلس دفاعى متعدد الأطراف، يقوم بتشكيل جيش موحد، وجمع الأسلحة الثقيلة، وإخراجها من كابول، وفتح الطرق، ومنع قيام تنظيمات عسكرية غير نظامية، ورسم السياسة الدفاعية للدولة. ولم يعرف بعد من سيتولى رئاسته.

وكانت نقطة الخلاف الرئيسية بين أطراف المباحثات حول منصب وزير الدفاع حيث رفض حكمتيار استمرار أحمد شاه مسعود فى منصب وزير الدفاع، وأصر على ألا يستأثر حزب الجمعية الإسلامية بمنصبى رئاسة الدولة ووزارة الدفاع.

كما نص الإتفاق على إيقاف النار بين الفصائل المتصارعة فى البلاد وكذلك جميع الأعمال العدائية بعد تشكيل الحكومة. التى أشارت بعض المصادر إلى أنها ستأخذ وقتاً طويلاً إلى أن يتم الإتفاق على أعضائها بين رئيس الدولة ورئيس الوزراء.

وقد حظى الاتفاق بترحيب دولى إقليمى.. حيث أبدت إيران تأييدها له، وأثنت باكستان على جهود الوساطة السعودية التى تمكنت من التوصل إليه، واعتبرته خطوة مباركة، تؤدى إلى تحقيق سلام دائم وشامل فى أفغانستان.

كما أعلنت منظمة المؤتمر الإسلامى عن ترحيبها باتفاق وقف إطلاق النار فى كابول ووقف العمليات الحربية، وذكر السيد حامد الغابد الأمين العام للمنظمة أنه سيجتمع مع

القادة الأفغان فى مكة المكرمة لتبادل الأراء بشأن آلية ترتيبات حفظ السلام التى أسندت إلى المنظمة. وستتولى لجنة مشتركة من المنظمة وممثلى الأطراف الأفغانية مراقبة وقف إطلاق النار فى كابول.

أزاح توصل المجاهدين إلى اتفاق الستار حول إمكانية رؤية المستقبل للعرب الأفغان.. وأعاد لهم الأمل من جديد فى إمكانية إقامة دول إسلامية على نمط دولة أفغانستان الإسلامية.. ولكن ما لبث أن تبدد الأمل باشتعال النيران من جديد بين المجاهدين من جماعة برهان الدين ربانى من ناحية، وقلب الدين حكمتيار من ناحية أخرى.

ولكن بوادر توتر وانقسام داخل المجلس الحاكم الجديد فى أفغانستان قد ظهرت بعد أسبوع واحد فقط من توليه السلطة، ولم تستطع فيه هذه الحكومة أن تمد نطاق سيطرتها لخارج العاصمة كابول.. اتهم عبد الحميد منهاج أحد قادة المجاهدين الموالين للزعيم المعتدل برهان الدين ربانى، الميليشيات التابعة لعبد الرشيد دوستم بنهب البيوت والمنازل ومطاردة السيدات. وأعلن قلب الدين حكمتيار الزعيم الأفغانى المتشدد أنه مالم تخرج ميليشيات دوستم من كابول خلال يومين أو ثلاثة، فسوف يعد الخطط لإقتحام العاصمة، ورد هذه الميليشيات بالقوة معتمداً على قيادته لقوة من المدفعية والمدفعية المضادة للطائرات تعززها ٥٠ دبابة عند المشارف الجنوبية لكابول.

وفى خضم الأحداث أعلن «ضلعى» أحد قادة ميليشيا حزب إسلامى، التى يرأسها قلب الدين حكمتيار، والتى تقاتل قوات الحكومة المؤقتة أن ميليشياته على استعداد لوقف القتال وفق شروط معينة وأن «ميليشيا الحزب الإسلامى» ستوقع إتفاق سلام مع حكومة المجاهدين المؤقتة إذا انسحبت ميليشيا «أوزبك» من العاصمة الأفغانية وأن، مليشياته سترد بإطلاق النار إذا هوجمت.

ومرة أخرى تتدخل قيادة العرب الأفغان لعودة الحياة الطبيعية إلى كابول، ودعموا الأفغان بالمساعدات الإنسانية والمعونات الغذائية إلى كابول رغم إغلاق وقات قوات الدين حكمتيار المناهضة، للطريق العام أمام القافلة كما ساعدوا على فتح مطار العاصمة ووقف أعمال الدمار والخراب من المناطق المحيطة به ومن شوارع المدينة، وأعادت إمدادات مياه الشرب والكهرباء إلى الأحياء السكنية.

ومرة أخرى اتفق المجاهدون الأفغان على تشكيل مجلس رئاسة مؤقت يتولى شئون الحكم فى البلاد خلال الفترة الانتقالية، حتى يتسنى تهيئة الجو لتطبيق خطة الأمم المتحدة لتسوية القضية الأفغانية، وتسليم الحكم لحكومة منتخبة من الشعب الأفغانى ويضم هذا المجلس كافة فصائل المقاومة الأفغانية، وإن كان هناك بعض قادة المجاهدين المتشددين الذين رفضوا هذا الاتفاق، ومنهم قلب الدين حكمتيار زعيم حزب إسلامى المتشدد، والذى يطالب باستبعاد حزب الجمعية الإسلامية - الذى يرأسه مسعود شاه، وهو من استطاع سيطرة قواته على العاصمة كابول، والتخلص من فلول القوات الموالية للرئيس المخلوع نجيب الله.

كما يقضى الاتفاق الذى توصل إليه المجاهدون بتشكيل مجلس شورى يضم ممثلى القيادات السبع من المجاهدين، ويرأسه برهان الدين ربانى. وقد لقى هذا الاتفاق معارضة من تنظيمات المجاهدين الشعية الموالين لإيران، والذين يرفضون المشاركة فيه لعدم موافقتهم على النسب المعطاة لهم فى المجلس المؤقت، أو فى الحكومة التالية، التى ستتولى حكم أفغانستان عقب إنتهاء الفترة الانفصالية.

وأحدث هذا المناخ الجديد الذى يعيش فيه فلول العرب الأفغان بعد خروج بن لادن من أفغانستان ووصوله إلى اليمن أولاً ثم الأردن ثم أخيراً السودان.. حالة توتر جديدة وكلما إزدادت الأمور حدة.. كلما انتاب اليأس المجاهدين العرب من أن صور الدولة الإسلامية التى قاتلوا من أجلها سوف تهتز.. وراح عدد من دول المنطقة تعلن موافقتها المتباينة، وقد لعبت باكستان دوراً هاماً ومحورياً على صعيد الأزمة الأفغانية منذ اندلاعها عام ١٩٧٩ حتى حدوث التطورات الجديدة والأخيرة هناك. ولعل ذلك يرجع إلى حقيقتين مؤكدتين أولاهما: الجوار الجغرافى على الحدود بين الدولتين. وأخراهما: وجود ما يقرب من ثلاثة ملايين لاجئ أفغانى على أراضى باكستان منذ اندلاع الأزمة فى نهاية السبعينيات وحتى اليوم، مما جعل القضية الأفغانية تمثل محوراً جوهرياً فى السياسة الخارجية لأية حكومة باكستانية.

وقد لعبت باكستان دوراً هاماً فى دعم جماعات المجاهدين الأفغان المتواجدين على أراضيها، وذلك من خلال تواجد فصائل المجاهدين السنة السبعة فى إقليم بيشاور

الباكستاني المتاخم للحدود مع أفغانستان، في الوقت الذي اتخذت فيه جماعات المجاهدين الشيعة من أراضي إيران مقراً لها، ومن هنا كان التنازع المستمر بين جماعات المجاهدين.

ومع سقوط نظام نجيب الله في كابول. أكد المتحدث الرسمي باسم الخارجية الباكستانية في ٢٠ إبريل ١٩٩٢ أن سياسة بلاده تجاه المشكلة الأفغانية في تطوراتها الحالية، تحكمها ثلاثة عوامل: تجنب العنف وسفك الدماء.. والحفاظ على وحدة أفغانستان. والعمل على تأمين إنتقال السلطة سلمياً من النظام الموجود في كابول إلى مجلس يتمتع بتأييد جماعات المجاهدين الأفغان السبعة.

وقد اجتمع رئيس الوزراء الباكستاني نواز شريف في إقليم بيشاور الباكستاني مع جماعات المجاهدين الأفغان لبحث مستقبل الوضع في أفغانستان بعد انهيار نظام نجيب الله، كما اجتمع الدكتور بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة في ٢٢ إبريل ١٩٩٢ مع رئيس الوزراء الباكستاني نواز شريف، والرئيس الباكستاني غلام إسحاق خان خلال زيارته لعدد من دول المنطقة حيث بحث معهما مستقبل الوضع في أفغانستان، والدور الذي يمكن أن تقوم به باكستان في هذا الصدد، ووضع الأمين العام للأمم المتحدة آمالاً كبيرة على الدور الباكستاني فيما يتعلق بالأزمة الأفغانية، وعين مبعوثاً شخصياً جديداً لأفغانستان يدعى بينون سيفان. سوف يبحث مع قادة المجاهدين والمسئولين الباكستانيين مستقبل الأمم المتحدة لتسوية القضية الأفغانية في ضوء التطورات الأخيرة على الساحة الأفغانية.

وفي المقابل أعلنت الهند أنها ستلتزم بأي قرار يصدر عن الأمم المتحدة بشأن الوضع في أفغانستان، وأن الأمم المتحدة هي المسئولة عن إيجاد حل للأزمة الأفغانية، في ضوء خطة المبعوث الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة، وعلى غرار الدور الباكستاني تلعب إيران على صعيد القضية الأفغانية، وذلك بسبب العامل الجغرافي من جهة، وكونها تضم حوالي ٢ مليون لاجئ أفغاني على أراضيها منذ اندلاع الحرب من ناحية أخرى. ومن جهة ثالثة تضم إيران جماعات المجاهدين الشيعة وتحاول الاحتفاظ بدور هام لها في أفغانستان، عن طريق تأييد فصائل المجاهدين الشيعة المقيمين على أراضيها، وبحيث يكون لهم نصيب واضح في ترتيبات الحكم المستقبلية في أفغانستان بعد انهيار النظام الشيوعي

وقد بحث الأمين العام للأمم المتحدة خلال زيارته الأخيرة لدول المنطقة مع الرئيس الإيرانى هاشمى رفسنجانى ووزير خارجيته على أكبر ولاياتى مستقبل الوضع فى أفغانستان، وأكد على الدور الهام والمحورى الذى يمكن لإيران أن تلعبه فى تحقيق أية تسوية قادمة للأزمة الأفغانية، وساندت الولايات المتحدة بقوة إيجاد تسوية للوضع فى أفغانستان على أساس قرار مجلس الأمن الذى دعا كافة الفصائل المتناحرة فى أفغانستان لوقف القتال والمساعدة فى تنفيذ خطة الأمم المتحدة لإيجاد حل سلمى للأزمة، ووقف المتحدث باسم الخارجية الأمريكية يعلن أن بلاده ترى أن الحل السلمى، الذى يقره قرار مجلس الأمن، يعتبر بمثابة الفرصة الوحيدة السانحة حالياً لتجنب أفغانستان الوقوع فى حالة من الفوضى، وأشار المتحدث إلى ما يمكن أن تساهم به بعض الدول المجاورة فى هذا الصدد، وهو ما يمثل إشارة واضحة للدور الذى تلعبه كل من باكستان وإيران على صعيد إيجاد حل سلمى للأزمة الأفغانية.

وإن كانت الإدارة الأمريكية عن طريق رجال الـ«سى. أى. إيه» يعملون فى الخفاء على السيطرة الكاملة على أفغانستان عن طريق رجالها، حكمتيار وأنصاره وبعض قيادات العرب الأفغان. سواء من الذين عملوا على الساحة الأفغانية، أم هؤلاء الذين أصبحوا قيادات دينية فى دول الخليج.

وعلى نمط الولايات المتحدة جاء دور المجموعة الأوروبية، التى حرصت على انتقال السلطة بشكل سلمى، وبسرعة لتأمين وحدة أفغانستان وتكاملها الأقليمى، وأكدت الجماعة تأييدها لجهود مبعوث الأمم المتحدة بينون سيفان الرامية للتوصل إلى حل سلمى للأزمة، وطالبت كافة الأطراف الأفغانية بالامتناع عن أعمال العنف، وأكدت الجماعات أن خطة الأمم المتحدة لتسوية الأزمة الأفغانية، والتى تدعو إلى فترة انتقالية، تؤدى فى نهاية الأمر إلى تشكيل حكومة مؤقتة، ثم إجراء انتخابات عامة تمثل أفضل الحلول المطروحة لتسوية الأزمة.

كانت الأمم المتحدة قد وضعت خطة لتحقيق تسوية سلمية للأزمة الأفغانية، تتمثل فى العمل على تشكيل مجلس انتقالى يتولى السلطة فى البلاد، من الرئيس الأفغانى الأسبق نجيب الله، على أن يتم خلال الفترة الانتقالية الاتفاق على إجراءات قيام إنتخابات فى البلاد، وإختيار حكومة تتولى السلطة فى البلاد، تشارك فيها كافة القوى السياسية، سواء

من المجاهدين أو أية قوى أخرى، وهو ما كان يرفضه المجاهدون، والذين أصروا على تشكيل حكومة خالصة من المجاهدين، إلا أنه انهار نظام نجيب الله قبل البدء في مناقشة كيفية تنفيذ خطة الأمم المتحدة.

ورحبت منظمة المؤتمر الإسلامي بتنحي الرئيس الأفغاني نجيب الله عن السلطة وقالت: أن ذلك يفتح الطريق أمام عودة السلام إلى ربوع أفغانستان، وحثت المنظمة في بيانها قادة المجاهدين الأفغان على توحيد صفوفهم والمساعدة على تعزيز السلام والوئام بين أفراد الشعب الأفغاني.

وأعلنت مصر اعترافها بالحكومة الأفغانية الجديدة، وذلك في ٢٩ إبريل ١٩٩٢ وأعادت العلاقات الدبلوماسية مع جمهورية أفغانستان، كما وجه فضيلة شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق في ٤ مايو ١٩٩٢ نداءً إلى جماعات المجاهدين الأفغان ناشدهم فيه أن يتحدوا لمواجهة تحديات ما بعد النصر الكبير الذى تحقق لهم، وحذرهم من استمرار الفرقة بينهم، وطالبهم بتوجيه جهودهم لإعادة تعمير بلادهم وبنائها، كما طالب الدول الإسلامية بالاعتراف بالحكومة الشرعية في أفغانستان.

ولكن للأسف الشديد لم يفلح نداء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وتوالى التآمر وتوالت الفرقة.

وانصاع المجاهدون إلى ما يردده الإعلام الأمريكي من أن هناك تخوفاً من قيام حكم إسلامي أصولي متشدد في أفغانستان، وأن الصراع القائم داخل أفغانستان أمر وارد تحت ضغط عوامل معقدة من المصالح والانتماءات المتعارضة، وربما لا تستطيع أفغانستان أن تتوائم مع النظام العالمي الجديد.

إذن لقد حارب المجاهدون الأفغان، والمجاهدون العرب الأفغان من أجل تحرير أرض إسلامية من دنس عدو كافر. واليوم وبعد أن رحل العدو.. وأصبحت أرض الإسلام حرة.. أين الحقيقة الغائبة؟ لماذا نتقاتل ولماذا يتحول كل مجاهد منا إلى مجرد إلى آلة حرب بدون وعي؟ لماذا نحارب أنفسنا ونوجه المدافع لصدورنا المسلمة؟ كل هذا سألته لنفسي وأنا أبحث عن الحقيقة فكان لابد من البحث عن أسامة القائد الذى أحببته كثيراً لأنه مجاهد ولأنه كان يحارب الكفر.. واليوم اختفى هل ذهب بعيداً عن أرض الجهاد لأنه لم

يعد مجاهداً.. أم يعيد ترتيب البيت من جديد؟ إذن لابد وأن تكون المحطة القادمة هى فلسطين؟

وهل فلسطين جاهزة للقتال؟

وهل يمكن لعدة مئات، بل الاف قليلة أن تواجه جيشا نظاميا فى إسرائيل؟

إذن هو يبحث عن حل؟ وأين الحل؟

إن الحل الوحيد أن يعود كل مجاهد.

حاملاً أسئلته وأسلحته إلى بلده يحقق.

فيها ما تحقق فى أفغانستان.. وهل.

كان ذلك حلاً فى سبيل الله ؟؟.

* * *

(ب)

النظام السياسى السعودى موقف ونتيجة

كل من أدلى بدلوه هنا قال لى: لا أعرفه.. وليس صحيحاً ما يذاع عنا..
بل أن الأمريكان أو الشيطان هم الذين قالوا عنا: إننا إرهابيون،
وعادت الرحلة إلى نقطة البداية!!!

الطريق إلى جنوب مصر.. ليس وعراً.. إنها أجمل بلاد.. النيل الخالد يروى تراب هذه البلدة كما يروى بلادنا.. فنحن نشرب من نبع واحد ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن يرفع الاخ فى وجه أخيه مدفعاً أو بندقية.. أو حتى صاروخاً.. كانت الرحلة سهلة جداً.. فالذى يتجه إلى جنوب الوادى لا يشعر بالسفر ولو كنت راكباً أى وسيلة انتقال فلن يغيب عنك نهر النيل العظيم.

كان الهدف من الزيارة أن ألقى الرجل الذى ذاع صيته، وأصبح خبراً رئيسياً فى صفحات الجرائد العربية فى الدول التى تعانى من الإرهاب والقتل، أو الدول التى تدعم الجماعات الإسلامية. فهو من جانب ـ كما تقول اعترافات المقبوض عليهم فى عمليات ومحاولات اغتيال السياسيين وضباط الشرطة فى مصر: إنه إلى جانب آخرين يدعمون بالأموال والأسلحة هذه العمليات، وهو من الجانب الآخر رجل أعمال سعودى له شأنه المتميز ورجل خير.. وداعية إسلامى مع أقرانه السعوديين والكويتيين والخليجيين بوجه عام.

وبدأ تحرك سياسى فى كل من مصر والجزائر وتونس والأردن تطالب بوقف هذا الدعم المادى الذى يهدم ولا يبنى، يفرق ولا يجمع، يقلب النفوس ويذكى الصراع بين الناس.

وتناقلت الصحف أنباء عن رفض القائد بن لادن لكل النصائح التى أسديت له للعدول عن هذا الدعم وفض معسكرات العرب الأفغان التى تقام حديثاً فى اليمن والخرطوم.

وبدأت عمليات ربط واسعة بين خلافات أسامة بن لادن وبين أنظمة بلاده السياسية، وأن أسامة يرفض كل محاولات الإصلاح فى المملكة السعودية. رغم أن بعض المسئولين السعوديين كانوا يشاركونه عمليات الإعداد للمجاهدين العرب الأفغان، التى كانت تتم فى معسكرات الأنصار فى جده.

وبعد مرور أقل من عام على خروج بن لادن من أفغانستان، وظهور بوادر الخلاف بينه وبين النظام السياسى فى المملكة العربية السعودية، ظهر بن لادن فى الأردن، وخاصة فى أعقاب الاتفاق المصرى الباكستانى بترحيل العرب الأفغان إلى مصر. حيث أصبح مطلوباً عدد كبير منهم على ذمة قضايا الاغتيالات، ومحاولات الاغتيال لعدد من السياسيين ورجال الأمن المصرى.. كما أن بعض الذين اتهموا فى الأردن بتفجير دور السينما، وبعض عمليات القتل الأخرى أكدوا فى اعترافاتهم ـ طبقاً لما نشر فى الصحف

المصرية والأردنية فى ذلك الوقت ـ أن أسامة بن لادن وراء تمويل عدد كبير من هذه العمليات.

ولكن الإحساس الذى كان يراودنى دائماً: أنه ليس هناك اتهامات مؤكدة لأن معظم الذين كان يقبض عليهم.. كانوا يسندون اتهامات التمويل غير الموثقة للجماعات الخيرية الإسلامية فى دول الخليج، ومن أموال الزكاة، ومن أسامة بن لادن. باعتباره أهم رجال الأعمال السعوديين الذين كان لهم مشوار طويل مع المجاهدين فى أفغانستان.

وجاء نتيجة الاتفاق المصرى الباكستانى وبعد مرور عام واحد فقط على تسلم المجاهدين الأفغان مقاليد السلطة أن تم ترحيل ٢٣٠ من العرب الأفغان بعد أن اعتقلت أعداد كبيرة منهم اختار بعضهم السفر إلى بلادهم.

بينما فضل الآخرون السفر إلى الخرطوم باعتبار أن بن لادن يعيش هناك فى مأمن وبين رجال آخرين لا يقلون شأناً عنه.

وقالت الصحف فى مصر والأردن والجزائر فى مقالات شبه يومية: إن رجل الأعمال السعودى أسامة بن لادن هو الذى تكفل بتكاليف ترحيل العرب الأفغان، وأنه يقيم معسكرات تدريب خاصة للعائدين من أفغانستان حتى يجدد ذاكرتهم القتالية.

هناك فى الخرطوم.. كان اللقاء.. شاب له ملامح الأصالة العربية... على وجهة لحية يغطى بعضها الشيب فهو شاب.. شاب فى طاعة الله... عليه علامات التفاؤل. لا يمكن وصفه بالمتشائم أبداً.. هو ذلك الوزير الخاص بشئون الرئاسة السودانية الدكتور غازى صلاح الدين.. قلت للرجل:

أبحث عن معسكرات الإرهاب فى الخرطوم.

قال:

وهل وجدتها؟

قلت:

لم أخرج خارج الخرطوم لأعرف ما إذا كانت موجودة أم لا.

وخرجت فى صحبة آخرين فى جولة خارج الخرطوم وأم درمان حتى واد مدنى والولاية الوسطى، وكانت المنطقة تغطيها زراعات القطن والقمح الذى كانت تجرب زراعته لأول مرة على نطاق واسع.

وسألت عن الشاب السعودى بن لادن، ولم أجده وسألت ما إذا كان أحد يعرفه أم لا..

كانت الإجابة: لا.

وسألت عن بيته

وكانت الإجابة: لا.

وسألت عن رجاله

وكانت الإجابة: لا.

وسألت عن مسجده الذى يصلى فيه الجمعة؟

وكانت الإجابة: لا.

وسألت عن رجاله المسلمين

وكانت الإجابة: لا.

كان كل سؤال له إجابة واحدة.. لا نعرف عمن تتحدث!!؟!

عدت إلى القاهرة ولم أتمكن من مقابلة أسامة بن لادن الشاب السعودى الذى سيظل محيراً للتاريخ. هل كان مجاهداً أم كان إرهابياً.. وإذا كان مجاهداً فكان ذلك من أجل إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى أما إذا كان إرهابياً لمصلحة من؟!

إن الإجابة على هذا السؤال يعرفها هؤلاء الذين تخصصوا فى شئون الشرق الأوسط والعالم الإسلامى بالجهاز الأمريكى الذى يحكم العالم الآن وهو الـ «سى. أى. أيه».

وعادت الصحف من جديد إلى تناقل أنباء أسامة بن لادن مستعرضة أنباء الخلافات بينه وبين النظام السياسى السعودى.. ولم يقتصر الأمر على الصحف العربية فقط، بل خرجت صحف أوروبا ومن بينها انجليزية وفرنسية تقول: إن بن لادن جهز ما لا يقل عن ١٩٠٠ عربى أفغانى تم تجميعهم من جديد فى منطقة قريبة من أم درمان وقالت مجلة

«لوبون» الفرنسية: إن بن لادن وضع كافة إمكانياته لخدمة هؤلاء لاستخدامهم فى مشروعاته الخاصة.

وشجع ذلك قيادات اليمن فى الجنوب فى ذلك الوقت أن تطالب الإنتربول الدولى بتسليم أسامة بن لادن لتورطه فى عدد من قضايا الاغتيالات قبيل أحداث اليمن، وقيام الحرب الأهلية التى شهدتها اليمن مع بداية الربع الثانى من العام الحالى ١٩٩٤ والتى انتهت بهروب قيادات الجنوب اليمنى على سالم البيض ورجاله إلى دول عربية مجاورة، هى السعودية وسلطنة عمان والإمارات، واستيلاء على عبد الله صالح القائد الشمالى على كل من.. عدن والمكلا وحضرموت وباقى أجزاء اليمن الجنوبى.

كل هذا كانت الخرطوم لا تؤكد وجود أسامة بن لادن فى أراضيها. إلى أن أطلق النار على مسجد فى أم درمان يسمى «مسجد أنصار السنة».

أعقب ذلك مباشرة وفى اليوم التالى إطلاق النار على منزل أسامة بن لادن على أيدى ثلاثة من الإرهابيين.

أجرت السلطات السودانية تحقيقاً واسعاً حول الحادث، وأثبتت التحقيقات أن المسجد كان ضمن ثلاثة أهداف للإرهابيين. وهى المسجد، ومنزل بن لادن ومنزل زعيم الإنقاذ رئيس حزب الجبهة الإسلامى الدكتور حسن الترابى، إلا أن الهجوم على الأخير لم يتم بسبب القبض على الإرهابيين. كما قالت السلطات السودانية. لكن المجلات والصحف المصرية والجزائرية والأردنية أفردت حكاية أخرى نسرد منها ما يأتى:

فقالت روزاليوسف (العدد ٣٤٢٩): فى الساعات الأولى من هذه الحوادث شاع وروجت السلطات السودانية، أن الصدفة وحدها هى سبب إطلاق الرصاص، على منزل بن لادن لأن مجموعة قتلة المصلين، كانت تختبئ على مقربة من منزله.

لكن الرصاص، اندفع بهستيرية، وغل داخل حديقة منزل بن لادن وليس خارجه، أو على جدرانه. ومجموعة الهجوم دخلت إلى المنزل الذى هو قلعة حقيقية لا يدخلها إلا التابعون والأنصار الملتحون.

من هاجموا منزل بن لادن يعرفونه جيداً. وقد اعتادوا على دخوله مرات ومرات،

ويعرفون كذلك أن بن لادن يجتمع فى هذا التوقيت من عصر كل يوم بكل الملتحين التابعين له فى لقاء دورى، يعقد بحديقة منزله، لقد حضروا من هذه اللقاءات الكثير، لكنهم أرادوا قتل بن لادن - عصر هذا السبت - ولم يأتوا إلى منزله صدفة، إنما كانت الصدفة هى التى أنقذت بن لادن من القتل.

والحكاية أن الهجوم على مسجد جماعة أنصار السنة تم باتفاق بين المجموعة المنفذة، وأسامة بن لادن، وأطراف قوية فى جماعة الترابى، صاحبة السلطة بالخرطوم.

لقد كان الهدف من الهجوم على المسجد. قتل إمامه الشيخ أبو زيد الرجل الثانى فى حركة أنصار السنة. إن لسان، هذا الرجل حاد جداً، على الحكومة السعودية، كما أن له ارتباطات وثيقة هو وجماعته بالسعودية، والحركة الوهابية.

وهذا بالضبط الذى جمع مصالح الجميع أسامة بن لادن، وأطراف جماعة الترابى، ومجموعة الهجوم، وكان مقرراً أن تتم العملية، على هذا النحو، وتعود مجموعة الهجوم، لتختبئ فى منزل بن لادن بدون أن يعرف أحد، وهو ما حدث فعلاً، فبعد الهجوم على المسجد هرب الإرهابيون إلى منزل بن لادن، وظلوا بداخله مساء جمعة الحادث، وحتى صباح السبت التالى له، لكن كان هناك داع لخروجهم من المنزل والاختفاء فى مكان آخر قريب من بيت بن لادن.

إن الشيخ أبو زيد لم يقتل، لم تخطئه رصاصات القتلة، إنما لم يأت أصلاً للمسجد فى هذه الجمعة، على غير عادته، بل إنه غير من تحركاته المعتادة فى هذا اليوم، ويبدو أن هناك من أبلغه بشىء ما يدبر ضده، فلم تجد مجموعة الإرهاب سوى قتل المصلين عشوائياً، وبالجملة، وأدى ذلك إلى ردود فعل قوية لم تكن فى حسبان أسامة، ولا أطراف جماعة الترابى، لكن صار هناك يد فى طمس أى دليل، يمكن من خلاله الربط بين أسامة بن لادن وقتلة المصلين، فتم اختيار مكان جديد لاختباء المجموعة الأخيرة، اقترحه بن لادن، وتمت الموافقة عليه.

إلى هنا ظلت الأمور عادية، لكنها لم تعد كذلك بعد أن سمع الإرهابيون أسماءهم تذاع بواسطة التليفزيون السودانى.

لقد تعرف أحد المواطنين على الإرهابيين، إذ كان يسكن بجوارهم فى مدينة أم درمان، قبل تنفيذ الحادث، ووقعت هذه المعلومات فى يد ضباط أمن محترفين، وأصبح ضرورياً أن يذيع التليفزيون أسماء الإرهابيين، لإحتواء مشاعر المواطنين، الذين لم يعرفوا من قبل مثل هذه البشاعة.

إذاعة الأسماء واختيار مكان اختباء جديد غير بيت بن لادن، جعل مجموعة قتلة المصلين. تعتقد بأن بن لادن خانهم. وأنه قرر التضحية بهم، فانطلقوا لقتله. لكنه نجا، وقتل منهم اثنان وأصيب ثالث، وهرب رابع إلى أحد المنازل، حيث هاجمته قوة من صاعقة الجيش السودانى وقبضت عليه.

وهناك شكوك فى أن هذا الشخص الرابع من أصول سعودية. وأنه ربما شارك فى قتل زملائه.

لقد تم اقتياده إلى مبنى الداخلية السودانية، وهناك جرت مواجهة بينه وبين عبد الرحيم حسين وزير الداخلية، القيادى بجماعة الترابى، وكشفت المواجهة عن علاقة غامضة بينهما، فعندما بدأ وزير الداخلية فى استجوابه، رد عليه بقوله، «خلاص، لم تعد تعرفنا، يا عبد الرحيم».

وبعد ذلك أضطر الوزير لاقتياده إلى مكتبه، وأجرى معه التحقيق بشخصه، ولم يسمح الوزير بحضور أحد، حتى مدير الشرطة.

وتذكر تقارير بعض جهات الأمن السودانى، أن مجموعة الإرهابيين، كانت معروفة من قبل وسبق التحذير منها، وطلب إبعادها من السودان، وأن هذه المجموعة نفسها شوهدت بصحبة وزير الداخلية، فى حفل زفاف.

ولم يتم الأخذ بهذه التقارير لأن هذه المجموعة لها حماية خاصة.

إنها واحدة من مجموعات أخرى كثيرة تتوزع على أكثر من ٤٠ منزلاً سرياً بالعاصمة السودانية، إنما أشهرها قلعة بن لادن، التى تسمى منزلاً.

تقع قلعة بن لادن، فى شارع الرياض الجديد المعروف بشارع المشتل، داخل المربع رقم ١٠ وفى نهاية الشارع يبدأ شارع الستينى، حيث منزل الترابى شخصياً.

ومساحة منزل بن لادن كبيرة، وهو من دورين، وبه استراحة كبيرة وحديقة ممتدة. لقد بنى أسامة بن لادن هذا المنزل، أواخر حكم الرئيس السوداني السابق جعفر نميرى. وقتها كان يزور السودان كمستثمر، ويزيد فى علاقاته مع جماعة الترابى، وبعد خروجه من أفغانستان، استقر أسامة بهذا المنزل، لكنه لا يسكن وحده، فهناك نحو ٥٠٠ شخص يمثلون حرساً شخصياً له، وهم من جنسيات مختلفة، توانسة، جزائريين، مغاربة، ويمنيين، ومصريين، لكن أغلب هذه الفرقة من الأفغان السعوديين، الذين كانوا مع بن لادن فى أفغانستان، ولم يعودوا إلى السعودية، إن الجميع فى هذه القلعة يستخدم أسماء كودية.

وكل المنطقة المحيطة بمسكن بن لادن، استكمال للقلعة المحصنة، حيث توجد مقرات أغلب المنظمات والحركات الدينية الأجنبية المقيمة بالخرطوم، بكامل سلاحها.

إن بن لادن لا يعمل بمفرده، علاقاته وثيقة بوزير الداخلية السودانية، ومتينة بقيادات الأمن، ومنهم بكرى حسن صالح ونافع على نافع، وتمتد هذه العلاقات إلى داخل الجيش، وهى أصيلة وقديمة مع الدكتور الترابى، ونائبه الشيخ على عثمان طه.

إن أسامة بن لادن ومجموعته وقلعته وشركاته وعلاقاته داخل الدولة يدخل ضمن خطط تأمين العاصمة السودانية ويتواجد رجال بن لادن، تحت غطاء شركاته ومؤسساته الاستثمارية.

بخلاف ذلك يملك بن لادن شركتين: هما الهجرة ووادى العقيق، تعمل بهما مجموعات الأفغان العرب، وأسندت لهما الحكومة السودانية مشروعات زراعية وأخرى لإنشاء الطرق

فى غابة خوركليكيس جنوب شرق مدينة ربك السودانية، تم اكتشاف معسكر لإيواء العائدين من أفغانستان، تديره شركة وادى العقيق، تحت ستار مشروع زراعى للتوسع فى زراعة أشجار الكافور.

وكانت شركة وادى العقيق قد اضطرت أواخر عام ١٩٩٣ إلى تبديل اللافتة الموضوعة أمام مقرها الرئيسى، بشارع الملك نمر بالخرطوم بلافتة جديدة تحمل اسم شركة طابا للاستثمار المحدودة، وصدرت تعليمات بتخفيف زيارة الملتحين الأجانب لمبنى رئاسة الشركة، لعدم لفت انتباه المارة بعد أن ذاع الخبر.

وعندما تولى بن لادن بناء مطار بور سودان تم إنشاء معسكر هناك أيضاً، بالإضافة إلى معسكر «الأحنية» جنوب كردفان، ومعسكر آخر يتردد اسمه بقوة الآن فى منطقة «حوش بانقا».

إن بن لادن موجود بقوة فى السودان. حتى أن نشاطاته تمتد من شراء البترول للحكومة السودانية، وحتى بيع الخضار الذى تنتجه شركاته بواسطة نساء وأفراد من مجموعات الأفغان العرب، تتم مشاهدتهم حالياً فى سوق منطقة الرياض.

إن محاولة قتل بن لادن جعلت السلطات السودانية تفرض عليه حماية جديدة. لقد نقلت مقر إقامته من حى الرياض، إلى منطقة كوبر وسط حراسة مشددة تحت إشراف الأمن السودانى، وحيث تقف على باب قلعته الجديدة عربة مدرعة.

ملأت الأرض أنباء محاولة اغتيال أسامة بن لادن باعتباره قائد المجاهدين العرب الأفغان.. ولكن لم تعد لتلك التسمية أية قيمة حتى هذا التاريخ. فقد انفصلت المجموعة العربية الأفغانية المجاهدة عن الكبسولة الأم «المجاهدون الأفغان» سواء كان ذلك بإرادتهم أو غير إرادتهم.

وجددت الدول العربية، مصر، والجزائر، والأردن واليمن. من وضع نهاية للدعم المادى للجماعات الإسلامية فيها.. غير أن المسئولين السعوديين كانوا يعيدون كل شىء إلى صناديق الزكاة.. وكانت الإجابة الوحيدة أن أموال الزكاة لا يمكن السيطرة عليها، ولكن التبرعات يمكن أن تتم من خلال قواعد جديدة بحيث يعرف اتجاهاتها وطرق الاستفادة منها.

وطلبت الحكومة السعودية من بن لادن إصدار بيان يبرىء ساحته من التهم المنسوبة إليه، وهى دعم الإرهاب وعمليات القتل للأبرياء فى الدول العربية.. لكن بن لادن لم يصدر مثل هذا البيان، وبدأت سلسلة من الخلافات بين أسامة بن لادن وحكومة المملكة العربية السعودية، كان آخرها أن رفض أسامة بن لادن إجراءات الملك فهد بن عبد العزيز المتعلقة بحقوق الإنسان السعودى، والمشاركة السياسية والنظام الأساسى للحكم، ونظام مجلس الشورى ونظام المناطق بالمملكة.

ووجه الملك فهد بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين خطاباً مطولاً للأمة السعودية قال فيه: إن الله إذا أراد أن بقوم خيراً هداهم إلى التى هى أقوم.. ونعم الله

علينا كثيرة لا تحصى، ولا شك أن أعظم هذه النعم على الإطلاق هى نعمة الإسلام.. فهو الدين الذى إن تمسكنا به لن نضل أبداً، بل نهتدى ونسعد كما أخبرنا الله تعالى وكما أخبر رسوله عليه الصلاة والسلام.

وحقائق التاريخ والواقع خير شاهد على ذلك.

فقد سعد المسلمون بشريعة الإسلام حين حكموها، فى حياتهم وشئونهم جميعاً.

وفى التاريخ الحديث قامت الدولة السعودية الأولى منذ أكثر من قرنين ونصف على الإسلام، حينما تعاهد على ذلك رجلان صالحان ومصلحان وهما: الإمام محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبد الوهاب يرحمهما الله.

قامت هذه الدولة على منهاج واضح فى السياسة والحكم والدعوة والاجتماع، وهذا المنهاج هو الإسلام، وبقيام هذه الدولة الصالحة سعد الناس فى هذه البلاد حيث توفر لهم الأمن الوطيد واجتماع الكلمة فعاشوا أخوة متحابين متعاونين بعد طول خوف وفرقة.

ولئن كانت العقيدة والشريعة هى الأصول الكلية التى نهضت عليهما هذه الدولة. فإن تطبيق هذه الأصول تمثل فى التزام المنهج الإسلامى الصحيح فى العقيدة والفقه والدعوة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفى القضاء، وفى العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

وبذلك كانت الدولة السعودية نموذجاً متميزاً فى السياسة والحكم فى التاريخ السياسى الحديث.

ولقد استمر الأخذ بهذا المنهاج فى المراحل التالية جميعاً. حيث ثبت الحكام المتعاقبون على شريعة الإسلام، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ويستند هذا الثبات المستمر على منهج الإسلام إلى ثلاث حقائق هى:

* **حقيقة**.. أن أساس المنهج الإسلامى ثابت لا يخضع للتغيير والتبديل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

* **وحقيقة**... وجوب الثبات على المنهج ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ١٨).

* وحقيقة.. وفاء حكام هذه الدولة لإسلامهم فى شتى الظروف والأحوال.

واستمر الوفاء للإسلام عقيدة وشريعة، فى عهد الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ حيث بنى المملكة العربية السعودية ووحدها على ذات المنهج، على الرغم من أنه واجه ظروفاً تاريخية صعبة، وعلى الرغم من الصعوبات التى واجهته فى أثناء توحيد البلاد.

فقد حرص الملك عبد العزيز على إنفاذ منهج الإسلام فى الحكم والمجتمع مهما كانت الصعوبات والتحديات.

ويتلخص هذا المنهج فى إقامة المملكة العربية السعودية على الركائز التالية:

أولاً: عقيدة التوحيد التى تجعل الناس يخلصون العبادة لله وحده لا شريك له ويعيشون أعزة ومكرمين.

ثانياً: شريعة الإسلام التى تحفظ الحقوق والدماء، وتنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتضبط التعامل بين أفراد المجتمع، وتصون الأمن العام.

ثالثاً: حمل الدعوة الإسلامية ونشرها حيث أن الدعوة إلى الله من أعظم وظائف الدولة الإسلامية وأهمها.

رابعاً: إيجاد «بيئة عامة» صحية صالحة مجردة من المنكرات والانحرافات. تعين الناس على الاستقامة والصلاح، وهذه المهمة منوطة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

خامساً: تحقيق الوحدة الإيمانية، التى هى أساس الوحدة السياسية والاجتماعية والجغرافية.

سادساً: الأخذ بأسباب التقدم «النهضة الشاملة» التى تيسر حياة الناس ومعاشهم وترعى هدى الإسلام ومقاييسه.

سابعاً: تحقيق «الشورى» التى أمر الإسلام بها ومدح من يأخذ بها إذ جعلها من صفات المؤمنين.

ثامناً: أن يظل الحرمان الشريفان مطهرين للطائفين والعاكفين والركع السجود كما أرادهما الله، بعيدين عن كل ما يحول دون أداء الحج والعمرة والعبادة على الوجه

الصحيح، وأن تؤدى المملكة هذه المهمة قياماً بحق الله وخدمة الأمة الإسلامية.

تاسعاً: الدفاع عن الدين ومقدسات الوطن والمواطنين والدولة.

هذه هى الأصول الكبرى التى قامت عليها المملكة العربية السعودية. وقد استدعى تطور الحياة الحديثة أن ينبثق عن هذا المنهج أنظمة رئيسية فى عهد الملك عبد العزيز.

ونظراً لتطور الدولة وتكاثر واجباتها فقد أصدر الملك عبد العزيز رحمه الله عام ١٣٧٣هـ أمره بتأسيس مجلس الوزراء، والذى يعمل الآن وفقاً لنظامه الصادر فى عام ١٣٧٣هـ وما طرأ عليه من تعديلات.

لقد استمر العمل بهذا المنهج حتى يومنا هذا بحمد الله وتوفيقه. ولذلك لم تعرف المملكة العربية ما يسمى بـ«الفراغ الدستورى» من حيث النص هو ألا تكون لدى الدولة مبادئ موجهة ولا قواعد ملزمة ولا أصول مرجعية فى مجال التشريع وتنظيم العلاقات.

أن المملكة العربية السعودية لم تشهد هذه الظاهرة فى تاريخها كله. لأنها طوال مسيرتها تحكم بموجب مبادئ موجهة وقواعد ملزمة وأصول واضحة. يرجع إليها الحكام والقضاة والعلماء وسائر العاملين فى الدولة.

وكافة أجهزة الدولة تسير فى الوقت الراهن وفق أنظمة منبثقة من شريعة الإسلام ومضبوطة بضوابطها.

ومن هنا، فإن إصدارها اليوم للأنظمة التالية. النظام الأساسى للحكم، ونظام مجلس الشورى، ونظام المناطق بصيغ جديدة لم يأت من فراغ.

إن هذه الأنظمة الثلاثة إنما هى توثيق لشيء قائم وصياغة لأمر واقع معمول به، وستكون هذه الأنظمة خاضعة للتقويم والتطوير، حسب ما تقتضيه ظروف المملكة ومصالحها.

والأنظمة الثالثة صيغت على هدى من الشريعة الإسلامية معبرة عن تقاليدنا الأصلية وأعرافنا القومية وعاداتنا الحسنة.

وقال الملك فى كلمته.. إن عماد النظام الأساسى ومصدره هو الشريعة الإسلامية. حيث اهتدى هذا النظام بشريعة الإسلام فى تحديد طبيعة الدولة ومقاصدها ومسئولياتها، وتحديد العلاقة بين الحاكم والمحكوم، والتى تقوم على الأخوة والتناصح

والموالاة والتعاون.

أن العلاقة بين المواطنين وولاة أمرهم فى هذه البلاد قامت على أسس راسخة وتقاليد عريقة من الحب والتراحم والعدل والاحترام المتبادل والولاء النابع من قناعات حرة عميقة الجذور فى وجدان أبناء هذه البلاد عبر الأجيال المتعاقبة، فلا فرق بين حاكم ومحكوم. فالكل سواسية أمام شرع الله والكل سواسية فى حب الوطن والحرص على سلامته ووحدته وتقدمه، وولى الأمر له حقوق وعليه واجبات، والعلاقة بين الحاكم والمحكوم أولاً وأخيراً بشرع الله - كما جاء فى كتابه الكريم وسنة نبيه - ﷺ -.

والنظام الأساسى للحكم أستلهم هذه المبادئ وهدف إلى تعميقها فى العلاقة بين الحاكم والمحكوم، مع الالتزام بكل ما جاء به ديننا الحنيف فى هذا الصدد.

أما نظام مجلس الشورى فإنه يقوم على أساس الإسلام بموجب اسمه ومحتواه إستجابة لقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الشورى: ٣٨).

وقوله جل شأنه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

وقد ذكرنا من قبل فى مناسبات كثيرة أن البلاد شهدت قيام مجلس الشورى فى البلاد بصيغ متعددة متنوعة، فقد دأب حكام المملكة على استشارة العلماء وأهل الرأى كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

والنظام الجديد لمجلس الشورى إنما هو تحديث وتطوير لما هو قائم عن طريق تعزيز أطر المجلس ووسائله بمزيد، من الكفاية والتنظيم والحيوية من أجل تحقيق الأهداف المرجوة منه.

إن الكفاءات التى سيضمها هذا المجلس ستختار بعناية.. بحيث تكون قادرة على الإسهام فى تطور المملكة العربية السعودية ونهضتها وتضع فى اعتبارها المصلحة العامة للوطن والمواطنين.

ولئن كل مجلس الشورى سينهض «بعون الله» بالشورى العامة على مستوى الدولة، فإنه لا ينبغي أن نغفل عن الشورى السائدة الآن في أجهزة الدولة من خلال المجالس واللجان المتخصصة. بل ينبغي على هذه الأطر أن تنشط حتى يتكامل عملها مع مجلس الشورى العام.

ولقد شهدت البلاد في الحقبة الأخيرة تطورات هائلة في مختلف المجالات. وقد اقتضى هذا التطور تحديثاً في النظام الإدارى العام للبلاد، وتلبية لهذه المصلحة جاء نظام المناطق ليتيح مزيداً من النظام المنظم من خلال وثبة إدارية مناسبة، وليرفع مستوى الحكم الإدارى في مناطق المملكة.

لقد وضعت هذه الأنظمة بعد دراسة دقيقة ومتأنية من قبل نخبة من أهل العلم والرأى والخبرة، وأخذ بعين الاعتبار وضع المملكة على الصعيد الإسلامى وتقاليدها وعاداتها وظروفها الاجتماعية والثقافية والحضارية، ومن ثم فقد جاءت هذه الأنظمة نابعة من واقعنا مراعية تقاليدنا وعاداتنا، وملتزمة بديننا الحنيف.

إننا لواثقون من أن هذه الأنظمة ستكون بحول الله عوناً للدولة في تحقيق كل ما يهم المواطن السعودى من خير وتقدم لوطنه وأمته العربية والإسلامية.

إن المواطن السعودى هو الركيزة الأساسية لنهضة وطنه وتنميته، ولن ندخر وسعاً فيما يحقق له السعادة والطمأنينة.

وإن العالم الذى يتابع تطور البلاد وتقدمها لينظر بتقدير بالغ لما تسير عليه من سياسة داخلية على أمن المواطن واستقراره، وسياسة خارجية متزنة تحرص على إقامة العلاقات مع الدول والإسهام فيما يثبت دعائم السلام في هذا العالم.

إن المملكة العربية السعودية هي موئل مقدسات المسلمين. ومكان حجهم وعمرتهم وزيارتهم، ولها مكانة خاصة في نفوس كل المسلمين وقد أكرم الله هذه الدولة بخدمة الحرمين الشريفين، وتيسير سبل الحج والعمرة، وزيارة مسجد رسول الله ﷺ.

لقد بذلنا كل ما نستطيع في سبيل توسعة الحرمين الشريفين، وتطوير المشاعر المقدسة وقدمت الدولة ما في وسعها من خدمات لقاصدى الأماكن المقدسة.

وإذ نحمد الله على ذلك نسأله المزيد من فضله ومتابعة خدمة هذه الأماكن وخدمة المسلمين، والتعاون معهم في كل مكان.

لقد التزمت المملكة العربية السعودية في مختلف مراحلها منهج الإسلام حكماً وقضاءً، ودعوة وتعليماً، أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وأداء لشعائر الله.

التزم الولاة بذلك والتزمه المسئولون في الدولة، والتزمه الشعب في تعامله وحياته. فالإسلام هو منهج الحياة ولا تفريط فيما جاء في كتاب الله، وثبت عن رسوله أو أجمع عليه المسلمون.

إن دستورنا في المملكة العربية السعودية هو كتاب الله الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسنة رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

ما اختلفنا فيه من شيء رددناه إليهما، وهما الحاكمان على كل ما تصدره الدولة من أنظمة.

وقد كان الحكام والعلماء في المملكة العربية السعودية ولا يزالون متآزرين متعاونين. وكان الشعب ولا يزال ملتفاً حول قيادته، متعاوناً معها، مطيعاً لها بموجب البيعة الشرعية التي تتم بين الحاكم والمحكوم.

والحاكم يقوم بالتزاماته تجاه الشريعة، وإقامة العدل بين الناس، وإعطاء كل ذي حق حقه.

وبذلك سعد المجتمع بالأمن والاستقرار ورغد العيش.

إن المملكة في حاضرها كما في ماضيها ملتزمة بذلك حريصة عليه أشد الحرص. أننا ثابتون بحول الله وقوته على الإسلام نتواصى بذلك جيلاً بعد جيل وحاكماً بعد حاكم لا يضرنا من خالفنا حتى يأتي وعد الله. وإننا لا نغلق باباً دون المنجزات الحضارية الدافعة لكي نستفيد منها بما لا يؤثر على ثوابتنا وهويتنا.. إن المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية يهمها ما يهم العرب والمسلمين وتحرص على تضامنهم وجمع كلمتهم، وتسهم بكل طاقتها فيما يعود عليهم بالخير.

وقد أثبتت الأحداث والوقائع صدق مواقفها ووفائها بالتزاماتها تجاه أمتها العربية

والإسلامية والتزاماتها الدولية الأخرى.

وقال الملك: سنمضى بعون الله على منهجنا الإسلامي متعاونين مع كل من يريد الخير للإسلام والمسلمين، حريصين على التمكين لدين الإسلام ودعوته، وتقدم هذه البلاد وسعادة شعبها. سائلين الله تعالى لشعبنا وأمتنا العربية والإسلامية كل خير وصلاح وتقدم ورخاء وسعادة «والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات».

ولكن كلام الملك الذى يعبر فيه عن حقوق الإنسان السعودى.. لم يجد أذاناً صاغية. بل إن جماعة أطلقت على نفسها حقوق الإنسان السعودى رفضت ذلك مما أغضب جهاز الحكومة السعودية، وكان من بين الذين أغضبوا الحكومة أسامة بن لادن.. مما دفع سلطات الأمن السعودية إلى طلب تسليم أسامة بن لادن من حكومة السودان. لكن حكومة الخرطوم لم تستجب للطلب السعودى، وكان عدم الاستجابة بداية أزمة بين الرياض والخرطوم.

يهود الخليج

(نحن نعتبر يهود الخليج، وأننا نجادل فى كل شىء).

«محمد صباح السالم صباح سفير الكويت فى أمريكا» ١٩٩٤

فى مثل هذه الأيام من العام الماضى وفى «واشنطن» قام وفد يهودى أمريكى بزيارة سفير «أولاد صباح» فى أمريكا «محمد صباح السالم الصباح» وذلك بمناسبة عيد الفطر لتهنئة «ابن صباح» رداً على الزيارات والمجاملات المتبادلة بينهما.

وضمن كلمات التوريد والزلفى التى تبادلها مع الوفد اليهودى: جاءت العبارة التى تصدرت هذا المقال اعترافاً من «ابن صباح» بأنهم «يهود الخليج».

وقد نقلت وكالة أنباء «الأسوشيتدبرس» تصريح الكويتي ونشرت نقلاً عنها جريدة السفير في ١٢ أبريل نيسان ١٩٩٤. وفي الكويت يتولى إدارة البلاد السفير الأمريكي الجديد «إدوارد غنيم» وهو من أصل لبناني، وله بعض الملاحظات على سلوك الكويتيين مما يعكس رؤيته لمستقبل عائلة الصباح ملكاً ومملكة وكما سجلها الأستاذ «رياض نجيب الريس» في كتابه «رياح السموم» وفيه يقول «إدوارد غنيم» سفير أمريكا في الكويت:

«نحن مستعدون للدفاع عن الكويت معكم وليس عنكم»

وبصرف النظر عن مصداقية السفير الأمريكي من عدمها. فإن السفير الذي يوجد في الديوانيات الكويتية، ويتدخل في تفاصيل السياسة الداخلية والخارجية لإدارة الكويت، لا يرى في الإمارة إمكانية استمرار أمريكا في الدفاع عن بلد لا يحتاج إليه أحد، ولا توجد به المقومات الوطنية وفق الرؤية التي يتفق فيها «الأمريكان والخليجيين» ومن ذلك والذي أوصله السفير الأمريكي إليهم رسمياً في الدواوين وشعبياً في الديوانيات الكويتية، وكما جاء في كتاب «رياح السموم» ما يلي:

(إن الولايات المتحدة لن تدافع عنهم ـ الكويتيين ـ بثمن مهما كان باهظاً، ومهما كانت مصالحها تستدعي ذلك، ومن دون أن يدافعوا هم عن أنفسهم أولاً: فالعضلات الأمريكية وحدها ليست تحت تصرف من يدفع ثمن استخدامها. ومهما كانت أيضاً الحاجة الأمريكية إلى ذلك الثمن. فالرأي العام الأمريكي يتطلب من حكومته أن يتمتع البلد الذي تدفع بأبنائها للدفاع عنه بما يتجاوز المصلحة المباشرة للولايات المتحدة. بل أن يمتلك من البنية الوطنية، والرغبة في مقاومة المحتل ما يؤهله لطلب الدفاع عن نفسه وهذا ما ليس عند الكويت).

ولعل ذلك يفسر بوضوح ظواهر كويتية غير مسبوقة في القرارات أو التصورات، ومن القرارات على سبيل المثال لا الحصر: «تتمتع القوات الاستعمارية والتحالف الأمريكي الأطلسي» في داخل الكويت بالحصانة الدبلوماسية وهو قرار غير مسبوق في تاريخ المستعمرات أو الحروب أو الإنقلابات أو الهروب.

أما نموذج المثال المشابه للقرارات في التوجهات فهو:

وجه وكيل الخارجية الكويتية «سليمان ماجد الشاهين» دعوة مطالباً بالوحدة الفيدرالية أو الكونفدرالية بين بعض أقطار الخليج. وذلك فى محاضرة ألقاها بالكويت فى أب/ أبريل ١٩٩٤.

وإذا كانت قوات المستعمر تتمتع بالحصانة الدبلوماسية من حكومة لا تملك قرارها... فكيف يتسنى لها أن تعقد وحدة أو اتحاداً فيدرالياً أو كنفدرالياً مع دولة أخرى: ناهيك عن رأى حكومة المستعمر فى سلطة الإمارة فاقدة السيادة والأهلية المؤهلة للمساعدة والإدارة، مع أهمية ذلك، كما جاء على لسان سفير أمريكا أو المندوب السامى فى الكويت وسليمان ماجد الشاهين من العارفين.

إن دول مجلس التعاون الخليجى تنظر إلى سلوك «أولاد صباح» فى إمارة الكويت باعتباره سلوكاً يتوهم «إمتلاك الفيتو» على العلاقة مع العراق، وذلك مثل استدعاء سفيرهم فى «قطر» للتشاور بعد حديث للوزير المعبر اللبق «محمد الصحاف» وزير خارجية العراق فى تليفزيون «الدوحة» أو تحرك نحو «عمان» عقب تصريح لوزير البلاط السلطانى الفريق «على ماجد» بشأن التعاطف مع العراق، أو تذمر «أولاد صباح» من تصريح ولى عهد دبى وزير دفاع الإمارات «الشيخ محمد بن راشد»، المتعاطف مع العراق الرافض للتعنت الأجوف والصلف المرضى الكاذب من أسرة الأمير اللاجىء «ابن صباح» فى مواجهة العراق والحصار، الذى دخل عامه الخامس على قطر وشعب من أهم شعوب وبلدان المنطقة جدارة وحضارة وجسارة.

أيضاً فإن كانت دول مجلس التعاون يضمها اتحاد تتفرد إمارة الكويت فيه بالتصريحات والتصرفات تساهلاً مع الصهاينة وتشدداً مع العراق، فكيف تصل إلى الوحدة الكونفدرالية أو الفيدرالية، وهى التى لم تستطع فهم طبيعة العلاقة وحدودها فيما بينها فى ظل مجلس يضمها وتتفرد الكويت فيه بتصرفات هى موضع اعتراض من أغلب دول المجلس.

أما إذا كان «الشاهين» يتوجه بتوهماته وأوهامه نحو إيجاد طوق نجاة بالحديث عن الفيدرالية أو الكونفدرالية إلى السعودية، فـ«الشاهين» يعلم أن العائلة العالة العلة أولاد (سعود) تضمر الضغينة لعائلة الشر والشرك والإفك أولاد «صباح» ليس فقط قبل ضم

الكويت، ولكن بعد دعوة الإرهابى «بوش» لزيارة الإمارة أو المستعمرة.

وتعرف عائلة الشر «صباح» أن «بندر بن سلطان» سفير عائلة العلة «سعود» فى واشنطن أنه ـ بندر ـ قال عن عائلة الشر «صباح» ما يلى:

(إن عائلة الصباح عائلة تجارة، وليست لهم هوية سياسية محددة، والكويت كلها أقرب إلى أن تكون شركة منها إلى أن تكون دولة).

أيضاً تعرف العائلة العالة العلة «سعود» أن «على الصباح وزير المالية والنفط سابقاً فى إمارة عائلة الشر والشرك والإفك «صباح» قد قال عن أولاد «سعود» ما يلى:

(إن السعودية مثل شركة كبيرة منهارة تجرى فى كل إتجاه محاولة أن تفلت من قوانين الإفلاس).

إذن فليس أمام الوهم الكويتى فرصة لتحقيق الكونفدرالية أو الفيدرالية، ليس فقط لأن أولاد سعود وصباح ضد الوحدة بدليل موقفهما من وحدة اليمن، وإنما لأن أولاد سعود يعتبرون أنهم الأوصياء على مجلس «التقابن» المسمى مجلس التعاون الخليجى، وبالتالى فإن «بندر بن سلطان» فى «واشنطن» هو الأحق بإكمال ما بدأه مع الصهيانة قبل استعادة العراق لإمارة الكويت، وليس «محمد بن صباح» حتى وإن اعترف علناً مفاخراً بأنهم يهود الخليج.

إن أولاد «سعود» يعادون الوحدة على أرض اليمن ليس فقط بإمداد أعدائها بالمال والسلاح، لكن أيضاً بالمماطلة فى عودة «نجران وعسير وجيزان» لليمن كما ينص اتفاق ١٩٣٤، وأولاد «صباح» يقيمون فى مثلث «العوجة» بين السعودية والعراق وإمارة الكويت خطاً بعمق ثلاثة أمتار وطول خمسة أمتار، وبذلك يصل عدد الأمتار إلى عدد أعضاء ما يسمى اتفاق دمشق الثمانية المعطل المعطب.

وإذا كانت بعض حكومات مثلث الحضارة والجدارة والجسارة (القاهرة ـ بغداد ـ دمشق) قد ذهبت إلى «مثلث العوجة» حتى «حفر الباطل» فقد اعترف المندوب السامى الأمريكى «أدوارد غنيم» فى الكويت أن أمريكا لن تبقى هناك إلى الأبد، وأنها لن تدافع عن أناس يفقدون ماهية وأهلية ومقومات المواطنة والوطنية ناهيك عن تقسيم غير مسبوق

بين «جنس» و«متجنس» وبدون».

وإذا كانت بعض أطراف «حفر الباطل» قد خرست وصمت وعميت عما يحدث فى مثلث نجران وعسير وجيزان، وما يحدث فى أحد أضلاع مثلث الحضارة والجدارة والجسارة (العراق) من حصار ـ قد قارب على الإنتهاء ـ فهل كان الوضع سيبقى على ما هو عليه لو أعطت القيادة فى العراق لابن مسئول كبير قرصان حق احتكار توريد أو تهريب الدواء والغذاء إلى بغداد، وباعتبار أن حرفة ابن المسئول الكبير (!!) خرق القيم والقرارات؟!!.

وهل كان الصمم والعمى والخرس سيصيب المسئول الكبير (!!!) فى مسألة «نجران وعسير وجيزان» لو أن الإدارة اليمنية قد أرست مناقصة لمقاولة على القرصان (الابن) فى هذه المنطقة.

ألا يحس نوعاً من تأنيب الضمير وهو الذى أجج الفتنة. وفجر الأزمة التى انتهت بالدمار والحصار؟! ألا يحس التناقض والإزدواجية بين الموقف من ضم الكويت والحقد على الوحدة فى اليمن والوقوف ضد الشيوعيين فى أفغانستان ومعهم عند بيع «عسير ونجران وجيزان»؟!.

إذا كان السفير «ابن صباح» فى واشنطن قد اعترف بأنهم «يهود الخليج» مباهيا، فإن المندوب السامى فى الكويت أو السفير الأمريكى قد أقر بنهاية ثلاثى العوجة حين قال عن أعداء الوحدة أنهم يفتقدون «البنية الوطنية والرغبة فى مقاومة المحتل» وتلك نهاية أنظمة الردة على العروبة والوحدة.

الوحدة والملك المتصهين

«إن الذين يقفون على الحياد وقت الفتن يفقدون حقهم كمواطنين»

«سولون» حاكم «أثينا» قديماً

ويقول «زيد بن علي»:

(ما كره قوم قط حر السيف إلا ذلوا) نعوذ بالله من هؤلاء وأولئك في حديثه إلى وفود الأمة العربية الواحدة المجتمعة في فندق الرشيد ببغداد الصمود والصعود: - تلك الوفود المتحولقة والمتعملقة حول وبموقف الإرادة والإدارة «الشعب والحزب» القيادة والنبل. الجيش والجاش.. الساهرة الرابضة في مناوية العراق عن الأمة ضد الأطالسة الأبالسة إلى أن يلتحم ويلتئم مع «بغداد» الصبر والثبر. بقية أضلاع مثلث الجدارة والحضارة والجسارة «القاهرة» الثائرة.. السائرة بالأمة ونحو الأمة بالوحدة وللوحدة و«دمشق» شق الشقيق القطر والحزب الحوار والجوار. والجار قبل الدار والشقيق قبل الصديق.

في حديثه إلى وفود الأمة العربية الواحدة بقيادة مثلث الجدارة والحضارة والجسارة «القاهرة. بغداد. دمشق» وفي صبر الجميل في صحراء التصحر القومي.. وفي ثبر لمناطق المجهول من درر وأيقونات، والنادر والإيجابي الماثل في تاريخنا العربي ماضياً ومستقبلاً، مهما تعثر أو ساء الحاضر الزائل أو المؤقت يظل التاريخ صامداً.. والمستقبل واعداً.. فالساعد العربي ينطلق من الماضي الواحد. إلى المستقبل الواعد.

في حديثه إلى وفود الأمة العربية.. مفاخراً بانتمائه للأمة صاحبة الرسالة الخالدة.. مؤكداً على أهمية الحركة العربية الواحدة الواعدة.. قال العربي «صدام حسين» الصامد الثائر المثابر الصابر على العام والخاص وفي رده بكل التواضع على كلمات الوفود المشيدة الفخورة بتصدي العراق لجيوش الأطالسة الأبالسة وصمود السنوات الأربع.. في مواجهة حصار من الجهات الأربع... شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً.. في المجالات الأوسع. براً وبحراً. سماءً وأرضاً.

بكل الترفع والكبرياء. بكل التلاحم مع الأشقاء رغم قيظ الأقليمية على الحدود الأربعة، ومنطق النفعية والإستجداء فى المجالات الأربعة. فلا باخرة نجد غذاء، ولا طائرة نخوة دواء.. ولا سيارة نقل لتواصل دماء.. ولا مظلة لبغداد العطاء والانتماء.

بكل الكبرياء المنقى من التكبر.. بكل التواضع المصفى من التبذل.. بكل العطاء المحصن من الاستجداء.. بكل الجود بما يملك القطر قيادة وشعبا أرضا وسماء نفطا وسلوى بغير من مما ينكر وجوده فى غير القطر «منا» من الأرض وسلوى من السماء.

للأمة وفودا وبالأمة وقودا «للأمة وحدة» وبالأمة نجدة.. للأمة وفوداً وعروبة، وللأمة وقودا على الردة. قال العربى «صدام حسين» الصابر المثابر الصامد الثابر للتاريخ والجغرافيا قال:

(لقد فعل العراق كل ما فعل لأنه جزء من الأمة.. ولو كان غير ذلك لما استطاع أن يحقق كل ما أنجز... سواء أعجب فى نظر البعض أو لم يعجب، أو فاخر به الكل ووصفه بأنه أبلغ أو أعجز لقد فعل العراق القطر ما أنجز أو أعجز لأنه جزء من الوطن العربى ككل كمصر العربية وسوريا وغيرهما من الأقطار الشقيقة).

فى حديثه إلى وفود الأمة العربية الواحدة. مفاخراً بالرسالة القومية الخالدة فى شهادة قوية مفحمة. قطع العربى المناضل «صدام حسين» ألسنة الأقليمية «أبواق الغزاة» «عملاء الاستعمار» «أدوات الصهيونية» «دعاة الإقليمية» «أدعياء الخصوصية» «صهاينة الشرق أردنية أو أوسطية» «توابيت الهاشمية» «أصنام الأضداد» «خصوم أهل الضاد «فاقد الأمجاد» «سليل خيانة الأجداد» منذ «لورانس» وعبد الله وحتى «أبو عبد الله» و«اتفاق عربة» بالحفيد والواد.

رغم قيظ الأقليمية.. وفحيح أفاعى الشيفونية وأنانية شياطين الرجعية التى تعيش على استغلال الأزمات الظرفية بالمؤمرات الدولية لإستنزاف القدرات والثروات والطاقات القومية. كان ولا يزال العراق قيادة وإرادة.. شعباً وإدارة.. حزباً وحكومة.. وطناً ومواطناً قابضاً على الجمر القومى. صابراً ومثابراً.. صامداً وثابراً أغوار التاريخ يذكر شعبه بأمجاد الأمة، وأمل اللُحمة لا يهم ندرة الدواء والغذاء وقطعة الخبز لا فقط «شريحة اللحم» المهم التلاحم رغم كل ذلك فهى حتماً مؤقتة تلك الفجوة والأزمة، لكن الحتمية للوحدة والنصر بالصبر. والأمل بالعمل، والحق بالحقيقة وتحقيق الأمل بالالتحاق بالعمل،



وكانت كتائب العراق بالدم والعرق تواصل الليل بالنهار فحققت النصر بالفخار.

وما كان كل ما حدث ضد الأمة ليحدث لو أن الوحدة قد تحققت للأمة، وبقيت وحدة العراق وسوريا فى الميثاق القومى، والوحدة بين مصر وسوريا فى الجمهورية العربية المتحدة ولو لم تنته هذه وتلك بالانفصال الذى مولته الشركة الخماسية عبر الأموال والصلة والعمالة الملكية من الأسرتين الرجعيتين على الحدود ضد وحدة مصر وسوريا فى الجمهورية العربية المتحدة وبين العراق وسوريا فى الميثاق القومى، وبين دول ميثاق طرابلس «مصر وليبيا والسودان» ومصر واليمن والعراق والأردن فى الاتحاد القومى.

ما كان كل ذلك الهوان ليحدث للأمة بالحصار من «الأطالسة الأبالسة» ضد العراق وليبيا والسودان واليمن (حنيش) لو أن الوحدة تملأ السماوات مظلة للأرض العربية والسفن الوحدوية تحرس الجزر والشواطىء حماية من التجرز والأقليمية. وقوافل النخوة والنجدة تصل وتتواصل مع بغداد وطرابلس والخرطوم وصنعاء لا تفصل بينها قصور ومستوطنات «الملك المستأجر» و«الأمير المستعمر» عملاء «الرئيس الصهيونى» المستوطن» لبيت المقدس» و«وادى العربة» و«البيت الحرام».

لو أن الميثاق القومى بين العراق وسوريا ظل باقياً فى مواجهة «الملك المستأجر المتصهين» والجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا فى مواجهة «الملك الصهيونى المستعمر» أو ميثاق الإتحادى بين مصر وسوريا وليبيا. فى مواجهة «الملك المستنعج» الذى أدمن تهريب النعاج من بغداد عمالة بالعملة.

ما كان كل ذلك يحدث ولو بقى ميثاق التكامل العربى بين مصر والسودان فى مواجهة «الملك المتآمر بالأمر» ضد البحر والنهر الأحمر والأبيض. دجلة والفرات الحصبانى واليرموك.

ولو أن الوحدة العربية تجمع عواصم الجدارة والحضارة والجسارة (القاهرة بغداد. دمشق) وعواصم الأمل والأمن الغذائى (القاهرة. الخرطوم. طرابلس) والأمن القومى (القاهرة، بغداد، صنعاء).

والعمق العربى (الجزائر، مقديشيو، نواكشوط). لو أن الوحدة بين هؤلاء كانت قد بقيت، هل كان الحصار على «بغداد» و«طرابلس» والتهديد ضد «الخرطوم» كان سوف يستمر كل

هذا الوقت لو أنه أساساً كان سوف يمكن وإن أمكن هل كان سوف يفلح أو ينجح؟!

هل كان التهديد بقطع المعونة أو الإعانة سوف يؤثر؟! مع أن الخزينة الصهيونية في «واشنطن» و«تل أبيب» من النفط السعودى والكويتى تمول إما بصفقات طائرات أو تليفونات. تارة بالفانتوم وأخرى بالفيتو، تصريحاً بالفواصة أو تلميحاً بالشيكولاتة والأخيرة «أجدى» فالملك صغير المتصرفية والتصرف الموقع والموقف التاريخ والجغرافيا لكنه - أى الملك - كبير في التصهين بغير حدود. وسيده في فلسطين على الحدود. وإذا كان «الملك الصغير» في المكانة والمكان. التصرف والمتصرفية عدو اليرموك وبغداد والبصرة وكركوك. وهو الغادر الحالم بعودة المجد الزائف الغابر للجد الغادر للقضية والقضاء فاغتيل أو نفق بحكم الشعب والسماء. عقاباً على العمالة والمخازى.

إذا كان «الملك الصغير» - المستأجر المتصهين يتصور أنه يملك استضافة رمز الخيانة في زمن يعانى فيه العراق ظرفاً مؤقتاً وحصاراً ملوثاً بخيانة الحدود مواصلة لخطيئة الجدود. فإن العراق ليس القطر وحده. ولكنه الوطن كله. وليس الحكم وحده لكنه الحزب كله. وليس صدام وحده لكنه الشعب كله.

إن «الملك المستأجر» يغفل مصلحة شعبه مع العراق التى تفوق مئات المرات مصالحه مع أمريكا، ناهيك عن أهمية الإنتماء القومى، وهو ما نربأ بالشعب العربى الأردنى على حدود العراق أن يتغافله. لكن «الملك عميل بالعملة» وبالأجر يعمل بالأمر تارة «بالريال موت كنترول» وأخرى بـ«الشيكل أندر كنترول».

وإذا كان الرهان على أن الصهاينة سوف يتغيرون فهو الوهم فقد أكد الصهيونى «إيهودا باراك» الذى يسمى وزير خارجية الكيان الصهيونى أن السلام يفرضه على العرب التفوق الصهيونى بالأسلحة النووية، وهو استمرار لمقولة صهيونى قديم هو أيضاً وزير(!!!) خارجية الكيان الصهيونى قديماً (ديفيد ليفى) الذى قال:

«إننا نؤمن بشيئين الإله اليهودى، والجيش الإسرائيلى».

ولعل وضع أربع دول عربية هى العراق - سوريا - ليبيا - السودان على قائمة الإرهاب من بين ٧ دول، هى العراق - سوريا - والسودان وليبيا وإيران وكوبا وكوريا من

وجهة نظر الشريرة الصهيونية «أمريكا»، يؤكد العرب جميعاً من جهة أخرى أنه لا رجاء من صهاينة «واشنطن» أو «تل أبيب»، وأن السلام المطروح مفروض للتجزئة والإفقار والسيطرة الصهيونية في «تل أبيب» على مقدرات وثروات الأمة لفصل أجزاء الوطن العربي بالاستيطان الصهيوني والمال الرجعي، كما حدث بالمال السعودي بمحاولة رشوة «السراج» وتصدى رفاق العارف بالله والوحدة «جاسم علون» ويمارس الملك الصغير بالأمر والأجر صغائره الآن ضد العراق وليبيا والسودان بمشروع الشرق أوسطية وبين «روتشيلد» والخماسية وبنك الشرق أوسطية كان إنشاء الكيان وتوسعه وفيه في النهاية نهايته.. الكيان الصهيوني والملك المتصهين.

في ذكرى الوحدة تحية لكل قومي يقبض، على جمر الوحدة وجوهر الأمة، وجوهر العروبة الحتمية الوحدة العربية، في ذكرى قيام الجمهورية العربية المتحدة وعاصمتها «القاهرة» وبطلها خالد الذكر والسفر «أبو خالد» الزعيم العربي جمال عبد الناصر.

مؤتمر الجواسيس

«يجب ألا يحد من التعاون الاقتصادى عدم توقيع معاهدة صلح»

«بيريز»

بينما كان أحد السماسرة أو رجال الأعمال فى مصر يستعد لإقامة حفل غداء للوفد الصهيونى كان رئيس الوفد المدعو «دان بروير» يتفقد عن قرب مصنع للملابس الجاهزة بالمنطقة الحرة بمدينة نصر(!!) برأس مال صهيونى وخامات مصرية ـ أى ضمن مشروعات الشراكة الصهيونية مع رجال أعمال مصريين (!!)

وبينما كان الصهيونى «دان بروير» يعلن أن رجال الأعمال الإسرائيليين (!!) لن يغيروا سياستهم مع سياسة نتنياهو الجديدة، وأن المؤتمر الاقتصادى لرجال الأعمال وليس للسياسة ـ كان «دان» نفسه عائداً من مصنع للملابس فى التوقيت الذى تجرى فيه نيابة أمن الدولة العليا بإشراف المستشار «هشام سرايا» تحقيقاً مع جاسوس مصنع النسيج ـ والشراكة الصهيونية المصرية (!!) هو الجاسوس «عماد عبد الحميد» وشريكه فى الشراكة «عزام عزام» الذى ادعى كل منهما أن التعاون فى صناعة الملابس الجاهزة هو الذى يجمعهما. أحدهما خبير فى صيانة الماكينات والآخر يعمل فى المشروع الإسرائيلى المصرى(!) مصنع الملابس الجاهزة برأس مال إسرائيلى وخامات مصرية(!!).

وبينما كان رئيس اتحاد الصناعات المصرية (!!) «فريد خميس» يرتب الوجبة الدسمة فى دعوة الغداء التى وجهها للوفد الصهيونى. كان رئيس الوفد الإرهابى «ديفيد ليفى» يعلن وسط الصحفيين الصهاينة فى مؤتمر صحفى اقتصر على الصهاينة فقط، من قصر المؤتمرات أو المؤامرت لا فرق ـ يعلن الإرهابى ليفى ـ مسئولية مصر عن إعادة الجاسوس وليس فقط مجرد تقديم معلومات عنه، وطالب بتدخل الولايات المتحدة لدى مصر للإفراج الفورى عن الجاسوس الإسرائيلى، وأكد الصهيونى الإرهابى «ليفى» ضيف «خميس» أن بلاده (!!) لن تدخر وسعاً فى الإفراج الفورى عن عزام (!!) الذى يعمل رئيساً للفنيين

بقسم الميكانيكا بمصنع المنسوجات، وذلك يعيد إلى الأذهان قصة إعادة جاسوس سابق فى تلك الزمان الكريه المهان بعد أن تبول ويصق وفقا عين أحد الحراس وأهان المحكمة، واستقبل فى مطار «تل أبيب» استقبال الأبطال، تحت أضواء عدسات الصحافة والتليفزيون الصهيونى وإذا كان المتعامل مع الصهاينة «فريد خميس» رئيس اتحاد الصناعات المصرية قد وجه الدعوة إلى النظير الصهيونى «دان بروبر» الممثل لموقع رئيس اتحاد الصناعات الصهيونى. بينما هو وأعضاء وفده غارقون من الأخمص حتى الأذن فى موقع التجسس المسمى زوراً «مصنع للنسيج» وبدليل أن تسعة صهاينة جاءوا على طائرة ليفى ممن يسمون برجال الأعمال، ولم يحضروا المؤتمر احتجاجاً على القبض على الجاسوس الصهيونى عزام عزام. الذى جند «عماد» الجاسوس النظير فى الأردن ـ وفتش دائماً عن «أبو عبد الله» وبصمات حفيد «الملك عبد الله» رائد التفريط ومؤسس التطبيع.

كان «فريد خميس» قد وجه الدعوة على الغداء إلى الوفد الصهيونى برئاسة الإرهابى «ليفى» ونظيره «دان بروبر» العائد من زيارة لموقع التجسس ومعه نظيره الإرهابى الصهيونى «دان ميريدوم» وزير المالية، الصهيونى و١٥٠ عضواً من بينهم ٨٠ من رجال الأعمال (!!) و٣٠ صحفياً، ٨ مدراء.

وإذا كان عدد رجال الأعمال ٨٠ صهيونياً فإن ٨٠ مليون دولار و٢٨٠ ألف دولار هى جملة ما دمرته الصهيونية (إسرائيل) من الشُعَبْ المرجانية المصرية فى شواطئ خليج العقبة وشرم الشيخ، فى تسعة أشهر فقط.

وإذا كانت مدة التدمير هى ٩ أشهر فقط. فقد كان عدد الصهاينة الذين جاءوا على طائرة الصهيونى «ليفى» ولم يحضروا الاجتماع احتجاجاً على احتجاز أجهزة الأمن العربية المصرية الجاسوس «عزام» هم ٩ صهاينة أيضاً، تماماً كما كانت جملة ميزانية الإنفاق العسكرى الصهيونى ٩.٤ مليار دولار سنوياً، وهو ما يوازى ٢٦.٧ من ميزانية الكيان الصهيونى.

وإذا كان عدد الرقم الذى أعلن عنه «فريد خميس» فى حجم ما يفوز به رجال الأعمال على الجانب المشارك للصهاينة هو ١٠ مليارات دولار (وفق المشروعات المقدمة على الورق للمؤتمر) فإن نفس الرقم ١٠ مليارات دولار كان منتظراً من اتفاق دمشق

الذى وقع فى مدريد الذى أفرز «مؤتمر التطبيع والتنطيع» الذى ينتظر منه ١٠ مليارات. فأين مليارات اتفاق دمشق بعد مدريد حتى نصدق كلام «فريد» الذى يعدنا بـ١٠ مليارات من خلال ثالث مؤتمر أفرزه نفس اتفاق مدريد؟!

وإذا كانت عدد المليارات بين اتفاق دمشق، ونفاق «خميس» فى المؤتمر الاقتصادى يجمعهما الرقم (١٠) فإن عدد اعتداءات الصهاينة على الشعب المرجانية العربية المصرية كانت أيضاً عشر مرات فى ٩ أشهر.

وإذا كانت تكلفة أحد أبرز مشروعات الصهاينة وهو مشروع القناة الصهيونية التى تربط بين البحر الأحمر والأبيض (بديلة لقناة السويس) يتكلف هذا المشروع الصهيونى المطروح على المؤتمر الاقتصادى الثالث مبلغ ١٢ مليار دولار. فقد حصلت الصهيونية على ١٣ مليار دولار فى الأسبوع الأول للعدوان الثلاثينى الأطلسى على العراق الشقيق. سددتها للصهاينة محميات أمريكا فى الخليج وفى الذيل منها «مستوطنة الكويت» التى تسدد الآن ثمن «استيطانها حتى بلغ سعر ثمرة «الخس» أحد مكونات «السلاطة الخضراء. فى فاتورة غذاء قوات الاستيطان الأمريكى للكويت ـ بلغ سعر ثمرة الخس ـ (١٣) دولاراً أمريكياً وهو ما يوازى مرتب خريج الجامعة فى مصر شهرين كاملين. بينما لا يتعدي سعر هذه الثمرة فى مصر جنيهاً واحداً، وهذا هو الفارق بين ثمرة «الخَسّة» وسياسة تحالف مؤتمر «الخسّة»!!

وإذا كانت الجيوش والدول التى اشتركت فى العدوان الأطلسى الصهيونى على العراق الشقيق قد بلغت ٣٠ جيشاً. فإن عدد الذين أصيبوا بالمرض المجهول «مرض حرب الخليج» قد بلغ ٣٠ ألفاً من صهاينة ما يسمى بالتحالف، وإذا كان الرقم ٣٠ يجمع بين السبب للمرض ـ الحرب ـ (عدد الجيوش) والنتيجة (عدد المصابين) فإن عدد الصحفيين الصهاينة الذين حضروا دعوة غداء الخيانة والجاسوسية بين الإرهابى الصهيونى «دان بروير» ونظيره «فريد خميس» هم أيضاً ٣٠ صحفياً صهيونياً كما أن البطالة بين الفلسطينيين. قد ارتفعت من ١٠٪ إلى ٣٠٪ بعد أوسلو..

وقد أنكرت أمريكا الرقم الحقيقى الذى كشفته اللجنة الخاصة المشكلة فى وزارة الدفاع الأمريكية لمعرفة أسباب وحجم حملة «مرض الخليج» وقد كذبت اللجنة «البنتاجون»

ووصفت دراساته بأنها «سطحية» وفسرت بعض الأوساط كذب البنتاجون أنها بدافع الخوف من حجم التعويض للمصابين وذويهم فى حالة إعلان الرقم الحقيقى.

ويقترح كتاب السطو على العراق الشقيق المطالبة بالتعويضات المناسبة للبشر والبيئة خصوبة وانتاجاً واستخداماً وموارداً. حيث أن الضرر على جانب ما يسمى بجنود التحالف قاصر على الأفراد فقط. عكس ما حدث فى العراق الشقيق من جراء الجرم الأمريكى، ويمكن تكليف لجنة متخصصة تعكف على هذه المهمة لإنجازها، وهذا حديث أخر.

وإذا كان عدد المدراء الصهاينة الذين حضروا غداء الجاسوسية والخيانة بين «دان بروور» «فريد خميس» قد بلغ ثمانية مدراء فإن أعضاء اتفاق دمشق هم ثمانية فأين العشرة مليارات دولار التى نص عليها الاتفاق حتى نصدق كلام «خميس» حول حجم المشروعات المنتظرة مع الصهاينة، من خلال المؤتمر الاقتصادى «مولود السفاح الثالث لقمة مدريد التى ا فرزت اتفاق دمشق، الذى نص على العشر مليارات لمصر وسوريا وتنكرت السداسية الخليجية وسوفت، بينما سددت بغير تسويف للسداسية الصهيونية «تل أبيب» بناء على أوامر الكفيل الأمريكى فى «واشنطن»؟!

وإذا كان الصهيونى الإرهابى «بيريز» سفاح مذبحة «قانا» الذى يناجيه «أرامل رابين» «غوانى كلينتون» «سبايا نتنياهو» ـ إذا كان «بيريز» قد قال (يجب ألا يحد من التعاون الاقتصادى عدم توقيع معاهد صلح) فإن نظيره الإرهابى الصهيونى «ليفى» قد قال فى المؤتمر: (إن السوق الحرة والتبادل الاقتصادى هى الطريق إلى السلام)، ومعنى ذلك أن التطبيع الاقتصادى والتبادل التجارى والأسواق المفتوحة تسبق كل شىء فى نظر الصهاينة، بصرف النظر عن تحقيق السلام من عدمه. وقد كان الإرهابى الصهيونى «نتنياهو» واضحاً متبجحاً ففى اجتماع مع رجال الأعمال الصهاينة قبل أربعة أيام من إنعقاد المؤتمر الثالث قال الإرهابى «نتنياهو»:

(سافروا إلى القاهرة، واعقدوا الصفقات ليس من أجل السلام، ولكن من أجل الربح)!!

وهكذا يكشف بوضوح زيف وكذب وختل الذين يراهنون على المؤتمر. ويتندرون على المطالبين باستمرار المقاطعة أو عودتها على الأدق ـ ففى حواره مع الزميلة المجيدة «ماجدة الجندى» هوى «خميس» فى تسطيح الموضوع. إخلالاً بالمبدأ والموقف قال المدعو

«فريد خميس» أنه «يفضل أن يتعاون بدلاً من هاتولى حبيبى» مع أنه كان ـ خميس ـ لتوه عائداً من عند حبيبه ونظيره «دان بروير» المحتل لمنصب رئيس اتحاد الصناعات الإسرائيلية، وكان «خميس» فى زيارة للكيان الصهيونى قبل توجيه الدعوة للنظير للغداء!!

وإذا كان متوسط دخل الفرد الصهيونى فى «فلسطين المحتلة» قد ارتفع بعد مدريد بما قيمته خمسة آلاف دولار سنوياً ـ أى أن الزيادة فقط توازى مرتب ثلثمائة خريج جامعى عربى مصرى فى السنة، ومعنى ذلك أن الزيادة سنوياً فى دخل الفرد الصهيونى بعد مدريد تكفى لتشغيل مليون ونصف مليون عربى سنوياً!!

أيضاً فقد ارتفع فى «تل أبيب» متوسط دخل الفرد الصهيونى من المساعدات الخارجية بعد مدريد إلى ١٢٠٠ دولار بواقع ١٠٠ دولار فى الشهر، وهو ما يوازى مرتب خمسة خريجين جامعيين فى مصر شهرياً.

أيضاً ارتفع معدل النمو الحقيقى للناتج المحلى الصهيونى من ٣.٤ عام ١٩٩٣ إلى ٦.٥، ٦.٩ فى عامى ١٩٩٤، ١٩٩٥ على التوالى، وكان هذا المعدل ثابتاً أو متوقفاً فى الكيان الصهيونى عند الرقم ٣.٦ سنوياً خلال الفترة من ١٩٧٨ إلى ١٩٨٨ ـ أى ١١ عاماً، وخلال أزمة الخليج الثانية تدفقت المساعدات ومنها ١٣ مليار دولار من محميات الخليج خاصة «مستوطنة الكويت» كما أشرنا. فقد قفزت المساعدات والتحويلات الخارجية لـ«تل أبيب» من نحو ٥.١ مليار دولار عام ١٩٨٩ إلى ٩.٥، ٦.٧، ٦.٨ مليار دولار أعوام ١٩٩٠، ١٩٩١، ١٩٩٢ على التوالى. كما حصلت الصهيونية «تل أبيب» ـ وفق اعتراف جريدة الأهرام ـ مقال الأستاذ إبراهيم نافع ١٢ نوفمبر/ تشرين ثانى ١٩٩٦ (ليلة انعقاد المؤتمر) قال أن الصهيونية إسرائيل:

(حصلت على مزايا اقتصادية متنوعة بسبب استثمارها لموقفها فى حرب الخليج الثانية ساعدتها على تحقيق تقدم فى أداء اقتصادها فى الفترة من ١٩٩٠ ـ ١٩٩٢) سبق الإشارة إلى ١٣ مليار دولار دفعتها المحميات الأمريكية خاصة «مستوطنة الكويت».

(كذلك تراجع معدل التضخم فى إسرائيل (!!) ـ الكلام للأستاذ إبراهيم نافع من نفس المقال ـ من نحو ١٢.٣٪ عام ١٩٩٤ إلى ١٠٪ عام ١٩٩٥ مقارنة بمستواه الهائل(!!) نحو ١١٨.٥٪ سنوياً فى المتوسط خلال الفترة من ١٩٧٨ ـ ١٩٨٨، ومستواه

البالغ ١٨.٥ خلال الفترة من ١٩٨٨ إلى ١٩٩١ قبل بدء مسيرة التسوية السلمية للصراع مع العرب) انتهى كلام الأهرام.

ويقدر كاتب السطور الصورة على الجبهة الأخرى من خلال نموذج بسيط فقط لعدم الإطالة. ففي تقرير للمفوضية الخاصة بالأمم المتحدة في المناطق المحتلة قالت:

(إن نسبة الدخل القومي الحقيقية للمناطق الفلسطينية قد انخفض من ٢٢٪ خلال الفترة من ١٩٩٢ إلى ١٩٩٦) وأوضحت المفوضية في تقريرها الذي صدر في غزة أن (معدل البطالة في الفترة نفسها قد ارتفع من ١٠٪ إلى ٣٠٪ كما انخفض مستوى الأجور بنسبة ٢٠٪، وبالتالي انخفض استهلاك الأسرة بنسبة ١٠٪) تقريباً. لا يخفى على أحد من المنصفين أو المخلصين ما قدمته سلطة الحكم الزائف التي يمثلها «عرفات» فقد قامت بمهمة الشرطي الصهيوني نيابة عن قوات الاحتلال، ووشت وأوقعت. وتآمرت وصفت وسجنت، وكان أكبر كبائرها الوشاية والتآمر بالتخطيط والإبلاغ والمشاركة في تصفية الشهيد الرمز البطل (يحيى عياش) المهندس، و(فتحي الشقاقي) وكانت التعبئة في الأرض المحتلة تكلف اقتصاد وميزانية العدو الصهيوني أعباء باهظة اقتصادياً وعسكرياً ونفسياً حتى قال «فقيد الأرامل» رابين:

(أتمنى أن أستيقظ ذات صباح وقد ابتلع غزة البحر) أيضاً قال أحد وزراء وزملاء الصهيوني «رابين» (إذا استمرت هذه الانتفاضة عاما آخر لا أعرف إسرائيل (!!) سوف تكون موجودة أم لا؟). وذلك كان وسوف يعود الفضل فيه للانتفاضة العائدة حتماً بعد الخلاص من الصهيوني والمتصهينين. سماسرة مشروع التنطيع المسمى زوراً تطبيع وأعضاؤه «الشراكة الصهيونية الأمريكية» وما يسمى بـ«رجال الأعمال» وما هم بهذا ولا ذاك.

أما الدليل على أن سلطة الحكم الزائف كانت السبب في ازدهار الصهيونية وتراجع الأعمال الفدائية وارتفاع البطالة بين العرب ما قاله المناضل «رمضان شلح» زعيم الجهاد الفلسطيني فقد قال:

(ما يحدث هو نتيجة أوسلو، وليس نتيجة عدم تطبيق الاتفاق الذي يصور وكأنه «الحل الأمثل» «لقد أجرت السلطة الفلسطينية استطلاعاً للرأي أثبت أن ٨٢٪ من الفلسطينيين مستعدون لتحمل نتائج الصدام والمواجهة مع إسرائيل (!!) حتى لو ترتب

على ذلك أضرار اقتصادية، وهذا يثبت إلى أى قدر كانت السلطة مع الناس أو ضدها).

وبعد كل ذلك يتساءل عرفات عن لماذا يرى شعبه لأول مرة يحرق تصاويره بعد أن رأى صورته مع «بيريز» و«نتنياهو»!!

وإذا كان انعقاد المؤتمر الاقتصادى الثالث فى ذرية «سفّاح مدريد» يعتبر مخالفة فجة وغادرة لمقررات قمة القاهرة الأخيرة، التى انعقدت فى نفس المكان وأسماها كاتب السطور «قمة النقص» لغياب العراق الشقيق عنها وإنعقاد المؤتمر الاقتصادى تطبيع فيه فشل مصرى ونجاح إسرائيلى كما أشار الكاتب العربى المصرى المبدع المناضل «سعد الدين وهبه» حين قال:

(فإن فى عقد المؤتمر مخالفة لقرارات مؤتمر القمة العربية الذى ربط بين التقدم فى العلاقات الاقتصادية بين العرب وإسرائيل (!!) وبين التقدم فى عملية السلام، ولما كانت عملية السلام تمر بأشد أزمة تعرضت لها منذ توقيع أوسلو فى عام ١٩٩٣ فلماذا إذن، عقد هذا المؤتمر الذى تشارك فيه إسرائيل (!!) بل وكما هو واضح من السطور السابقة هدفه الأول والأخير إسرائيل (!!).

وإلى نفس الرأى وبنفس المنهج يذهب الدبلوماسى العربى السورى المرهف د. عيسى درويش، سفير الشقيقة «سوريا» ـ والإقليم الشمالى ـ فى عاصمة الجمهورية العربية المتحدة «القاهرة» فيقول:

(نحن نرى أن هذا المؤتمر وما سبقه من مؤتمرات هو تخريب للنظام الإقليمى العربى. فهو يمثل دعماً للاقتصاد الحربى للعدو الإسرائيلى الذى ارتفع دخله للفرد من ١٣ ألفاً إلى ١٧ ألف دولار ـ فى إحصائية أخرى أمريكية وصل إلى ١٨ ألفاً كما سبق الإشارة إليه ـ وزاد الناتج القومى (!!) الذى يذهب الجزء الأكبر منه إلى جيش الدفاع الإسرائيلى الذى بدأ يهدد سوريا»).

وبمناسبة السفراء العظام وحتى لا يُنسى فضل أو ينسب لغير أهله فقد كان الشقيق الإيجابى الملتزم قومياً السفير أحمد محمد لقمان نجدة ونخوة متفاعلاً دائماً ومستجيباً أبداً عند كل خطوة أو رسالة للأخ الرئيس على عبد الله صالح بشأن العراق وكذلك كان

الأخ السفير الشاعر محمد المحمود العروبي سفير دولة الإمارات عميد السلك الدبلوماسي بالقاهرة عند التخاطب مع الشيخ زايد بشأن العراق وكذلك كان السفير البروفسيور أحمد عبد الحليم العالم العامل شقيق الماء والهواء.. الحياة والحياء سفير السودان في القاهرة عند توجه المؤلف بإحدى الرسائل الخاصة بعراق القيم القلم العلم وفي الختام تحية تقدير واحترام للصديق منذ السبعينيات السفير الحميم هلال الثيابي سفير سلطنة عمان بدمشق الوفي لانتمائه ووطنه وأمته ومهمته.

ونعود إلى الكلام عن القمة.

يقال إن تقريراً بهذا المضمون رفع من وزراء الخارجية العرب الأخير إلى مسئولي القمة قبل عقد المؤتمر مضمونة أن (السلام يسير في طريق مسدود فلماذا نسلم إسرائيل(!!) سلاح الاقتصاد وورقة تطبيع العلاقات معها؟!).

وإذا كان نفس القصر الذي شهد قمة «النقيصة» في أغسطس / أب ١٩٩٠ وقمة «النقص» التي لم يحضرها العراق الشقيق في يونيو ١٩٩٦. هو نفس القصر الذي شهد انعقاد مؤتمر «الخيانة و«الجاسوسية» «عزام عزام» و«دان بروبر»، و«عماد عبد الحميد» فإنه نفس القصر الذي شهد التوصية في القمة الأخيرة بالقاهرة والتي أشارا إليها العربيان الشقيقان وبحسب ترتيب معلومتيهما في المقال «سعد الدين وهبه» ود. «عيسى درويش». فقد شهدت نفس القاعة والقصر كلمة الافتتاح التي وصفت المؤتمر الثالث بالقاهرة بالقول:

(إحياء جديد لمنطقة الشرق الأوسط يولد دنياميكية الرخاء والتعاون المشترك)!!!.

كان في نفس التوقيت سرادق الشهيد عطا الله» في «رام الله» يستقبل المناضلين الذين أكدوا لأسرته خلال العزاء الإصرار على الانتقام، وذلك وحده يعكس الهزة بين سلطة الحكم الزائف والزائل والذابل، وبين قوة التحرير من البحر إلى النهر، ومن الماء إلى الماء. ليس الجولان فحسب، ولكن أيضاً القدس وليس إعادة الانتشار في الخليل كما يصور الأغبياء والدهماء والعملاء. أو مجرد أزمة بسبب زيارة بيت الشرق كما يفتعل الممثل «عرفات» ولكن فلسطين كل فلسطين من الماء إلى الماء ومن البحر إلى النهر. وذلك قبل فك أسر سلاح سيناء وتحرير الجولان.

لقد عرض السمار والحواريون على السمسار «عبد الرؤوف القدوة» المعروف بـ«عرفات» عرضوا عليه سيناريو فيلم عن الانتفاضة. أجرى «اللهوة» «أبو زهوة» على السيناريو تعديلاً. بعد أن قبل تمثيل أحد المشاهد يرفع فيها كعادته ـ فقط ـ علامة النصر لمجموعة من الصيادين العرب الفلسطينيين، وعقَّبَ عرفات على قبوله تمثيل الدور مصوراً تليفزيونياً فى المسلسل قائلاً: عرفات: (أنه من الممتع أن يكون المرء نجماً تليفزيونياً للحظات).

كان ذلك كل هم «عرفات» مع أنه الممثل الوحيد!!

وإذا كانت كلمات الافتتاح تعلن الافتضاح لأطراف مؤتمر الخيانة والجاسوسية «ليفى ـ دان ـ عزام ـ عماد» فإن الإرهابى الصهيونى «نيتنياهو» قد قال فى إفتتاح مماثل أيضاً لمشروع تكرير البترول فى «فلسطين المحتلة» قال فى الافتتاح يشهر الافتضاح:

(لا تصدقوا ما يقال فى الدول العربية فالأقوال شيء والأفعال شيء آخر، ولا تصدقوا الذين يقولون فى العالم العربى. فهم يتحدثون عن عزلة إسرائيل. أو مقاطعتها. بينما فى الحقيقة التطبيع لا يسير على قدم وساق فحسب بل يتقدم بخطوات هائلة إلى الأمام)!!

وسبق أن نشرت بعض الصحف الصهيونية أن المجحوم «رابين» قد وصف دائماً عرفات بـ«الكذاب» وأيضاً الإرهابى «نيتنياهو» الذى قال فى بداية تسلمه السلطة فى «تل أبيب» قال:

(لم أفاجأ عند تسلمى رئاسة الوزراء (!!) بما أذهلنى قدر ما فاجأنى ملف التعاون الأمنى من السلطة الفلسطينية معنا وهذا يحسب لهم يقصد السلطة)!!

وإذا كان فريق «التنطيع» المسمى زوراً «بالتطبيع» يروج للوهم على طريق «هاتولى حبيبى» التى يرددها خميس» بعدم فهم لطبيعة هذا الشعب. لسوق له الأعداء «الوهم» والمغشوش والفاسد.. أو يصدرون عبر عملائهم وأبواقهم، وميكروفوناتهم وكتاباتهم وأقلامهم وإعلاناتهم العبرية وليست العربية ـ معاذ الله ـ.

وإذا كان «عرفات» يمثل فلسطين فى غزة ـ فإن «عصمت» أو «ديفيد والى» أو من معه يمثل الجامعة العربية فى المؤتمر. الاقتصادى بالقاهرة والدليل أن كلمة واحدة

بالعربية لم تظهر على لوحة الإعلانات خلف المتحدث فى المؤتمر من الافتتاح إلى الافتضاح. فى بلد قاد العروبة عِلماً وعلّماً وسوف يعود ليقود بأمته ولأمته العربية مسلمين ومسيحيين.

وإذا كان هناك رأسمالية وطنية ورأسمالية خائنة. فإن «فريد خميس» بدعوته للإرهابى الصهيونى «دان بروبر» العائد من زيارة لموقع الجاسوسية والخيانة «مصنع النسيج» مباشرة وإلى حفل غداء يقيمه نظيره «فريد خميس» تكريماً للجاسوس ووفده ـ فهو يمثل «خميس» الرأسمالية الوطنية لمصر العربية حقاً؟ إن الرأسمالية الوطنية يمثلها كل عربى يقف فى وجه التطبيع ويمسك بتلابيب الجاسوس من رجال الأمن العرب المصريين الساهرين على الثأر لشهيد الحدود ابن الفيوم المقدم «معوض عبد اللطيف أبو جليل والذى استشهد برصاص «دمدم» المحرم دولياً.

إن الرأسمالية الوطنية العربية المصرية مسلمون ومسيحيون بخير، ومنها على سبيل المثال رجل الأعمال الذى هو هذا وذاك «تيسير الهوارى» الوطنى العربى المنتمى فقد قال للزميلة الجادة «ماجدة الجندى» فى نفس العدد والموضوع الذى قدم فيه «خميس» معزوفاته عن نظرائه أو أحبائه الصهاينة بالإصرار على التعاون معهم سعياً إليهم مبتذلاً قائلاً «هاتو لى حبيبى»!!

على العكس تماماً قال «تيسير الهوارى»:

(مقدرش أنسى بالنسبة لى فى التعاون مع إسرائيل (!!) قد لا يكون مبنياً على أساس الربح والخسارة، ولكن على حساب أشياء أخرى منها التاريخ واللى فات لغاية النهاردة مش قادر أتخلص من الشعور بأن جيلى راح دمه بإيد الناس دول. ممكن تقولى إن رأيى مش رأى سياسة. بقدر ما هو تعبير عن شعور. ثم أنااليه ما يكونش شغلى من باب أولى مع العرب، وأيه اللى خلينى أخطب ود الناس دى ثم مين قال إن رأس المال ملوش «ملة» دى حتى لو فيها استفادة تغور) تحيا الرأسمالية الوطنية والقومية.

أما الكذابين والكذب فـ «مالوش رجلين» فقد صاحب الافتتاح الافتضاح. وكما كان «عصمت» تاجر أسمنت مغشوش، وكما كان «توفيق» فى خصام مع التوفيق بتجارة الأغذية الفاسدة. والطيور الجارحة. كان «عصمت/ ديفيد» أيضاً صاحب مشاركة فاسدة

وكما توجد رأسمالية وطنية ولأن الفساد والكذب والعمالة لابقاء لها. فقد كشف زيف الانفتاح وحقيقة الافتضاح العالم الاقتصادى الوطنى الكبير د. إسماعيل صبرى عبد الله، فقد قال:

(ما أكثر الحديث فى مصر عن «النمور الآسيوية» فهذا وزير يبشرنا بأن مصر ستلحق بهم بعد سنوات قليلة. دون أن يكلف نفسه كيف يضاعف الدخل القومى عشر مرات فى مثل تلك الفترة القصيرة (الناتج المحلى الإجمالى فى كوريا ٧٧٦٦٠ دولاراً للفرد عام ١٩٩٥).

وإذا كانت الجامعة العربية لا تريد إعمال المقاطعة للعدو الصهيونى لغرض فى نفس «جاكوب» أى يعقوب أو «عصمت» أو «ديفيد» فلابد أن تطبقها الدول بنفسها على الأقل تلك التى تتضرر بغياب المقاطعة ويؤذى التطبيع مشاعرها القومية والوطنية، ويهدد ثوابتها ومصالحها وعقيدتها القومية والدينية. إسلاماً ومسيحية، وفى المقدمة من هذه الدول سوريا والعراق والسودان وليبيا ولبنان والجزائر واليمن والصومال.

وأن تضع الحركة الشعبية العربية قائمة سوداء بأسماء المطبعين فليس معقولاً أن تتساوى الرأسمالية الخائنة مع الرأسمالية الوطنية.

وإذا كان الإرهابى الصهيونى «بن جوريون» قد قال: أنه يخشى أن يهزم بالاقتصاد حين عجز السلاح عن هزيمته كما أشرنا فى هذا المكان العدد قبل الماضى. فإننا نستطيع فعلاً هزيمة العدو الصهيونى بالاقتصاد ونقتله دون أن نقاتله وكلاهما ممكن لو أراد العرب.

وفى مواجهة مجموعة باعة الوهم وتسويق مشروع التصهين والسمسرة فى كبد الوطن. بالعبرى نقول لكل واحد منهم أن مصيره هو مصير صورة عرفات التى رأى شعبه لأول مرة يمزقها، والشعب هو «المعلم» وسوف يعلم من يجهل أن غداً يوم للثورة والثأر من أعداء الحرية والوحدة. كيف؟ قد أعرف أو لا أعرف كما يقول شاعر الوطن المبدع الضابط الحر الصحفى «مصطفى بهجت بدوى» فقد قال فى مواجهة التطبيع والمطبعين:

كدبيبِ الداءِ وزحفِ السُّمِّ وشلَلٍ يَسرى فى الأعضاءْ
وكَسحرِ حُواةٍ راموا سَلْبَ نفوسِ الصفوةِ والدَّهماءْ
وعلى استحياءٍ يُضْمَرُ قَصدٌ ثم يلحُّ بغيرِ حياءْ
ويُكرَّسُ عَجْزٌ كى يُعتادَ ويُصبحَ «مُعجزةَ البسلاءْ»
يَختلطُ الأمرُ صباحَ مساءْ
وتزيغُ مَعانٍ للأشياءْ
الفَرَحُ رياءْ
والحُزنُ خواءْ
ودُعاةُ العارِهِمُ العقلاءْ
والجُهدُ، الوعدُ، العهدُ.. هباءْ
والوطنُ الأكبرُ كالعنقاءْ

* * *

لكنْ لا زالتْ بعدُ فصولْ
وفصولٌ غيرُ فصولِ الضُّرِّ! فصولُ الصحوةِ والسَّراءْ
قد أعلمُ أنِّيَ كم كُذِّبتُ وطاشَ الشعرُ وخابَ رجاءْ
كم صِغتُ قصائدَ كانت تبكى، كانت تضرعُ للمأمولْ
ترقُّبُ معجزةَ التحرير، وليس بمعجزةٍ لوشاءْ
أو تنزلُ «عيسى» ثم تعودُ تقولُ العزمُ هو التنزيلْ
وتخالُ نبُوءتَها العصماءَ ملاحمَ تسفرُ بعد قليلْ
فإذا بنبوءةِ «هِرتزلَ» أسبقُ لكنْ أقسمُ أنْ ستزولْ
الباطلُ يبطلُ، لا تطبيعَ لزيفِ الباطلِ أو تمثيلْ
لم يُقضَ الأمرُ، وحقِّ الله! فلى تتبصُّرُ ثمَّ سبيلْ
قد أعرفُ لولاَ أعرفُ كيفَ! الزمنُ الواعظُ جدُّ كفيلْ

شهادة السيد ياسين
على العصر الأمريكى

ليس باسم الشعب الأمريكى

هل تعبر النزعة الإمبراطورية الأمريكية الراهنة بما تتضمنه من توجهات عدوانية وعسكرية متطرفة، وتجاهل لمصالح كل دول العالم، لا فرق بين الحلفاء وغيرهم من الدول عن آراء الشعب الأمريكى، ومن شأنها أن تحقق مصالحه؟

لقد ظهرت الإدارة الأمريكية قبل أحداث الحادى عشر من سبتمبر باعتبارها القوة العالمية الوحيدة، التى تريد ليس فقط تحقيق المصالح الأمريكية كما تراها ولكن أن تفرض قانونها على كل البشر!

وإذا تتبعنا الجدل الدائر فى الولايات المتحدة الأمريكية هذه الأيام حول غزو العراق وتغيير نظامه السياسى بالقوة المسلحة، وذلك بين الإدارة الأمريكية والكونجرس، وفى صفوف المثقفين الأمريكيين المعارضين للحرب ضد الإرهاب ولغزو العراق، لأدركنا أن هذه السياسة الأمريكية العدوانية والمخالفة لقواعد الشرعية الدولية لا تعبر عن اتجاهات الشعب الأمريكى ولا تحقق مصالحه فى الأجل المتوسط والطويل.

ليس باسمنا!

وهكذا يمكن القول أن الحرب ضد الإرهاب التى يشنها الرئيس بوش بعد الحادى عشر من سبتمبر وتوابعها الخطيرة التى تتمثل فى الخطة المعلنة لغزو العراق لا تعبر عن اتجاهات وإرادة الشعب الأمريكى، والتى اعتقلتها الإدارة الأمريكية فى سجن الإعلام المزيف الذى يركز تركيزاً مرضياً على اعتبارات «الوطنية» الأمريكية التى تسبق احترام حقوق الإنسان!

وإذا كنا قد عرضنا من قبل لخطاب المثقفين الأمريكيين المبررين «للحرب العادلة» التى شنتها أمريكا والذى وقع عليه أكثر من ستين مثقفاً وأكاديمياً أمريكياً من مثقفى السلطة، فقد حللنا ... بعد خطاب المثقفين الأمريكيين المعارضين للحرب والذى وقع عليه

أكثر من ١٢٠ أكاديمياً أمريكياً بارزاً.

كان خطاب المثقفين الأمريكيين المعارضين بعنوان «خطاب لأصدقائنا الأوروبيين»، يدعون فيه المثقفين الأوروبيين إلى الانضمام إليهم وتكوين حلف ثقافى ضد السياسات الأمريكية.

وسرعان ما استجاب لذلك أكثر من مائة أكاديمى ومثقف ألمانى ونشروا خطاباً بعنوان «عالم العدالة والسلام سوف يكون مختلفاً» وذلك فى صحيفة «فرانكفورت ألجمن» اليومية بتاريخ ٢ مايو عام ٢٠٠٢. (راجع ترجمة هذه الوثيقة الهامة فى كتاب وثائق حول أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وتداعياتها، الذى أصدرته أكاديمية الفنون).

وكنا فى الواقع بصدد تحليل هذه الوثيقة الهامة، غير أن جريدة «الحياة» نشرت خطاباً جديداً بالغ الأهمية وقعه أكثر من ٢٠٠٠ مثقف أمريكى باعتباره بياناً بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لأحداث ١١ سبتمبر، أبرزوا فيه معارضتهم للسياسة التى طبقتها بلادهم عقب تلك الأحداث، وتقسيمها العالم «معنا وضدنا» وفرزه إلى محاور شر وخير.

وقد وقع على البيان نخبة من أبرز المثقفين والأكاديميين والمناضلين الأمريكيين الذين ينتمون إلى اليهودية والمسيحية والإسلام، وتضم الأسماء عرباً وغيرهم.

ومن أبرز الأسماء التى وقعت على البيان المفكر الشهير وأستاذ اللغويات المرموق نعوم شومسكى، والناقد الأدبى البارز فردريك جيمسون، وإدوارد سعيد، ودافيد هارفى أستاذ الأنثروبولوجيا المعروف، والمحامى عابدين جباره الرئيس السابق للجنة الأمريكية المناهضة للتمييز، ومارتن لوثر كنج الثالث، والحاخام مايكل لرنر، والكاهن راندال أوسيرن وعالمة الاجتماع المرموقة ساسكيا ساسينى والكاهن جورج ويبر الرئيس الفخرى للمعهد اللاهوتى فى نيويورك، وديفيد كول أستاذ القانون.

ونظراً للأهمية البالغة للبيان، وإثباتاً لتصاعد حركة المعارضة للسياسات الأمريكية داخل المجتمع الأمريكى والتى أكدناها من قبل أكثر من مرة، بالرغم من تشكك بعض الكتاب المصريين فى فاعليتها وجدواها، فإننا نعيد نشر نص البيان الذى ترجمته ونشرته جريدة الحياة فى عدد ٣٠ أغسطس ٢٠٠٢.

البيـــان

«كي لا يقال أن الشعب في الولايات المتحدة الأمريكية لم يفعل شيئاً حين أعلنت حكومته حرباً لا حدود لها وأسست لمبادئ قمعية متصلبة جديدة، نحن الموقعين والموقعات أدناه، ندعو شعب الولايات المتحدة الأمريكية إلى مقاومة السياسات والتوجهات السياسية العامة التي انبثقت غداة الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١، والتي تشكل مخاطر جدية تهدد شعوب العالم أجمعين.

إذ نؤمن بأن الشعوب والدول تملك حق تقرير مصائرها، حرة من القيود العسكرية التي تفرضها القوى العظمى، كما نؤمن بأن كل الأشخاص الذين إما اعتقلتهم الحكومة الأمريكية أو حاكمتهم، لابد أن يتمتعوا بالحقوق عينها التي تنص عليها الأعراف والإجراءات المتعارف عليها.

ونحن نؤمن أيضاً بأنه لابد من تثمين التساؤل والنقد والمعارضة وحمايتها، إذ أننا نعي أن حقوقاً وقيماً كهذه تكون دوماً موضع نقاش ولابد من النضال من أجلها.

إننا نؤمن بأنه يجب على أصحاب الضمائر (ذكوراً وإناثاً) أن يتحملوا مسئولية ما تفعله حكوماتهم، فيجب علينا أولاً معارضة الظلم الذي يرتكب باسمنا. لذا، ندعو كل الأمريكيين والأمريكيات لمقاومة الحرب والقمع اللذين فرضا على العالم أجمع من قبل إدارة بوش، كونهما عمل ظالم، لا أخلاقي وغير شرعي. وقد أخبرنا مناصرة شعوب العالم أجمعين. نحن أيضاً، شاهدنا مصدومين أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، المرعبة. نحن أيضاً فجعنا بمقتل آلاف الأبرياء وذعرنا من مشاهدة المجزرة الفظيعة، حتى عندما استعدنا ذكرى مشاهد مماثلة في كل من بغداد، وبنما وقبلهما فيتنام، ولا يسعنا إلا أن نضم صوتنا إلى صوت ملايين الأمريكيين الذين تساءلوا قلقين لماذا هكذا شيء حدث.

إلا أن الحداد ما كان بالكاد يبدأ حتى أطلق قادة الأرض الأهم، العنان لروح الثأر. وضعوا سيناريو مفرطاً في التبسيط عن «الخير مقابل الشر» والذي تم تناوله من قبل وسائل إعلام طيعة وخائفة في آن. فقالوا لنا أن التساؤل عن سبب حدوث هذه الكارثة يقارب الخيانة. لم يعد هناك أي حيز لأي جدل. لم يعد هناك أي أسئلة سياسية أو أخلاقية شرعية. وأمسى الجواب الوحيد المحتمل هو الحرب في الخارج والقمع في

الداخل. ولم تكتف إدارة بوش، بشبه إجماع من الكونغرس، وباسمنا، بمهاجمة أفغانستان، بل انتزعت عنوة، لنفسها ولحلفائها، الحق في أن تغدق في إرسال قوات عسكرية لأى مكان وفي أى زمان. وقد طاولت النتائج الوخيمة لذلك الفيليبين وصولاً إلى فلسطين، حيث خلفت الدبابات والجرافات الإسرائيلية وراءها الموت والخراب الهائل. وتتحضر الحكومة الآن علناً لشن حرب شاملة ضد العراق وهو بلد لا تربطه صلة بأحداث ١١ أيلول المرعبة. أى عالم سيصبح عالمنا إذا باتت الحكومة الأمريكية حرة طليقة ترسل فرق الكوماندوس والمجرمين والقنابل حيثما تشاء؟

باسمنا، وداخل الولايات المتحدة، أنشأت الحكومة شريحتين من الناس: أولئك الموعودون بالحقوق الأساسية ضمن النظام القانوني الأمريكي كحد أدنى، وأولئك الذين يفتقرون تماماً إلى أى حق. فقد جمعت الحكومة ما يزيد على الألف مهاجر واحتجزتهم بالسر حتى أجل غير مسمى. كما تم ترحيل المئات، في حين ما زال يذوى مئات آخرون في السجن، مما يعيد للذاكرة الذكرى الأليمة لمخيمات الاعتقال للأمريكيين اليابانيين أثناء الحرب العالمية الثانية. وللمرة الأولى منذ عقود، إشارات إجراءات الهجرة إلى بعض الجنسيات بهدف التمييز في المعاملة.

باسمنا، نشرت الحكومة فوق المجتمع حجاباً قاتماً من القمع، وقد أنذر الناطق الرسمى باسم الرئيس الناس «للانتباه إلى ما يتفوهون به». لذا يجدا الفنانون والمثقفون والأساتذة المعارضون وجهات نظرهم عرضة للتحريف والتشويه والهجوم والقمع. فما يعرف بالمرسوم الوطنى – إضافة إلى عدد من الإجراءات المماثلة على صعيد الولاية – يمنح الشرطة سلطات كاسحة في ما يخص التفتيش والاعتقال، بإشراف، عندما يلزم ذلك، دعاوى قضائية سرية ترفع في محاكم سرية.

باسمنا، ثابرت السلطة التنفيذية على اغتصاب أدوار الدوائر الحكومية ووظائفها الأخرى. وقد أنشئت محاكم عسكرية لا تتطلب براهين صارمة وتفتقر إلى حق الاستئناف، وذلك بواسطة أوامر إجرائية. ويتم الإعلان عن مجموعات «إرهابية» بجرة قلم رئاسى.

لابد لنا أن نأخذ ضباط الأرض ذوى الرتب الأعلى على محمل الجد، عندما يتكلمون عن حرب ستدوم جيلاً وعندما يتحدثون عن نظام محلى جديد. إننا في صدد مواجهة

سياسة خارجية إمبريالية علنية جديده، وسياسة محلية تولد الخوف وتحركه بغية الانتقاص من الحقوق.

إن مسار أحداث الأشهر الأخيرة يؤدى إلى الهلاك لا محالة، ولابد من رؤيته على حقيقته ومن ثم مقاومته فكم من المرات فى التاريخ، انتظرت الشعوب حتى سبق السيف العذل ولم يعد هناك أى فائدة من المقاومة. لقد أعلن الرئيس بوش: «أنتم إما معنا أو ضدنا». وها نحن نجيب: نرفض أن نسمح لك التحدث باسم كل الشعب الأمريكى، ولن نتخلى عن حقنا بالسؤال. ولن نسلم ضمائرنا مقابل وعد خاو بالأمن. نقول ليس باسمنا. نرفض أن نكون طرفاً فى هذه الحروب، كما نتبرأ من أى تدخل يشن إما باسمنا أو من أجل رفاهنا. إننا نمد اليد للذين يعانون من تلك السياسات فى أرجاء العالم، وسنعبر عن تضامننا بالكلام والفعل.

نحن الموقعين أدناه، ندعو الأمريكيين كافة للإنضمام لمواجهة هذا التحدى. ونحن نؤيد حال التساؤل والاعتراض الحالية، وإن كنا نقر بالحاجة إلى المزيد الكثير لوقف هذه القوة الساحقة فعلياً. إننا نستلهم من جنود الاحتياط الإسرائيليين الذين جازفوا بحياتهم لحظة أعلنوا «أن هناك حداً» ورفضوا الخدمة فى احتلال الضفة الغربية وغزة.

كما نستلهم أيضاً من الأمثلة للمقاومة والوعى من ماضى الولايات المتحدة: بدءاً من أولئك الذين ناهضوا العبودية من خلال العصيان والثورات، وصولاً لأولئك الذين تحدوا حرب فيتنام من خلال رفض الأوامر ومقاومة الخدمة العسكرية والتضامن مع المقاومين: فلنمنع العالم المتفرج اليوم من السقوط باليأس من جراء صمتنا وتخلفنا عن الفعل. بدلاً من ذلك، فلنسمع العالم تعهدنا: سنقاوم آلية الحرب والقمع وسنعمل على استنهاض الآخرين من أجل القيام بأى شىء ممكن لوقفها».

هكذا تكلم المثقفون الأمريكيون المعارضون للحرب والعدوان.

شهادت أمام التاريخ

دار الزمن دورته، ومضى عام على الأحداث الرهيبة التى وقعت فى الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١. ما أضخم التغيرات التى حدثت سواء فى مجال الوعى الإنسانى أو فى ميدان الأحداث والوقائع المتشابكة التى لا تتبئ عن الظهور والتحول والتغير كل إشراقة شمس، وملايين البشر فى كل أرجاء المعمورة معلقة أنفاسهم فى انتظار القرار الأمريكى.

هل ستقع الحرب الغاشمة لغزو العراق وتغيير النظام السياسى بالقوة المسلحة أم لا؟ وإذا كان القرار قد اتخذ فمتى؟ وإذا وقعت الحرب ما هى آثارها المدمرة السياسية والاقتصادية والثقافية على النطاق العالمى والإقليمى والمحلى؟ لقد أصبح العالم ـ بحكم ثورة الاتصالات الكبرى وتشابك المصالح الاقتصادية ووحدة الأسواق العالمية ـ فضاء واحداً، تؤثر فيه بعمق أى حرب، ولو كانت تدور فى إطار محلى ضيق، أو فى إطار إقليمى محدد.

شهادات مزورة وشهادات نقدية

ولقد تباينت ردود الأفعال إزاء أحداث الحادى عشر من سبتمبر فور وقوعها، وتسلسل ردود الأفعال إزاءها.

ومما لا شك فيه أن أخبار الأحداث كما عكستها لحظة وقوعها شاشات التليفزيون قد أحدثت صدمة فى العالم، وأدرك الملايين من البشر خطورة «الإرهاب الجديد» الذى لا يفرق بين أهداف عسكرية وأهداف مدنية، على أرواح المدنيين الأبرياء، بالإضافة إلى تهديده الجسيم للأمن القومى. وإذا كانت قلة من البشر فى بعض البلاد الغربية والإسلامية وربما الأوروبية أيضاً قد شعرت بأن ما حدث يعد نتيجة منطقية للتحيز الصارخ فى السياسات الأمريكية، واستهانتها بمصالح الملايين من البشر، والتى تجلت فى انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من معاهدة كيوتو الخاصة بضبط المناخ العالمى، أو من معاهدة حظر انتشار الصواريخ. إلا أن غالبية البشر قد أدانوا هذا الإرهاب، وفى

مقدمتهم حكام الشعوب العربية والإسلامية، بالإضافة إلى قادة الفكر والمثقفين. وقد أدت ضخامة أحداث الحادى عشر من سبتمبر وخطورتها البالغة إلى بروز خطاب فكرى تبناه عدد من المثقفين والأكاديميين الأمريكيين لتبرير ما أطلقوا عليه «الحرب العادلة» التى شنتها الولايات المتحدة الأمريكية لمحاربة الإرهاب تحت شعار «من ليس معنا فهو ضدنا». وحاول هؤلاء المثقفون فى خطابهم الشهير الموجه إلى العالم تبرير هذه الحرب ملتمسين فى ذلك أسباباً قانونية وأخلاقية للدفاع عنها.

وكانت هذه فى الواقع شهادة زور أمام التاريخ، لأنها تجاهلت الأسباب الحقيقية لكراهية السياسة الأمريكية فى مختلف أنحاء العالم، بالإضافة إلى الإستهانة بالقواعد القانونية فى توجيه الاتهام، وتقديم الدليل على نسبة الوقائع إلى أشخاص أو تنظيمات أو دول بعينها. وبدلاً من ذلك شنت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ضد نظام طالبان، وضربت أهدافاً فى أفغانستان بغير تمييز، مما إدى إلى سقوط الآلاف من المواطنين الأبرياء قتلى القصف العشوائى الأمريكى.

غير أنه فى مقابل شهادات الزور برزت شهادات أخرى أمريكية نقدية تعارض الشهادة الأولى وتنتقد السياسة الأمريكية. وتمثل ذلك فى الخطاب الذى وقع عليه أكثر من مائة وعشرين مثقفاً وأكاديمياً أمريكياً، فى مقدمتهم المؤرخ الراديكالى هوارد زين والروائى والكاتب النقدى جور فيدال. وكان خطابهم موجهاً إلى الأصدقاء الأوروبيين باعتبار أن الدول الأوروبية هى حليفة الولايات المتحدة الأمريكية، وسعياً لتكوين حلف ثقافى أمريكى أوروبى للوقوف ضد السياسات الأمريكية العدوانية.

وسرعان ما استجاب لهذا الخطاب حوالى مائتى مثقف ألمانى أصدروا خطاباً هاماً بعنوان «عالم العدالة والسلام سوف يكون مختلفاً». وبعد فترة رد على هذا الخطاب المثقفون الأمريكيون أصحاب الخطاب النقدى، ونشأ حوار نقدى أوروبى أمريكى بالغ الخصوبة، لابد له أن يترك أثاره الإيجابية على تنشيط المعارضة الشعبية فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ضد السياسات الأمريكية. وقد ظهرت دلائل المعارضة السياسية الأوروبية فى التصريحات القاطعة للمستشار الألمانى شرويدر والرئيس الفرنسى جاك شيراك فى معارضة الحرب ضد العراق.

كما أن المفكرين الأوروبيين بدأوا يعبرون بشكل نقدى عنيف عن معارضتهم السياسة الأمريكية العدوانية والموجهة فى الواقع - بحكم آثارها المدمرة المحملة - ضد العالم كله، وليس فقط ضد العراق أو إيران أو الدول «المارقة» بالتعبير الأمريكى المخادع.

ويلفت النظر بشدة فى هذا المجال - مما يعد شهادة نقدية أمام التاريخ - الكتاب الذى أصدره مؤخراً فى باريس فى شهر فبراير من العام الجارى الكاتب الفرنسى جان مارى كولومبانى رئيس تحرير جريدة «الموند» الشهيرة. وكان قد سبق للكاتب أن نشر افتتاحية فى «الموند» عقب أحداث سبتمبر مباشرة كان عنوانها «نحن كلنا أمريكيون» أراد فيها أن يثبت أن التعاطف مع أمريكا تام ومطلق لدرجة أنه يمكن للأوروبيين جميعاً أن يحسوا بمشاعر الأمريكيين. وقد كانت لهذه المقالة ردود أفعال متباينة ما بين مؤيد ومعارض، بحكم الإسراف العاطفى الشديد فى المقالة، والذى يؤكد التوحد الكامل فى المشاعر الأوروبية والأمريكية.

غير أنه بعدما هدأت العواطف الجامحة، وإذا بجان مارى كولومبانى يصدر كتاباً عنوانه «هل صحيح أننا كلنا أمريكيون؟» وهو فى هذا التساؤل الجوهرى يمارس فى الواقع نقداً ذاتياً جسوراً، ويعتذر عن اندفاعه المبدئى، ويمارس نقداً بالغ الحدة والعنف للسياسات الأمريكية، فى ضوء الأحداث التى وقعت طوال العام الماضى. ويركز فى هذا المجال على الخرق الفاضح لحقوق الإنسان الذى مارسته الولايات المتحدة الأمريكية فى مجال القصف العشوائى لأفغانستان، بالإضافة إلى خرق معاهدات جنيف المتعلقة بمعاملة أسرى الحرب فى تعاملها مع المعتقلين الأفغان، بالإضافة إلى القوانين الاستثنائية والمحاكمات العسكرية السرية التى فرضتها على المشتبه فيهم داخل الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها.

وظهرت شهادة تاريخية أوروبية أخرى أوسع مجالاً فى مجال نقد السياسة الأمريكية العدوانية تمثل فى الكتاب الهام الذى أصدره المفكر الفرنسى المعروف آلان جوكس وعنوانه «إمبراطورية الفوضى: الجمهوريات فى مواجهة السيطرة الأمريكية فى مرحلة ما بعد الحرب الباردة» والذى صدر فى باريس فى أبريل من العام الجارى.

وهو يتتبع بعمق شديد ارتباط العنف بالعولمة، والعولمة فى عهد الرئيس السابق

كلينتون، والتى تمثلت فى رأيه فى مذهب استراتيجى أدى إلى وقوع الفوضى فى العالم، ثم «عسكرة الإمبراطورية الأمريكية» والتى بدأت فى عهد كلينتون وتبلورت فى عهد بوش، وظهرت تجلياتها فى الحرب ضد الإرهاب عموماً، وفى محاولة السيطرة على آسيا الوسطى خصوصاً، لحراسة التطور الصينى والتغير الروسى ومراقبة الأوضاع هناك عن قرب، بالإضافة إلى السيطرة على منابع البترول فى منطقة بحر قزوين.

ولم تقتصر الشهادات النقدية أمام التاريخ على الشهادات الأوروبية التى أشرنا إلى بعضها، ولكن اتسعت دائرتها لتشمل فى المقام الأول شهادات أمريكية لمثقفين أمريكيين بارزين فى مقدمتهم عالم اللغويات والناقد الراديكالى الشهير نعوم شومسكى، والذى أصدر كتيباً عن ١١ سبتمبر، أبرز فيه أسباب الكراهية العالمية للولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك الروائى والناقد الاجتماعى جور فيدال الذى أصدر كتاباً بعنوان «حرب دائمة من أجل سلام دائم» وله عنوان فرعى «كيف أصبحنا مكروهين لهذه الدرجة» وقد سجل فيه بالوثائق الدامغة التدخلات الأمريكية غير المشروعة فى شئون دول عديدة فى العالم منذ الخمسينيات حتى الآن. بالإضافة إلى أنه عقد مقارنة بالغة الأهمية بين الإرهاب اليمينى المتطرف الأمريكى متمثلاً فى شخصية تيموثى ماكفى والذى فجر المبنى الفيدرالى فى ولاية أوكلاهوما والذى ترتب عليه موت أكثر من ٣٠٠ ضحية من الرجال والنساء والأطفال، مع الإرهابى الإسلامى الأصولى المتطرف المتمثل فى شخصية بن لادن. ودعا فى الكتاب إلى أولوية دراسة وتحليل أفعال السلطة الأمريكية سواء داخل المجتمع الأمريكى أو فى العالم، والتى أدت إلى تشجيع الجماعات الإرهابية على ردود الأفعال والذى تمثل فى أحداث إرهابية متعددة.

ويلفت النظر أخيراً فى مجال الشهادات التاريخية المزورة والشهادات التاريخية الأصيلة والنقدية، الكتاب الذى أصدرته الصحفيه الإيطالية «أوريانا فلاتشى» التى اشتهرت منذ سنوات بعيدة بإجراء مقابلات مع زعماء العالم اتسمت بالجرأة البالغة فى طرح الأسئلة. أصدرت فلاتشى كتاباً عقب أحداث سبتمبر بعنوان «الغضب والكبرياء» شنت فيه هجوماً صاعقاً على الإسلام باعتباره ديناً يحض على الإرهاب، ولم تقصر الإتهام كما هى العادة على الأصولية الإسلامية، كما يطلق فى الغرب على الاتجاهات المتطرفة والإرهابية.

غير أن هذه الشهادة التاريخية الزور ضد الإسلام وجدت كاتباً إيطاليا منصفاً رد عليها وفند اتهاماتها هو تيرزاني تيزاين فى كتاب بعنوان «خطابات ضد الحرب» صدر بالإيطالية أولاً ثم ترجم إلى الفرنسية ونشر فى يونيو ٢٠٠٢.

وهكذا يمكن القول أن يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وأحداثه المهوله قد أدت إلى إنتاج خطابات سياسية وفكرية متعارضة، تعبر فى الواقع أبلغ تعبير عن المعركة الكبرى التى تدور فى عالم اليوم بين اتجاهات الهيمنة العالمية التى تتبناها الإمبراطورية الأمريكية، وقوى الاعتدال والسلام، والتى بدأت تتبلور داخل القارة الأوروبية ذاتها، والتى كانت حليفة للولايات المتحدة الأمريكية.

وفى تقديرنا أن هذه الخطابات المتعارضة تحتاج إلى تحليل نقدى متعمق، يكشف عن طبيعة الصراع بين رؤى العالم التى تتبناها القوى العالمية المتنافسة والتى تسعى كل منها إلى السيطرة الكاملة على شئون الكون فى عالم ضاقت فيه المسافات بين الدول، وتكثفت التفاعلات بين البشر.

أسئلة سبتمبر بين الدلالة والحدث

ليس هناك من شك فى أن الحادى عشر من سبتمبر سيسجل باعتباره يوماً فاصلاً فى تاريخ القرن الحادى والعشرين.

كان العالم قبله مشغولاً بظاهرة العولمة بكل تجلياتها السياسية والاقتصادية والثقافية. ودار الجدل الفكرى العنيف بين أنصارها وخصومها. وتجمع أنصار العولمة فى منتدى دافوس الشهير الذى ضم النخب السياسية ورجال الأعمال والباحثين والإعلاميين والمثقفين، فى حين أن خصوم العولمة تجمعوا تحت شعار «دافوس الأخرى» لكى يناضلوا ضد العولمة ليس بالنقد الفكرى فقط ولكن من خلال المظاهرات الصاخبة التى امتدت من دافوس إلى بورتو الليجيرى إلى ديربان فى جنوب أفريقيا. كان هذا هو المناخ السياسى والثقافى السائد، وفجأة دارت أحداث الحادى عشر من سبتمبر والتى شهدتها الملايين لحظة وقوعها تقريباً وفى زمنها الحقيقى على شاشات التليفزيون. وأحس الناس جميعاً أن الولايات المتحدة الأمريكية والتى هى أقوى دولة فى العالم عسكرياً وتكنولوجياً واقتصادياً قد أخذت على غرة، إذ تم غزوها فى عقر دارها بواسطة بضعة عشر إرهابياً، استطاعوا بخيال مجنون أن يحولوا أربع طائرات مدنية إلى أربعة أسلحة من أسلحة الدمار الشامل. تم ذلك فى لحظات بعد اختطاف الطائرات المدنية واقتحام البرجين الشهيرين بالاصطدام المباشر بهما بالطائرات المدنية التى ضمت الإرهابيين والركاب معاً، مما أدى إلى وقوع أكثر من ثلاثة آلاف قتيل فى لحظات.

لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية هى فقط التى أخذت على غرة، ولكن السياسيين والباحثين والمثقفين فى كل أنحاء المعمورة. وكان من المنطقى أن تنهال الأسئلة من كل زاوية حول الحدث ودلالاته، ونتائجه المتوقعة، ونوع رد الفعل الأمريكى، وتأثير هذا الفعل ـ أيا كان اتجاهه ـ على الأمن العالمى من ناحية، وعلى الجماعات والأقطار التى سيوجه لها الانتقام الأمريكى من ناحية ثانية.

إطار نظرى لدراسة أحداث سبتمبر

وعندما شاهدت على التليفزيون الكلمات التى ألقاها كل من الرئيس بوش والرئيس الفرنسى جاك شيراك ورئيس الوزراء البريطانى تونى بلير. وباعتبارى فى المقام الأول باحثاً فى علم الاجتماع مهتما أبلغ الاهتمام منذ سنوات بعيدة بالقضايا النظرية والمنهجية لتحليل الخطاب، قمت تلقائياً بتحليل هذه الخطابات الفورية الثلاث، واكتشفت أنها تتضمن مضامين سياسية وتاريخية وثقافية وحضارية تقتضى الوقوف أمامها طويلاً.

وكان أول ما فعلته أن كتبت ورقة بحثية موجزة بعنوان «نحو إطار نظرى لدراسة ما بعد الحادى عشر من سبتمبر». لم أعد هذه الورقة للنشر وإنما كانت أداة أساسية أردت من ورائها أن أنظم أفكارى حول الحدث وتداعياته، تمهيداً للدراسة المنهجية التى يمكن أن تخرج فى صورة مقالات تحلل مختلف أبعاده، أو فى صورة كتاب متكامل حين تكتمل الصورة وتتضح الأبعاد، وتظهر الوثائق، وتبرز الشهادات المختلفة، وتنشر التحليلات المتنوعة.

وفى هذه الورقة الموجزة قدرت - وكان ذلك عقب الحادى عشر من سبتمبر مباشرة - أننا فى حاجة إلى دراسة الحدث، وبنية المجتمع العالمى، والخطاب السياسى والثقافى، والسياسات التى أعلنت، والممارسات التى تمت، والنتائج المتوقعة وغير المتوقعة لهذه السياسات والممارسات.

وأول ما تبادر إلى ذهنى فيما يتعلق بالحدث ذاته سؤال يتعلق بموضوع شغلنى منذ أيام الدراسة فى فرنسا، وهو موضوع القطيعة التاريخية. ويرد هذا الاهتمام إلى أنه فى الستينيات برز موضوع «القطيعة المعرفية» لدراسات لحظات الانقطاع فى مسيرة الفلسفات والاتجاهات الثقافية والمشاريع الفكرية للفلاسفة والعلماء، بمعنى لحظة التحول الفاصلة بين موقف معرفى وموقف معرفى مختلف عنه. كان الذى صاغ هذا المفهوم هو مؤرخ العلم الفرنسى المعروف كانجيم وتبناه من بعده الفيلسوف الفرنسى الشهير ميشيل فوكو، والذى طبقه بإبداع بارز وهو يؤرخ فى كتابه «الكلمات والأشياء: نحن أركيولوجيا العلوم الإنسانية» لصعود وتطور العلوم الاجتماعية فى القرن التاسع عشر. وأصبح المؤرخون يتداولون المفهوم من بعد فيتحدثون عن «القطعية التاريخية» التى تعنى نهاية عصر وبداية عصر جديد فى إطار ما يطلق عليه مشكلة التحقيب Periodiazation التاريخى.

وفى ضوء ذلك كله طرحت على نفسى عدة أسئلة:

هل صحيح أن حدث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ـ كما وصف فى بعض الكتابات ـ يمثل تاريخاً فاصلاً بين ما قبل وما بعد؟

وهل هو يمثل قطيعة تاريخية بين عصر وعصر، وعلى غرار القطيعة المعرفية فى مجال الفكر؟ وما هى المعايير التى على أساسها يمكن القول بنهاية مرحلة وبداية مرحلة أخرى؟

وهل عام ١٩٩٠ الذى عادة ما يؤرخ به لنهاية عصر الحرب الباردة ونهاية النظام الثنائى القطبية، وبروز النظام الأحادى القطبية، يصلح حقاً لتحقيب العقد الأخير فى القرن العشرين؟ أم أن النظام الأحادى القطبية هو استمرار لصورة أخرى للنظام العالمى السابق، وسؤال أخير هل مرحلة ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ستؤدى كما أكد هنرى كيسنجر فى مقالة له نشرت فى جريدة الشرق الأوسط فى ٣ فبراير عام ٢٠٠٠ إلى صياغة النظام العالمى للقرن الحادى والعشرين، أم أنها فى الواقع استمرار للنظام العالمى قبل ١١ سبتمبر والذى كانت فيه الولايات المتحدة الأمريكية هى القوة الأكبر؟

أم أن هناك تغيراً لأن الولايات المتحدة الأمريكية بعد ١١ سبتمبر تحولت لتصبح القوة الأوحد فى القرن الحادى والعشرين، وهل تتفق هذه التفرقة الهامة مع بعض تقديرات الخبراء من أن الولايات المتحدة تتحول فى الواقع من قوة عظمى حيدة إلى إمبراطورية؟

وإذا كان هذا صحيحاً فهل هناك نموذج نظرى للإمبراطورية يمكن أن يحدد اتجاهات وأبعاد السلوك الإمبراطورى، أم لابد فى هذه الحالة أن نعتمد على المشابهة التاريخية للمقارنة مع إمبراطوريات سابقة فى التاريخ، كما فعل بول كيندى فى كتابه «صعود وسقوط القوى العظمى»، حيث استدعى نماذج من الإمبراطوريات السابقة، ليصل إلى نتيجته الأساسية وهى الانهيار الحتمى للقوة الأمريكية فى العقود القادمة.

(صاغ كيندى هذا التنبؤ منذ سنوات بعيدة وقبل أحداث الحادى عشر من سبتمبر).

أسئلة واقعية

وإذا كانت الأسئلة التى أشرت إليها قد صغتها فى إطار نظرى متكامل إلا أنه من الواضح أنها تلمس فى الواقع موضوعات نظرية ومنهجية تتجاوز الحدث ذاته فى الحادى عشر من سبتمبر بكل ما دار فيه. ومن هنا من السهل توجيه النقد إلى هذا الإطار على أساس أنه فى الواقع تجاهل طرح الأسئلة الواقعية الخاصة بالحدث نفسه، من زاوية كيف حدث. ومن قام به، وما هى أهداف الإرهابيين الحقيقية، وخصوصاً فى غيبة أدلة يقينية تشير بشكل محدد إلى ما حدث فى تسلسله الطبيعى من التخطيط للهجمات إلى التنفيذ الفعلى.

لذلك لم يكن غريباً أن تتضمن أهم الكتب التى صدرت عن أحداث الحادى عشر من سبتمبر والتى كان أفضلها على الإطلاق الكتب المحررة التى يشترك فى كتابتها أكثر من باحث متخصص، فصولاً هامة تطرح أسئلة تفصيلية عن الحدث ذاته، قبل التطرق إلى مسائل نظرية أو فلسفية أو تاريخية، سواء تعلق ذلك بالنظام العالمى ما بعد ١١ سبتمبر على سبيل المثال، أو ما يتعلق بالصراع بين الحضارات وخصوصاً ما تنبأ به من قبل صمويل هنتجتون عن الصراع بين الحضارة الغربية والإسلام، إلى عديد من الموضوعات المتشعبة الأخرى.

وفى إطار تجميعى لأهم ما صدر من كتب إنجليزية وفرنسية عن أحداث الحادى عشر من سبتمبر، لفت نظرى كتاب هام صدر بعد الأحداث بشهور قليلة حرره جيمز هوج وجيدون روز ونشر بعنوان «كيف حدث هذا؟ الإرهاب والحرب الجديدة.. والذى تضمن حوالى ٢٣ دراسة متنوعة، من بينها دراسة عنوانها: «رجال المنظمة: تشريح لهجوم إرهابى» كتبها برايان جنكز. وهو يطرح الأسئلة التى تتعلق بالحدث ذاته وكيفية وقوعه.

وفى نفس الاتجاه نجد دراسة بالغة الأهمية يتضمنها كتاب «عوالم متصادمة: الإرهاب ومستقبل النظام العالمى» وهو أحدث ما صدر من كتب عن سبتمبر، وحرره كن بوث وتوم دان، كتبها ستيف سمث بعنوان «أسئلة لا أجوبة لها». فى هذه الدراسة الشيقة يطرح الباحث عشرة أسئلة رئيسية تتعلق بالحدث ذاته.

وفى تقديرنا أننا نحتاج إلى تبنى هذا المنهج الواقعى فى طرح الأسئلة، وخصوصاً

أن الأحداث التى دارت بين الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ والحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠٢ بالغة الخطورة، وبعضها يتعلق بصميم الأسئلة الخاصة بالحدث ذاته، ومن قام به، وخصوصاً فى ضوء ما أذيع من أشرطة تليفزيون فى قناة الجزيرة، والتى أظهرت بن لادن فى بعضها وهو يحيى من قاموا بالحدث ويتغنى ببطولاتهم، وإن لم يتضمن ذلك اعترافاً صريحاً بأنه هو الذى خطط، أو أمر بالتنفيذ. غير أن آخر أشرطة أذيعت من قناة الجزيرة تصور عدداً من أعضاء منظمة القاعدة وهم يدرسون ويخططون للقيام بالفعل يوم الحادى عشر من سبتمبر، وأمامهم خريطة أمريكا، حيث يظهر بوضوح موقع البرجين، وموقع البنتاجون، بالإضافة إلى صوت بن لادن وهو يسرد تاريخ كل واحد ممن شاركوا فى الهجوم.

أليس من شأن هذه الأشرطة أن تجيب بذاتها على الأسئلة التى أثيرت منذ اللحظة الأولى حول من قام بهذا الفعل، وهل هناك دليل على ذلك؟

لم لا نحاول أن نعمق الأسئلة الخاصة بالحدث أولاً قبل أن ننتقل إلى باقى الأسئلة الخطيرة التى يثيرها الحادى عشر من سبتمبر والذى وصف فى تعبير موفق باسم يوم «الهول العظيم»؟

تشريح أحداث سبتمبر

إذا كنا طرحنا من قبل أسئلة أساسية حول دلالة أحداث الحادى عشر من سبتمبر وتأثيراتها على الأمن العالمى والأمن الإقليمى وانعكاساتها على العلاقات الحضارية بين الثقافات، إلا أن هناك باحثين يرون أنه من الأفضل أولاً أن نثير الأسئلة الخاصة بالحدث المهول ذاته بعبارة أخرى لابد أن نبدأ بداية رائعة للتساؤل من فعلها وكيف فعلها ولماذا هذا الاندفاع الشديد لقتل أكبر عدد من البشر فى البرجين الشهيرين؟

والسؤال الرئيسى الأول عن من قام بالهجوم الإرهابى يثير إشكاليات متعددة. ولعل أولى هذه الإشكاليات أن الإدارة الأمريكية سارعت بعد وقوع الحدث بفترة وجيزة فى توجيه الإتهام إلى تنظيم القاعدة وزعيمه أسامة بن لادن. وتساءلت مصادر متعددة فى العالم سواء فى ذلك فى البلاد الغربية أو فى البلاد الإسلامية والعربية وأين الدليل؟ ومقتضى هذا التساؤل أنه لا ينبغى توجيه اتهامات مرسلة لأى طرف من الأطراف بدون دليل مقنع ويبرر الحرب ضد الإرهاب التى أعلنتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد نظام طالبان باعتبار أن الدولة الأفغانية أوت بن لادن وحمته ورفضت تسليمه. وكان الرد الأمريكى على هذا الاعتراض والذى أسهمت فى صياغته أيضاً بريطانيا باعتبارها تابعة للإدارة الأمريكية أننا لسنا فى محكمة بحيث نطالب بتقديم دليل دامغ وفقاً للقواعد القانونية المطبقة أمام المحاكم. بعبارة أخرى زعمت المصادر الأمريكية أن لديها ـ من واقع استخباراتها ـ أدلة متعددة تثبت أن تنظيم القاعدة هو المخطط والمنفذ للهجمات.

وظلت أصوات متعددة عربية وإسلامية تشكك فى التهمة بحكم افتقارها لدليل مقنع. ليس ذلك فقط بل أن بعض الأصوات الفرنسية المستقلة شككت فى الرواية الأمريكية للأحداث فى مجملها، على أساس أنها رواية مفبركة الغرض منها إلصاق التهمة بالعرب والمسلمين تحقيقاً لأهداف أمريكية استراتيجية متعددة. وكان أبرز هذه الأصوات الكاتب الفرنسى تيرى ماسون الذى نشر كتابه الشهير «الخدعة الرهيبة» والذى وزع منه مئات

الآلاف من النسخ وأصبح أكثر الكتب مبيعاً.

وقد أصبح هذا الكتاب الذى ترجمته إلى العربية ونشرته «مجلة سطور» المصرية مرجعاً لكل من أراد أن يشكك فى الرواية الأمريكية.

غير أن المشككين لم يلتفتوا إلى أن هناك كتاباً فرنسياً آخر صدر فى شهر يونيو الماضى فى باريس لتفنيد حجج تيرى ماسون. والكتاب ألفه جيوم داسكيه وجان جونسيل وعنوانه المثير هو: الكذبة الرهيبة. وقد صدر عن دار نشر لاريكوفرت فى باريس، وهو يتصدى لتفنيد حجج تيرى ماسون حجة حجة.

مسألة من ارتكب الهجوم الإرهابى خلافية إذن، غير أن الذى زاد من تعقيد المسألة الشرائط التليفزيونية التى أذاعتها قناة الجزيرة، والتى صورت مجموعة من الإرهابيين لم تظهر وجوههم وهم يدرسون خريطة أمريكا، ويشيرون إلى موقع البرجين والبنتاجون، وفى جزء آخر من الشريط، يرتفع صوت أسامة بن لادن وهو يحكى سيرة كل فرد ممن شاركوا فى الهجوم ذاكراً فضائله محيياً جهاده الميمون!

غير أن هذه الأشرطة رفضت من قبل المشككين العرب والمسلمين على أساس أنها مفبركة وغير حقيقية.

أين الحقيقة إذن؟

محاولة مبكرة لتشريح الحدث

يلفت النظر أن بعض الباحثين تصدوا لتحليل الحدث بعد شهر فقط من وقوعه، لكى يطرحوا الأسئلة الرئيسية الخاصة بمن فعلها وكيف ولماذا. وفى مقدمة هؤلاء بريان جنكيز وهو مستشار أول لرئيس مؤسسة راند الأمريكية للأبحاث والتى تعد العقل الاستراتيجى الأمريكى. وقد أنشأ هذه المؤسسة سلاح الجو الأمريكى منذ فترة طويلة لتجرى له الأبحاث الخاصة به، ثم تحولت من بعد لتصبح مركزاً بحثياً واستراتيجياً عاماً يعالج عديداً من موضوعات الأمن والاقتصاد والاجتماع والثقافة. وهو مؤلف كتاب «الإرهاب الدولى: نمط جديد من الصراع» ومؤلف مشارك لكتاب «إرهاب الطائرات وأمنها» نشرت دراسة جنكيز كأحد فصول كتاب «كيف حدث هذا؟ الإرهاب والحرب الجديدة» الذى حرره جميز هوج الصغير وجيدون روز وصدر عام ٢٠٠١ عن دار نشر ببلك آفيرز فى نيويورك.

يقرر جنكيز فى صدر دراسته أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر تكشف اتجاهات طويلة المدى فى مجال الإرهاب وتعلمنا كثيراً عن الإطار الذهنى لمن خططوها وتنظيماتهم وقدراتهم ومقاصدهم. وهى فى نفس الوقت تكشف عن خطأ بعض معتقداتنا عن الإهاب وتطرح أسئلة طازجة تحتاج من المحللين إلى تأمل طويل. وهو يقر أن الباحثين يحتاجون إلى شهور طويلة حتى تكتمل لديهم صورة ما حدث وكيف حدث، وإن كان يمكن الاعتماد - كما يقول - إلى حد كبير على ما نشرته وسائل الإعلام نقلاً عن المصادر الأمريكية والتى قدمت صورة تقريبية لكيف حدثت الأحداث. ولذلك ينبغى حين التحليل الحذر من صياغة نتائج يقينية، فمازال حجم المجهول أكبر كثيراً من حجم المعلوم. ولكن القدر المتيقن أن مرتكبى أحداث ١١ سبتمبر ليسوا بعيدين عن من قاموا بأحداث إرهابية سابقة أقربها قصف مبنى برنامج التعاون الأمريكى فى الرياض عام ١٩٩٥ وقصف سفارتى الولايات المتحدة الأمريكية فى كينيا وتنزانيا عام ١٩٩٨، والهجوم الإرهابى على

البارجة الأمريكية كول فى اليمن فى أكتوبر من عام ٢٠٠٠. بعبارة أخرى هناك شواهد على أن كل هذه الأحداث من تدبير أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة.

ويقرر جنكيز أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر أصبحت معروفة فى العالم كله من أول لحظة، حين تصدت أربع مجموعات من الإرهابيين تضم ١٩ رجلاً لخطف أربع طائرات مدنية. اصطدمت اثنان منهم بالبرجين، والثالثة اصطدمت بمبنى البنتاجون والرابعة سقطت فى بنسلفانيا حيث قتل كل ركابها، نتيجة ما يظن أنها معركة قامت بين الخاطفين والركاب.

وربما لا يمكن أن نعرف أبداً كيف سيطر الخاطفون على الطائرات وإن كانت هناك تصريحات تقرر أنهم استخدموا سكاكين صغيرة وقواطع للورق أفلتوا بها من نقاط التفتيش فى المطارات بالإضافة إلى تهديدهم بأن لديهم قنبلة ستنفجر فى الطائرة.

وخلاصة هذه النقطة أن الإرهابيين لم يستخدموا للسيطرة على الطائرات تكنولوجيا متقدمة، بل أدوات بدائية. ومعنى ذلك أن الذكاء الخارق فى التنفيذ هو الذى سمح لهم بالسيطرة وليست التكنولوجيا المتطورة.

والنقطة الثانية الجديرة بالتأمل أنه كان هناك يقين لدى المتخصصين فى شئون الإرهاب من أن الإرهاب سيتجه فى السنوات القادمة إلى إيقاع أكبر عدد من الضحايا. وقد أكدت أحداث سبتمبر هذا التوقع، غير أنه لم يدر بخلد أحد من المتخصصين أن طموح الإرهابيين فى هذا الصدد سيتجاوز المئات. فقط سقط فى البرجين عدة آلاف من البشر، فى حين أن الحوادث الماضية لم تزد فيه عدد الضحايا عن مئات. وكان الإرهابيون فى الحقبة الماضية لا يميلون إلى تجاوز هذا العدد، حتى لا يتسرب الشك إلى الناس فى أنهم مجرد قتلة محترفون لا قضية لهم يدافعون عنها، بالإضافة إلى خوفهم من رد الفعل العنيف الذى يطالبهم لو تجاوزا كل الحدود. غير أن أحداث سبتمبر قد قلبت كل المعادلات والتوقعات بعد أن تجاوز عدد الضحايا الآلاف ومن الملاحظات الهامة التى يوردها الباحث أن الإرهاب فى العقود الأخيرة تحول من إرهاب سببه بواعث قوية تمثل فى اتجاه بعض المنظمات الإرهابية للدفاع عن الحقوق القومية لبعض الجماعات كما هو الحال بالنسبة للجيش الأيرلندى إلى إرهاب منبعثه عقائد دينية تقوم على أساس أن

الله سبحانه وتعالى يبارك أفعالهم فى قتل الأعداء والخصوم. وقد عبر أسامة بن لادن فى تصريحاته عن هذا الاتجاه بقوله أن المعركة تدور بين المسلمين وأعداء الإسلام، أو بين فسطاط الإيمان وفسطاط الكفر بحسب تعبيراته.

ويقرر الباحث أن الإسلام دين مسالم بطبيعته ولا يحض على القتل، ومن ثم فلا يجوز إسناد صفة الإرهاب إليه، لأن الإرهاب الدينى تمارسه جماعات تنتسب إلى أديان شتى كاليهودية والمسيحية.

والنقطة الثانية الهامة فى تشريح جينكيز لأحداث سبتمبر أن السلاح السرى للإرهابيين لم يكن هو التكنولوجيا الراقية المستوى، وإنما التصميم الإنسانى والإرادة الفاعلة، والتى أدت بهم إلى التضحية بحياتهم لتحقيق أهدافهم. ويرى أن الهجمات الانتحارية ليست بسيطة فى التخطيط لها وتنفيذها، فهى تقتضى الإيمان الشديد لعدد من الأشخاص بها، والتصميم عليها، وعدم التخلى عن الهدف مع مرور الوقت، بمعنى عدم الانهيار والتخلى عن المشروع. ويلتفت الباحث إلى أن هؤلاء الإرهابيين ـ وفقاً للرواية الأمريكية الرسمية ـ عاشوا فى المجتمع الأمريكى شهورا طويلة حياة عادية وتفاعلوا مع المجتمع، وسافروا أحياناً إلى الخارج وعادوا، وكان لديهم الوقت لكى يراجعوا أنفسهم ويعدلون عن خططهم، ولكنهم لم يفعلوا، مما يدل عن الكفاءة الفاعلة فى إعدادهم النفسى لتحقيق الهدف. ويلفت النظر أن الإرهابيين الانتحاريين فى ١١ سبتمبر على عكس الصورة السائدة عن فلسطين على سبيل المثال لا ينتمون إلى اوساط اجتماعية فقيرة ولا هم لم يحصلوا على العلم إلا قليلاً. على العكس فهم ينحدرون من عائلات متوسطة وأكثرهم تلقى تعليماً جامعياً، مما من شأنه أن يعيد رسم بروفيل المهاجم الانتحارى من زاوية أصوله الاجتماعية ومستويات تعليمه.

ويرى الخبراء أن تنظيم القاعدة يتميز عن غيره من التنظيمات الإرهابية بكثرة عدد أعضائه، والذين يتلقون عدة آلاف، مما يسمح لهم بالتخصص الدقيق فى مجالات متعددة كالهندسة والطيران والعلوم، مما يعطيهم فرصاً هائلة لتخطيط هجمات إرهابية بارعة من زاوية التخطيط والتنفيذ معاً. ومن ناحية أخرى فكثرة عدد أعضاء المنظمة ووصوله إلى الآلاف يجعل تجنيد عشرين مهاجماً انتحارياً من بينهم مسألة جد ميسورة.

ولا يمكن فى هذا المجال إغفال السياق الثقافى. بمعنى أن كل الثقافات سبق لها أن قدمت نماذج من الشهداء والأبطال الذين ضحوا بحياتهم فى سبيل هدف أسمى يؤمنون به. ويمكن القول أنه فى السنوات الأخيرة يرون فى الشرق الأوسط أنماطا من الانتماء الدينى والسياسى تدفع ببعض المؤمنين إلى طريق الاستشهاد هى طريقة الهجمات الانتحارية أياً كانت صورتها.

ويلفت الباحث النظر إلى حقيقة هامة مؤداها أن منظمة القاعدة تعودت على التخطيط طويل المدى لعملياتها. فأحداث ١١ سبتمبر تم الإعداد لها داخل أمريكا لمدة عام على الأقل، سبقتها أعوام فى التخطيط لها. وقد دفع ذلك بالمنظمة إلى تقسيم العمل بحيث لا يعرف بالمخطط كاملاً الا العقل المدبر، وذلك تفاديا لانتشار السر. ويطرح جنيكز تساؤلاً هاماً: هل الأحداث الإرهابية التى وقعت فى السعودية واليمن كانت أساساً لاختيار الأدوات والوسائل ودراسة ردود الفعل الأمريكية، وبحيث يمكن اعتبار أحداث الحادى عشر من سبتمبر هى ذروة العمليات بعد الاستفادة من دروس الأحداث السابقة؟

هذه أسئلة يصعب الإجابة عليها فى ضوء المعلومات المتوفرة ويبقى السؤال لماذا؟ ويجيب الباحث أن كراهية السياسات الأمريكية والرغبة فى عقابها قد يكون إجابة مقنعة، ووضوحها بعد عسكرة القوات الأمريكية فى السعودية والتى تضم أقدس أماكن العبادة لدى المسلمين بالإضافة إلى الدعم الأمريكى غير المحدود لإسرائيل فى عدوانها على الشعب الفلسطينى.

وأخيراً يقرر الباحث أن بن لادن حاول من خلال تصريحاته أن يضمن تعبئة جماهير المسلمين وراءه لدعم مشروعه فى حربه الدينية المقدسة ضد قلاع الكفر ذلك لأنه فقد جماهير تؤيده فإن أفعاله الإرهابية تصبح لا معنى لها فى الواقع.

هذه المحادثة كانت اقتراباً مبكراً من قبل باحث أمريكى حاول فيه أن يشرح أحداث ١١ سبتمبر، بعد شهر من وقوعها. ولعل هذا يفسر تردد الباحث فى صياغة نتائج نهائية، وهو الذى جعل باحث آخر هو ستيف سميث بعد عام من وقوع الأحداث أكثر دقة فى طرح الأسئلة وفى صياغة الإجابات.

المـراجـع

١ ـ الحرب الكونية الثالثة «عاصفة سبتمبر» ـ السيد يسين.

٢ ـ صلات الجواسيس ـ عادل حمودة.

٣ ـ القاعدة من التنظيم إلى الشبكة ـ عبد الرحيم على «كراسات إستراتيجية».

٤ ـ المملكة أسرار من الداخل ـ بدر الدين إبراهيم ـ دار الراية.

٥ ـ جريمة أمريكا فى الخليج «محمود بكرى».

٦ ـ إمبراطورية بن لادن والعرش السعودى ـ فوزى ربيع أحمد.

٧ ـ أمريكا والعراق التحدى الذهبى ـ عبد العظيم مناف.

الفهــرس